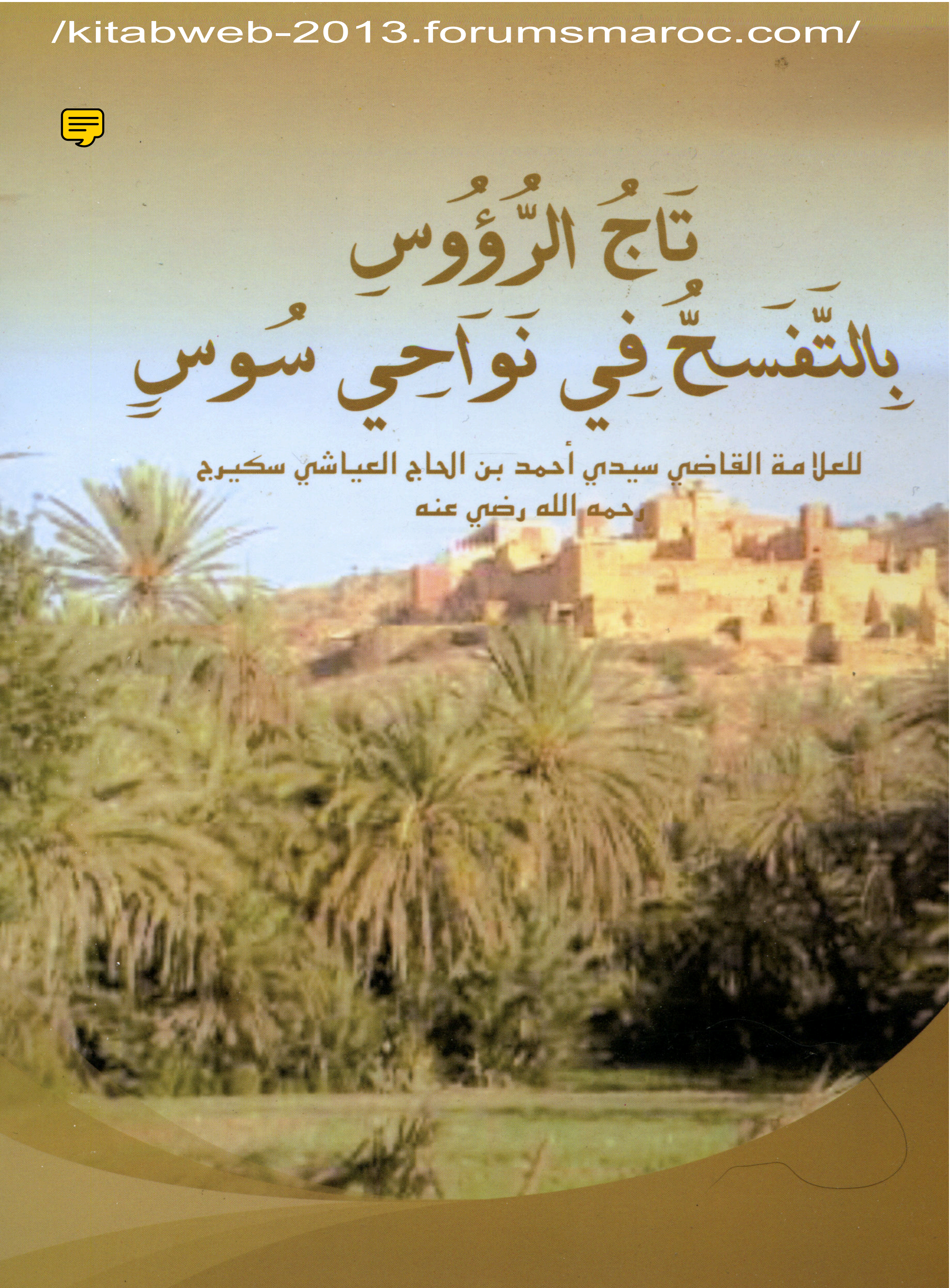


تَاجُ الرُّؤُوسِ بِالتَّفَسُّحِ فِي نَوَاحِي سُوسٍ

للعلامة القاضي سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج
رحمه الله رضي عنه

دراسة و تحقيق ذ. محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

تَاجُ الرُّؤُوسِ

بِالتَّفَسُّحِ فِي نَوَاحِي سُوسٍ

للعلامة القاضي سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج

رحمه الله رضي عنه



دراسة وتحقيق

ذ : محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني

ردمك

المؤلف الناظم : العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري

دراسة وتحقيق، ذ : محمد الراضي كنون الهاتف : 0661683399

الموقع الإلكتروني:

www.cheikh-skiredj.Com

مقـــــدمـة

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أود في صدر هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا التقييد المبارك. المنسوب لعالم فاضل. صاحب فكر ومنهج وصدق وإخلاص. وسلوك قائم على أسس الإسلام و قواعده الصحيحة. ومقومات الشخصية المغربية الفذة. كيف لا وقد أعطى لوطنه أجزل العطاء. وكانت حياته سجلا ناصعا لمرحلة هامة من حياة المغرب العلمية والثقافية.

وبدون إطالة فالعلامة سيدي أحمد سكيرج هو واحد من أبرز الشخصيات التي جمعت بين فضائل العلم والأدب والأخلاق. والتصوف والأصالة والوطنية الصادقة. أضف إلى ذلك اعتزازه العظيم بالعقيدة الإسلامية السمحة. وهي صفة بارزة من خلال مواقفه وقيمه وسلوكه. فقد كان عالما فذا. يجسد شخصية الفقيه المغربي المدافع عن حوزة الدين. المتصدي ببسالة لكل من خولت له نفسه الإساءة لشيء من أركانه أو واجباته ومكوناته.

كما كان محبا لوطنه. دائم التغني بخصائصه ومميزاته. وفيا لملكه. صادق الولاء لعرشه. مؤمنا بدوره العظيم في حماية المقدسات الدينية والوطنية.

ترجمة المؤلف

ولادتـه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف.والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدراوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336هـ موافق 1914م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337هـ - 1340هـ موافق 1919م – 1922م.

عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340هـ - 1342هـ موافق 1922م – 1924م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342هـ - 1347هـ موافق 1924م-1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347هـ - 1363هـ موافق 1928م-1944م أي إلى حين وفاته رحمه الله.

سلـوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:

مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديوانا

مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين

إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذته

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاته ومدفنه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت23 شعبان عام 1363هـ- 12غشت 1944م.

وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

دراسة الكتاب

الباعث على هذه الرحلة

تعود فكرة زيارة العلامة سكيرج لمنطقة سوس إلى حدود عام 1345هـ ـ 1926م، أي قبل تاريخ هذه الرحلة بإحدى عشر سنة، وذلك عند استقباله بمنزله بمدينة الجديدة جماعة من كبار علماء هذه المنطقة، في مقدمتهم العلامة الأديب الكبير سيدي الطاهر بن محمد التمانرتي الإفراني السوسي،

الذي كانت تجمعه به صداقة مثينة منذ سنوات عديدة من التاريخ المذكور، ولا ننسى في هذا *الإطار أيضا العلامة سيدي أحمد بن علي الكشطي التناني*، فقد كانت تربطه بالعلامة سكيرج علاقة حميمية قوية، وكان لا يخاطبه في رسائله إلا باسم شيخي، وأبي، وسندي، وعمدتي، وما إلى ذلك من هذه الألفاظ.

وقد وقفت له على رسائل كثيرة يستدعيه من خلالها لزيارة منطقة سوس، كانت آخرها حسب ترتيب الرسائل في شهر ربيع الأول عام 1355هـ ـ 1936م، عبر له فيها عن طلبه وطلب كافة علماء وفقهاء وتلامذة المدرسة العلمية [ألما] في أن يخصص المؤلف بعضا من وقته لزيارة جهة سوس، وتفقد زواياها ومدارسها وخزاناتها العلمية ورباطاتها ومآثرها

معلومات حول الرحلة

لمزيد التوضيح فهذه الرحلة كانت على متن سيارة من نوع قديم، وكان العلامة سكيرج قد اشترى هذه السيارة قبل هذا التاريخ بسنوات، وعلى وجه التحديد إبان فترة قضائه بمدينة الجديدة، وقد وقفت في بعض رسائله التي بعثها لأخيه سيدي محمد [فتحا] سكيرج عن معلومة تفيد شراءه لهذه السيارة، كما ذكر له الثمن الذي دفعه مقابل شرائها، بيد أنني لم أتذكره الآن.

وعموما فالأشخاص الذين رافقوا العلامة سكيرج في هذه الرحلة هم ثلاثة، أولهم الفقيه الجليل مقدم الزاوية التجانية [باب الكبير] بمدينة الدار البيضاء، السيد محمد بن علي التازروالتي السوسي، والسائق السيد محمد الجذاني، والسيد عبد الكبير التكاني.

المنهج المتبع في كتابة هذه الرحلة

بمجرد انطلاق هذه الرحلة بدأ العلامة سكيرج في تدوينها وتسجيل أحداثها، وذلك ضمن أوراق كان قد اصطحبها معه للغرض ذاته، وقد وقفت عليها بالخزانة السكيرجية، غير أنها مبعثرة هنا وهناك ومعظمها مكتوب على وجه السرعة دون ترتيب أو تقييد بنظام الأسطر، بل كان يكتب فيها حسب ما تيسر له سواء من أعلى الصفحة أو على يمينها أو في الهامش وغيره، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعه المؤلف في رحلاته السابقة، كالرحلة الزيدانية والوهرانية والحجازية

وعموما فقد كان يسجل وقائع هذه الرحلة تلقائيا وارتجالا، غير أن هذا لا يمنع من كونه أخضعها بعد ذلك إلى التنقيح والتنظيم إلى أن أصبحت في حلتها التي هي عليه الآن.

ا‌ء حول عنوان الكتاب

ـف *على عنوان آخر لهذا الكتاب غير عنوانه الذي طبع* **باسمه بالمطبعة الجديدة بفاس إبان حياة** ؤلف رحمه الله ورضي عنه، وهو تاج الرؤوس، بالتفسح في نواحي سوس، مع العلم أن المؤلف قد ذكره سابقا في كتابه الإغتباط، في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط، وذلك ضمن ـة مؤلفاته، وسماه حينها : تاج الرؤوس، في التجول في أنحاء سوس.

بفوتني التنبيه على أن العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي الإفراني كان يحبذ ته بـ : تزيين الطروس، بالتفسح في نواحي سوس، وقد وقفت على نسخة من هذا الكتاب كانت لمكية العالم المذكور، كتب على ظهر غلافه بخطه الجميل : هذا كتاب أخينا العلامة القاضي ل، العارف بربه، سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري، ثم كتب تحته ان الذي كان يحبذ تسمية هذا الكتاب به وهو : تزيين الطروس، بالتفسح في نواحي سوس.

عية الإجتماعية للعلامة سكيرج

، هذه الرحلة

عمر العلامة سكيرج عند هذه الرحلة 61 سنة، وهي من آخر رحلاته إذا استثنينا رحلته الأخيرة ماة شبه رحلة إلى الجزائر، ولا ننسى أنه لم يعش بعد هذه الرحلة سوى ثمان سنوات لا غير، كانت وفاته كما تقدم عام 1363هـ ـ 1944م

ـة القول فقد كان حينها قاضيا لمدينة سطات ونواحيها، وكان له إذ ذاك ثلاثة أولاد، اثنان من ر وهما سيدي عبد الكريم 34 سنة، وسيدي محمد 27 سنة، وبنت واحدة وهي للا مريم 10 ت

ين الرحلة

لعلامة سيدي أحمد سكيرج في هذه الرحلة كعادته مضامين مختلفة، منها المضمون الجغرافي، نجده حاضرا بقوة منذ انطلاق هذه الرحلة من مدينة سطات إلى فاس ذهابا وإيابا، ثم إلى الدار ـاء التي تحدث عنها بما يزيد على الصفحتين، فذكر بناياتها الضخمة الناطحة للسحاب، كما ـ عن نموها الديموغرافي والصناعي والتجاري، وعن مينائها الكبير وما إلى ذلك من مميزاتها ائصها الجمة،

ثم تحدث بعد ذلك عن مدن الجديدة والجرف الأصفر وآسفي والصويرة وتمنار وآكادير وإنزكان *وتزنيت وتارودانت ومراكش*، وغيرها من مدن وقرى آخرى، وما من مدينة مدينة تحدث عنها إلا وذكر بعض خصائصها ومميزاتها وما لها وما عليها، كما وصف لنا أيضا كثيرا من الطرق والقبائل والأودية والجبال والأسواق والجهات التي سلكها في طريقه.

كما اهتم أيضا بالمضمون التاريخي، فتحدث عنه بما لا مزيد عليه، ثم المضمون العلمي الذي كان محور هذه الرحلة، وكان بارزا في لقاءاته بعلماء وأدباء كبار، سواء بجهة سوس أو في بعض المدن والقرى التي سلكها في طريقه، أما المضمون الإجتماعي فلم يغفله رحمه الله كعادته، بل تحدث عنه ضمن فقرات مختلفة من هذه الرحلة

وخلاصة القول فهذه الرحلة تحتوي على 1100 بيت، نظمها المؤلف في بحر الكامل، وهي في غاية ما تكون من الضبط والإتقان

تذكيره بفوائد السفر
وحثه على تنشيط السياحة الداخلية

خصص المؤلف في مستهل هذا النظم فقرة لمدح السفر وذكر بعض مزاياه، فساق في هذه الفقرة جملة من الفوائد الهامة في هذا الباب، وذلك انطلاقا من آداب السنة النبوية وأحكامها المنيفة، ولم يفته في هذا الإطار تحفيز المواطنين على ضرورة التعرف على جهات وطنهم وأقاليمه، ونبه على أنه من العار على المواطن أن يتعرف على دول أجنبية ويتفسح فيها بينما يجهل في الوقت نفسه جهات كثيرة من بلاده ولا يعرف عنها شيئا.

الطرق التي سلكها

اختار المؤلف أن تنطلق رحلته هذه ذهابا على طريق المدن الساحلية، وأن يكون الإياب عن طريق مدينة مراكش والحوز ، هادفا بذلك أن تتسع رحلته لجهات وقبائل كثيرة كان يود زيارتها وتفقد أصدقائه وأحبابه بها.

وبناء عليه كانت هذه الرحلة ولله الحمد عامة شاملة لمزايا وخصائص جمة، ولا يفوتنا التنبيه على أن عدد الكيلومترت التي قطعتها سيارته في هذه الرحلة يفوق 2500 كلم، وهو رقم لا يستهان به، خاصة إذا وضعنا في الأذهان نوعية الطرق التي سلكها وما هو معبد منها وما هو غير معبد، بالإضافة لسيارته ومقدار تحملها، وما إلى ذلك من طاقات آخرى.

جانب التراجم في هذه الرحلة

كعادة المؤلف في سائر مؤلفاته [لاسيما منها المتعلقة بالرحلات] لم يغفل في هذه الرحلة جانب الترجمة لمن اجتمع به من علماء وأدباء وشرفاء وأخيار وقواد وباشوات وغيرهم، وتختلف هذه التراجم ما بين كبيرة وصغيرة، حسب منزلة الشخص ونسبه ووزنه العلمي والثقافي والإداري وما إليه.

وعموما فقد أدمج المؤلف في هذه الرحلة أسامي ما يزيد على 140 شخصا، منهم من التقى به بالعاصمة العلمية [فاس] ومنهم من اجتمع به ضمن فعاليات هذه الرحلة، انطلاقا من مدينة سطات إلى صميم قلب منطقة سوس بآكادير وتزنيت وتارودانت وغيرها.

حبه لمسقط رأسه فاس

اختار المؤلف أن يستهل نظمه لهذه الرحلة بذكر فضائل مسقط رأسه [فاس] ومزاياها وخصائصها، وما لها من أولويات جمة، وهي عادة دأب المؤلف على اتباعها في كثير من مؤلفاته ومسامراته وتقاييده وخطبه، مما يدل على أنه كان مغرما بهذه المدينة، متفانيا في حبها، لا تفوته فرصة التنويه بها في أي محفل يحضره، ومن هذا القبيل قوله ضمن هذه الرحلة :

فَاسٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا فَاسٌ لَهَا * فَخْرٌ عَلَى البُلْدَانِ فِي الأَوْطَانِ
فَالعِلْمُ يَنْبَعُ مِنْ صُدُورِ أُنَاسِهَا * كَمِيَاهِهَا نَبَعَتْ مِنَ الحِيطَانِ
مَا كَادَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ عَنْ هَوًى * إِلَّا وَكَانَ بِهَا رَهِينَ تَعَانِ
هِيَ غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مُبْغِضِ أَهْلِهَا * أَهْلِ النُّهَى وَالفَضْلِ وَالإِتْقَانِ
عُلَمَاؤُهَا كَادُوا يَكُونُوا أَنْبِيَا * يُوحَى لَهُمْ مِنْ حَضْرَةِ العِرْفَانِ
صُلَحَاؤُهَا يَعْنُوا لَهُمْ أَهْلُ العُلَى * خُصُّوا بِسِرٍّ حَظِيرَةِ الإِحْسَانِ
جُهَّالُهَا فَاقُوا أَفَاضِلَ غَيْرِهَا * فِي الذِّكْرِ وَالذِّكْرَى بِلَا نُكْرَانِ

محاربته للغلو في الدين والتطرف

لم يترك المؤلف فرصة هذه الرحلة تمر دون أن يتحدث عن خطر التطرف والتشدد في الدين، وضرورة محاربة هذه الآفة واستئصالها، وكان أحد تلامذته وهو الأديب السيد محمد بن الحاج فاتح الصفريوي، كان قد مال سابقا لجماعة من الشبيبة المتطرفة بمدينة فاس، وكانت هذه الجماعة تدعو حسب زعمها إلى إعادة النظر في شؤون الدين، ومحاربة بعض العادات والأعراف الإجتماعية

بالمدينة المذكورة، إلى غير ذلك من مناهظة الطرق الصوفية والزوايا والأضرحة وغيرها، وقد تم *القضاء على هذه الظاهرة إذ ذاك* بفضل تضافر جهود العلماء والولاة والأخيار وأهل الحل والعقد.
وكان هذا الشاب المذكور ممن غرر بهم ضمن هذه الجماعة المتطرفة، فاعتقل حينئذ ضمن من اعتقلوا منهم، لكنه عاد لصوابه بفضل النصائح السديدة التي وجهها له المؤلف شيخه العلامة سيدي أحمد سكيرج، ولهذا قال فيه بعدما التقاه في هذه الرحلة :

وَلَقِيتُ ذَا الفَتْحِ ابْنَ فَاتِحٍ الَّذِي * بِالوِدِّ قَدْ أَسْكَنْتُهُ بِجِنَانِ
وَأَقَمْتُهُ وَلَدًا لِقَلْبِيَ إِذْ رَعَى * عَهْدِي وَعَهْدِي مَنْ وَعَاهُ رَعَانِي
مَا كَانَ مِنْ مُتَطَرِّفِي الشُّبَّانِ بَعْـ * ـدَ مُصَابِهِ فِي مَجْمَعِ الشُّبَّانِ
وَإِذَا أُصِيبَ بِالامْتِحَانِ فَقَدْ يُصَا * بُ بِالامْتِحَانِ فَتًى وَلَيْسَ بِجَانِي
وَلَقَدْ نَصَحْتُ لَهُ فَكَانَ قُبُولُهُ * لِنَصِيحَتِي مِمَّا بِهِ أَرْضَانِي
قَدْ كَانَ فِي فَاسٍ لَدَيَّ مُلاَزِمِي * حَتَّى رَجَعْتُ لِمَوْضِعِي بِأَمَانِ

جانب الزجر والهجاء في هذه الرحلة

لم ينحى العلامة سكيرج لجانب الهجاء في هذه الرحلة إلا قليلا، نظرا لعادته المتمثلة في عدم اللجوء لهذا الجانب إلا عند الضرورة، وهجاؤه ضمن هذا النظم هو لأهالي المدينة التي كان يقطنها ويدير بها خطة القضاء حينذاك [سطات] وليس هو بالهجاء القاسي، لكنه في قالب النصح والتوبيخ والموعظة، وقد سقت في هامش الأبيات المتعلقة بهذا الهجاء نص ما قاله المؤلف في حق هذه المدينة من خلال كتاب آخر له، وهو كتاب الحجارة المقتية، لكسر مرآة المساوئ الوقتية، وذلك لتقريب الفكرة وتوضيحها للقارئ الكريم.
وعموما فقد قال المؤلف مودعا ابنه الأستاذ عبد الكريم سكيرج، وآمرا إياه أن ينوب عنه في موضعه بمدينة سطات إلى أن يعود إليها

وَأَمَرْتُهُ بِمَقَامِهِ فِي مَوْضِعِي * حَتَّى أَعُودَ وَلَيْسَ ذَا عِصْيَانِ
وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ سَطَّاتًا لَهُ * سُكْنَى لِمَا يَلْقَى مِنَ السُّكَّانِ
لَوْلاَ العُذُولُ وَبَعْضُ قُوَّادٍ بِهَا * لَعَدَلْتُ عَنْهَا تَارِكًا لِمَبَانِي
هِيَ بَلْدَةُ الأَهْوَاءِ طَابَ بِهَا الهَوَا * وَالمَاءُ عَذْبٌ لَذَّ لِلظَّمْآنِ

بَـلَـدٌ بِـهَـا قَـضَّـيْـتُ أَعْـوَامًـا بِـهَـا * لَـوْلَا الـمُـرُوءَةُ قُـلْـتُ فِـي شَـنَـآنِ
لَـوْلَا اضْطِبَارِي وَالرِّضَى بِقَضَا القَضَا * مَـا كُـنْـتُ فِـيـهَـا نَـاشِـرًا عِـرْفَانِـي
إِنِّـي لَآسِـفُ حَيْثُمَا انْـتَـفَـعُوا بِـهَـا * وَلَـوْ أَنَّـهُـمْ حُـسِـبُـوا مِـنَ الأَعْـيَـانِ
وَلَـقَـدْ غَـرَسْتُ لَـهُـمْ رِيَـاضَ مَـعَـارِفٍ * لَـكِـنْ سِـوَاهُـمْ كَـانَ هُـوَ الـجَـانِـي
وَلَـهُـمْ وَلِـي أَرْجُـو مِـنَ الـلَّـهِ الـكَـرِيـ * ـمِ الـلُّـطْـفَ وَالـتَّـوْفِـيـقَ كُـلَّ أَوَانِ
وَلَـقَـدْ تَـرَكْـتُـهُـمُ وَلَـسْـتُ بِـتَـارِكٍ * مِـنِّـي الـدُّعَـاءَ لَـهُـمْ بِـكَـشْـفِ الـرَّانِ

الجانب الفقهي في هذه الرحلة

لم يغفل العلامة سكيرج في هذه الرحلة عن إظهار بعض اهتماماته العلمية، لاسيما منها الفقه، فتحدث في هذا الإطار عن زيت أركان وما يجب فيها من الزكاة، واستطرد في الصدد نفسه للحديث عن بعض فتاويه السابقة فيما يتعلق بالفول السوداني والخرطال، وقد أطال الكلام في هذا الموضوع بما يزيد على الصفحتين.

كما توسع في الإجابة عن سؤال متعلق باللواط وضعه عليه باشا تارودانت العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنقيطي

كما تحدث أيضا عن الحزب القرآني الراتب في ضريح الشيخ أبي محمد صالح بمدينة آسفي، حيث رأى جماعتين اثنين يقرؤون الحزب الراتب في وقت واحد، هؤلاء يقرؤون في جهة المحراب، وهؤلاء يقرؤون في جهة الباب الفوقاني، فأعطى رحمه الله نصيحته للجماعتين معا بأن الأليق هو الإجتماع للقراءة الحزب في مكان واحد وجماعة واحدة، لما في ذلك من الأدب الحميد، ولما فيه أيضا من دفع التشويش واختلاط الأصوات والضجيج وغيره، فقال في هذا الصدد :

وَدَخَـلْـتُ مَـسْـجِـدَهَـا الـكَـبِـيرَ وَقَـدْ نَـشَـ * ـطْـتُ لِـمَـا بِـهِ يُـتْـلَـى مِـنَ الـقُـرْآنِ
وَبِـهِ رَأَيْـتُ تَـعَـدُّدَ الأَحْـزَابِ فِـي * مِـحْـرَابِـهِ وَبِـبَـابِـهِ الـفَـوْقَـانِـي
لَـوْ كَـانَ فِـيـهِ الـحِـزْبُ مُـتَّـحِـدًا لَـهُـمْ * مَـا كَـانَ تَـشْـوِيـشٌ عَـلَـى الآذَانِ
وَلَأَنْ جَـرَى الـعَـمَـلُ الـقَـدِيـمُ بِـهِ لِـهَـ * ـذَا الـوَقْـتِ فَـالـتَّـوْحِـيدُ فِـيـهِ مَـعَـانِـي
لَا سِـيَـمَـا بِـالـقُـرْبِ مِـمَّـنْ يَـقْـرَؤُ * نَ وَيَـذْكُـرُونَ جَـمَـاعَـةً فِـي آنِ
فَـالأَلْـيَـقُ الـمَـحْـمُـودُ جَـمْـعُ تِـلَاوَةٍ * أَوْ لَا فَـيَـقْـرَأُ أَوَّلُـونَ فَـثَـانِـي

كما تحدث المؤلف عن بعض المحدثات التي ظهرت بين الناس وقتئذ، كحلق اللحى، وارتداء *الملابس الأجنبية*، *والجلوس في المقاهي*، وشرب الدخان، وتناول الخمور، وما إلى ذلك، فقال :

لَا يَنْبَغِي حَلْقُ اللِّحَى مِنْهُمْ وَلَا * لَبْسُ الطَّوِيلِ وَهُمْ ذَوُو إِيمَانِ

أَوَلَا يَضُرُّ بِهِمْ جُلُوسُهُمُ عَلَى * هِنْدَامِ قَوْمٍ مِنْ ذَوِي الخِذْلَانِ

وَبِنَا يَضُرُّ وُقُوفُهُمْ فِي مَوْقِفِ الـ * ـتُّهَمِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى شَنَآنِ

مِثْلَ الجُلُوسِ عَلَى الكَرَاسِي فِي المَقَا * هِي فِي مَقَاعِدِ شَارِبِي الكِيسَانِ

وَتَجَاهُرٌ مِنْهُمْ بِمَا لَا يَنْبَغِي * وَتَنَاوُلُ الصَّهْبَا وَشُرْبُ دُخَانِ

وَتَدَاخُلٌ مَعَ ذِي فُضُولٍ فِي المَلَا * وَدُخُولُهُمْ لِمَرَاسِحِ النِّسْوَانِ

وكان المؤلف قد تأخر عن الذهاب لمدينة فاس مدة غير قصيرة، فلما زارها في هذه الرحلة أثارت انتباهه ظاهرة حلق اللحي بين الشباب وطلاب العلم وغيرهم، وهي ظاهرة غريبة لم يعهدها سابقا بالمدينة المذكورة، فاستنكرها بشدة قائلا :

بَلَدِي العَزِيزَةُ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُطِلْ * فِيهَا الإِقَامَةَ فِي قُصُورِ جِنَانِ

مِنْ بَعْدِمَا اسْتَنْكَرْتُ حَالَةَ بَعْضِهِمْ * شَابُوا وَهُمْ فِي هَيْئَةِ الشُّبَّانِ

حَلَقُوا اللِّحَى وَالحَلْقُ أَصْبَحَ عَادَةً * لَهُمُ كَأَنَّهُمُ مِنَ النِّسْوَانِ

مَا وَقَّرُوا الشَّيبَ الوَقُورَ وَلَا اللِّحَى * إِنَّ اللِّحَى مِنْ زِينَةِ الذُّكْرَانِ

كُنَّا بِعَصْرِ زَمَانِنَا نَهْجُو الَّذِ * ينَ بِحَلْقِهَا صَارُوا مِنَ المُرْدَانِ

بَلْ حَلْقُهَا قَدْ كَانَ أَقْبَحَ مُثْلَةٍ * فِي النَّاسِ عَنْ إِذْنٍ مِنَ السُّلْطَانِ

وَاليَوْمَ أَصْبَحَ فِي الشَّبَابِ المُلْتَحِي * يَرْمُونَهُ بِكُدُورَةِ الأَذْقَانِ

ذَهَبَتْ وَحَقِّكَ سُنَّةُ المُخْتَارِ فِي * تَوْقِيرِهَا فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ

لَمْ يَحْلِقِ المُخْتَارُ لِحْيَتَهُ وَلَا * مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنَ الصُّحْبَانِ

يَا قُبْحَهَا مِنْ عَادَةٍ فِي حَلْقِهَا * وَلَوْ أَنَّ غَيْرِي قَالَ بِاسْتِحْسَانِ

كُلٌّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ نِحْلَةٍ * مُتَمَسِّكٌ وَأَنَا مَعَ العَدْنَانِي

فَلْيَحْلِقُوا أَذْقَانَهُمْ أَوْ يَخْلُقُوا * شَيْئًا بِدُونِ حَيَا مَدَا الأَحْيَانِ

التقاريظ التي قيلت في هذه الرحلة

قيلت في تقريظ هذه الرحلة قصائد كثيرة، بلغت حسبما وقفت عليه إلى ما يناهز الخمسين تقريظا، لعل من أبرزها تقريظ العلامة الأديب الشهير خاتمة شعراء المغرب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي الإفراني، والعلامة سيدي أحمد بن علي الكشطي التناني، والفقيه الحسن بن علي بن عبد الله بن صالح الإلغي السوسي، وأخوه العلامة الطاهر بن علي بن عبد الله بن صالح الالغي الغساني، والعلامة الأديب أبي العباس أحمد بن زكريا البوعمراني، العلامة محمد بن أحمد بن علي المنوزي السوسي، والعلامة موسى بن العربي الروداني، والعلامة محمد بن أحمد السوسي الأكراري، إلى غيرهم من علماء وأدباء آخرين

تَاجُ الرُّؤُوسِ

بِالتَّفَسُّحِ فِي نَوَاحِي سُوسٍ

للعلامة القاضي سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج

رحمه الله رضي عنه



دراسة وتحقيق

ذ : محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُم صل عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ، وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ.

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّفَرِ فَوَائِدَ وَلَطَائِفَ. فَمَدَحَ عَلَى لِسَانِ المُشَرِّعِ الأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ سَافِرُوا تَصِحُّوا[1] وَإِنْ كَانَ قِطْعَةً مِنَ العَذَابِ[2]. لِمَا فِيهِ مِنْ مُفَارَقَةِ الأَحْبَابِ فَفِيهِ لِلنَّفْسِ اسْتِرَاحَةٌ مِنْ عَنَاءٍ تُعَانِيهِ. وَرَاحَةٌ مِمَّا تُقَاسِيهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا صِلَةُ أَحْبَابٍ وَمُحِبِّينَ. وَرَبْطِ حَبْلِ الحُبِّ بَيْنَ أَقْوَامٍ وَآخَرِينَ. لَكَفَاهُ شَرَفًا عَنْ طُولِ الإِقَامَةِ. مَعَ دَوَامِ الكَرَامَةِ.

وَلَقَدْ طَالَمَا تَمَنَّيْتُ زِيَارَةَ بَعْضِ أَحْبَابِنَا فِي سُوسٍ مِنَ المَغْرِبِ الأَقْصَى، وَالمَقَادِيرُ لَمْ تُسَاعِدْنِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ، حَتَّى عَقَدْتُ النِّيَةَ عَلَى ذَلِكَ بِالمُوَافَقَةِ مَعَ أَخِينَا فِي اللَّهِ المُقَدَّمِ المُعَظَّمِ الفَقِيهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ السُّوسِي مُقَدَّمِ الزَّاوِيَةِ التِّجَانِيَةِ بِالدَّارِ البَيْضَاءِ، زَادَ اللَّهُ فِي مَعْنَاهُ وَبَلَّغَهُ فِي الدَّارَيْنِ مُتَمَنَّاهُ، فَيَسَّرَ اللَّهُ لَنَا فِي رُخْصَةٍ فِي التَّفَسُّحِ مَعَهُ،

وَاقْتَرَحَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَظْمَ أَبْيَاتٍ تَكُونُ لِهَذِهِ الحَرَكَةِ كَالتَّذْكِرَةِ، فَجَرَتْ عَلَى لِسَانِي هَذِهِ النُّونِيَةُ الكَامِلِيَّةُ، المُسَمَّاةُ بِتَاجِ الرُّؤُوسِ، بِالتَّفَسُّحِ فِي نَوَاحِي سُوسٍ، وَهَا أَنَا ذَا أُقَدِّمُهَا تُحْفَةً لِمَنْ زُرْنَاهُمْ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَغَيْرِهِمْ مِنَ الخِلَّانِ وَالأَحْبَابِ، وَاللَّهُ يَنْفَعُ الجَمِيعَ بِجَاهِ النَّبِيِّ الشَّفِيعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ :

---

[1] ـ أنظر مسند الإمام أحمد [مسند أبي هريرة] رقم الحديث 8588

[2] ـ إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنْ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ [كتاب الحج] باب السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنْ الْعَذَابِ، رقم الحديث 1677

سِـرْ بِـي إِلَـى سُـوسٍ بِـكُـلِّ أَمَـانِ * فِـي سِـرْبِ إِخْـوَانٍ ذَوِي إِيـمَـانِ
وَمُـقَـدَّمٍ مِـنْـهُـمْ أَجَـلُّ مُـقَـدَّمٍ * شَـرُفَـتْ بِـهِ الـبَـيْـضَاءُ مِـنْ أَوْطَـانِـي
فَـهْوَ الَّـذِي قَـدْ كَـانَ لِـي مُسْتَنْهِضًا * لِـتَـفَـسُّحٍ وتَـفَـقُّـدِ الإِخْـوَانِ
أَكْـرِمْ بِـهِ فَـهُـوَ الأَجَـلُّ مُـحَـمَّـدُ * بْـنُ عَـلِـيٍّ الـسُّوسِي[1] الرَّفِـيعُ الـشَّـانِ
أُثْـنِـي عَـلَـيْـهِ بِـمَـا أَشَـارَ بِـهِ عَـلَـ * يَّ وَلَـمْ أَكُـنْ فِـي الأَمْـرِ بِالْمُتَوَانِي

{مَـدْحُ الـسَّـفَرِ وَذِكْـرُ بَـعْـضِ فَـوَائِـدِهِ}

إِنَّ الـمُـسَـافِرَ لَـيْـسَ يَـعْـدَمُ صَـاحِـبًـا * يُـسْـلِـيـهِ عَـنْ أَهْـلٍ وَعَـنْ إِخْـوَانِ
يُـجْـدِيـهِ نَـفْـعًـا ظَـاهِـرًا أَوْ بَـاطِـنًـا * وَيَـذُبُّ عَـنْـهُ طَـوَارِئَ الـحَـدَثَـانِ
وَلَـرُبَّـمَـا الأَقْـدَارُ سَـاقَـتْـهُ إِلَـى * أَخْـذٍ بِـأَيْـدِي الـنَّـاسِ دُونَ تَـعَـانِ
فَـيُـفِـيـدُهُـمْ أَوْ يَـسْـتَـفِـيـدُ فَـوَائِـدًا * مِـنْـهُـمْ وَذَلِـكَ مَـقْـصِـدُ الأَعْـيَـانِ
وَيُـفِـيـدُهُـمْ حُـكْـمًـا وَيُـحْـرِزُ حِـكْـمَـةً * أَوْ نَـيْـلَ شَـيْءٍ لَـيْـسَ فِـي الـحُـسْـبَانِ
وَلَـرُبَّ مَـجْـذُوذٍ يَـنَـالُ عِـنَـايَـةً * فِـي رِحْـلَـةٍ وَسِـوَاهُ أَصْـبَـحَ عَـانِـي
إِنْ كُـنْـتَ ذَا مَـالٍ فَـكُـنْ فِـي رَاحَـةٍ * وَاشْـدُدْ عَـلَـيْـهِ بِـرَاحَـةِ الـضَّـنَـانِ[2]
وَمَـتَـى تَـكُـونُ بِـغَـيْـرِ مَـالٍ فَـلْـتَـكُـنْ * مِـمَّـنْ يَـرَاهُ الـنَّـاسُ عَـنْـهُـمْ غَـانِـي
إِيَّـاكَ تُـظْـهِـرُ حَـالَ فَـقْـرِكَ بَـيْـنَـهُـمْ * كَـيْـلَا تُـصَـابَ لَـدَيْـهِـمُ بِـهَـوَانِ

---

[1]- الفقيه العلامة محمد بن علي بن الحسين التزروالتي السوسي المجاطي. مقدم الزاوية التجانية بالمدينة العتيقة بالدار البيضاء. ولد بتزروالت، وفيها حفظ القرآن الكريم. ثم أخذ العلم عن عدة فقهاء منهم : سيدي مسعود الطالبي في قرية المعدر بجوار مدينة تزنيت، وذلك بمدرسة بونعمان، ثم انتقل لمدرسة أدوز في قبيلة بعقيلة، فأخذ فيها عن الفقيه سيدي محمد بن العربي الأدوزي. ثم استقر بمدينة مراكش عام 1308هـ. فقرأ فيها بمدرسة ابن يوسف على الفقيه العلامة سيدي العربي بن علال الرحماني. والشريف سيدي محمد بن إبراهيم السباعي. والعلامة الحاج محمد أوزنيت السوسي.

ثم انتقل لمدينة الدار البيضاء عام 1314هـ. ودخل في خطة العدالة سنة 1316هـ، وكان من أخص أصدقاء العارف بربه العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج. وبينهما رسائل وأجوبة كثيرة حول شؤون الطبع وتوزيع الكتب وغير ذلك. انظر ترجمته في رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 170.

[2]ـ الضنان : البخيل

أَظْهِرْ غِنَاكَ فَإِنَّهُ بِكَ يَرْتَقِي * لِمَرَاتِبٍ مَرْفُوعَةِ الأَرْكَانِ
وَاحْذَرْ مِنَ السَّفَرِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى * شَرٍّ وَيَقْضِي بِانْحِطَاطِ مَكَانِ
خُذْ رُخْصَةَ التَّسْرِيحِ فِيهِ وَكُنْ لِمَنْ * لَاقَيْتَ مُتَّضِعًا أَخَا إِذْعَانِ
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَحَلِّ حُكُومَةٍ * فَاطْبَعْ عَلَى التَّسْرِيحِ[1] دُونَ تَوَانِ
فَلَرُبَّمَا رَدَّتْكَ عَنْ قَهْرٍ لِمَوْ * طِنِكَ البَعِيدِ فَظَاظَةُ الأَعْوَانِ
فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ مُعَنَّفًا * وَتَكُونَ مَسْئُولًا كَأَنَّكَ جَانِي
سِرْ فِي البِلَادِ إِذَنْ فَتَغْنَمَ صِحَّةً * وَاسْلُكْ سَبِيلَ الأَمْنِ فِي اطْمِئْنَانِ
وَأَرِحْ مِنَ الأَشْغَالِ فِكْرَكَ سَاعَةً * وَاتْعَبْ لِتَكْسِبَ رَاحَةَ الأَبْدَانِ
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَكُنْ فَتًى مُتَجَمِّلًا * مُتَحَمِّلًا لِلصَّبْرِ فِي الجَوَلَانِ
حَتَّى تَعُودَ قَرِيرَ عَيْنٍ بِالَّذِي * شَاهَدْتَ مِنْ رِبْحٍ وَمِنْ خُسْرَانِ
فَتَكُونَ مِمَّنْ جَالَ بَلْ عَرَفَ الرِّجَا * لَ حَقِيقَةً فِي الفَقْدِ وَالوُجْدَانِ
مَنْ لَمْ يَجُلْ فَهْوَ الصَّبِيُّ وَإِنَّمَا ال * رَّجُلُ الَّذِي قَدْ جَالَ فِي الأَوْطَانِ
وَاعْرِفْ نَوَاحِيَ قُطْرِكَ السَّامِي وَجُلْ * فِيهِ بِوَادِيهِ مَعَ البُلْدَانِ
فَالعَارُ يَلْحَقُ عَارِفِي الوَطَنِ البَعِي * دِ وَفِي المَوَاطِنِ يَجْهَلُونَ الدَّانِي

{السَّفَرُ إِلَى فَاسٍ قَبْلَ السَّفَرِ إِلَى سُوسٍ}

وَأَنَا الَّذِي لَمَّا عَزَمْتُ عَلَى التَّرَحُّ * لِ قُمْتُ فِي أَمَلِي لِنَيْلِ أَمَانِي

---

[1]- التسريح : جرت العادة إبان عهد الإستعمار الفرنسي للمغرب أنه من المحذور على أي شخص أن يغادر مدينته إلى مدينة أخرى داخل الوطن أو خارجه إلا بتسريح من طرف سلطات الإحتلال، وعن موضوع التسريح ووجوبه داخل المغرب أو خارجه يقول العلامة سكيرج في كتابه شبه رحلة إلى الجزائر : فوصلت للدار البيضاء صباح يوم الجمعة تاسع وعاشر الشهر المؤرخ به للتعجيل باستعمال التسريح القانوني الذي لابد منه لمريدي السفر خارج الإيالة، وأخذ رخصة السفر من قطر إلى قطر من الأمر الأكيد في حق من يريد اطمئنان نفسه طول مدة السفر، حتى لا يحصل له امتحان بتساهله في استصحابه معه، مراعيا في ذلك القواعد العرفية بالطبع عليه في الإدارات المكلفة في كل ناحية بذلك.

فَطَلَبْتُ رُخْصَتِيَ الَّتِي لَا بُدَّ لِي * مِنْهَا وَلَمْ أَرْحَلْ بِلَا اسْتِيذَانِ

لَكِنَّنِي قَضَّيْتُ غَالِبَ شَهْرِيَ الـ * ـمَمْنُوحِ لِي فِي زَوْرَةِ التِّجَانِي[1]

فَأَقَمْتُ فِي فَاسٍ إِقَامَةَ زَائِرٍ * قَرَّتْ لَهُ بِالرَّاحَةِ الْعَيْنَانِ

فَاسٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا فَاسٌ لَهَا * فَخْرٌ عَلَى الْبُلْدَانِ فِي الْأَوْطَانِ

فَالْعِلْمُ يَنْبَعُ مِنْ صُدُورِ أُنَاسِهَا * كَمِيَاهِهَا نَبَعَتْ مِنَ الْحِيطَانِ

مَا كَادَهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ عَنْ هَوًى * إِلَّا وَكَانَ بِهَا رَهِينَ تَعَانِ

هِيَ غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مُبْغِضِ أَهْلِهَا * أَهْلِ النُّهَى وَالْفَضْلِ وَالْإِتْقَانِ

عُلَمَاؤُهَا كَادُوا يَكُونُوا أَنْبِيَا * يُوحَى لَهُمْ مِنْ حَضْرَةِ الْعِرْفَانِ

صُلَحَاؤُهَا يَعْنُوا لَهُمْ أَهْلُ الْعُلَى * خُصُّوا بِسِرٍّ حَظِيرَةِ الْإِحْسَانِ

جُهَّالُهَا فَاقُوا أَفَاضِلَ غَيْرِهَا * فِي الذِّكْرِ وَالذِّكْرَى بِلَا نُكْرَانِ

فِي سَفْرَتِي هَذِي اجْتَمَعْتُ بِجِلَّةٍ * فِيهَا سَأَنْظُمُهُمْ كَعِقْدِ جُمَانِ

فَدَخَلْتُ زَاوِيَةً بِهَا قَبْرُ الرِّضَى * شَيْخِي التِّجَانِي الْعَارِفِ الصَّمَدَانِي

لِلَّهِ زَاوِيَةٌ سَمَتْ فِي رِفْعَةٍ * مَنْ حَلَّ فِيهَا نَالَ كُلَّ أَمَانِ

---

[1]- الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني الحسني، صاحب الطريقة التجانية، أحد أشهر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارًا في العالم، خصوصا في القارة الإفريقية السمراء، هو من مواليد قرية عين ماضي بالصحراء الشرقية عام 1150 هـ، كان أجداده يقطنون سابقا بمنطقة عبدة من إقليم مدينة آسفي بالمغرب، ثم انتقل جده الرابع [سيدي محمد بن سالم] إلى الصحراء، واستوطن قرية عين ماضي، وبها بقيت نسبة كبيرة من أبنائه إلى الآن.

أما الشيخ سيدي أحمد التجاني فقد استوطن بمدينة فاس خلال العقدين الأخيرين من عمره، ووجد بها ترحابا كبيرًا من طرف سلطان المغرب وقتئذ المولى سليمان، الذي صار فيما بعد من جملة تلامذته وأتباعه، كما أهدى له دارًا فخمة بمدينة فاس كانت تسمى إذ ذاك بدار المراية.

توفي رضي الله عنه بمنزله المذكور بمدينة فاس يوم الخميس 17 شوال عام 1230 هـ ـ 21 شتنبر 1815م، ودفن بزاويته الكبرى بحي البليدة بفاس، وقد أُلِّفَتْ في حقه عشرات الكتب إن لم نقل المآت، منها كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض الشيخ أبي العباس التجاني، لتلميذه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة، والجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، لتلميذه العارف بالله سيدي محمد بن المشري، والإفادة الأحمدية، لمريد السعادة الأبدية، لتلميذه الشريف سيدي الطيب السفياني، وبغية المستفيد، لشرح منية المريد، للعلامة الولي الصالح، سيدي محمد العربي بن السائح وغيرها.

فِـيـهَـا اجْـتَـمَـعْـتُ بِـسَـيِّـدِي الـسَّـنَـدِ الأَجَـ * ـلِّ الـطَّـيِّـبِ بْـنِ الأَحْـمَـدِي الـسُّـفْـيَـانِـي[1]

هُـوَ شَـيْـبَـةُ الـحَـمْـدِ الـمُـبَـارَكَـةِ الَّـتِـي إِنْ * تَـشْـرَتْ لَـهَـا الـبَـرَكَـاتُ فِـي الـبُـلْـدَانِ

فِـي بَـابِ صَـوْمَـعَـةٍ هُـنَـاكَ مَـقَـامُـهُ * فِـي طَـاعَـةِ الـمَـوْلَـى بِـقَـلْـبٍ هَـانِـي

مُـسْـتَـقْـبِـلًا وَمُـقَـابِـلًا ذَاكَ الـضَّـرِيـ * ـحَ كَـأَنَّـهُ فِـيـهَـا بِـقَـصْـرِ جِـنَـانِ

وَلَـطَـالَـمَـا اسْـتَـدْعَـيْـتُـهُ لِـيَـكُـونَ لِـي * كَـالـشَّـيْـخِ بَـنِّـيـسَ الـرَّفِـيـعِ الـشَّـانِ

---

[1]- الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري السفياني، أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، و هو حفيد الفقيه البركة سيدي الطيب السفياني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، والمعروف عن جده المذكور أنه كان من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

أما المترجم فهو من مواليد مدينة فاس عام 1262هـ، و بها نشأ في بيئة دينية فاضلة، فما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى تمسك بورد الطريقة التجانية إسوة بوالده و جده، اللذان يعدان من خيرة أعلام الطريقة المذكورة، وكان والده أحمد السفياني هو أول من لقنه أوراد هذه الطريقة، و ذلك في خضم سنة 1280هـ، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من الأفاضل، في مقدمتهم الشريف البركة سيدي محمد البشير التجاني، و أحمد العبدلاوي، و علال بن عبد الله الفاسي، و الحسين الإفراني و آخرون.

توفي بعد زوال يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ_17 يناير 1939م، و صلي عليه بعد صلاة العصر بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، و دفن خارج باب عجيسة بجانب قبري والده و جده، و قد رثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة افتتحها بقوله :

أأحباب قلبي هل تعيرون لي صبرا * على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا

فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدته * لديها إذا ما غيرها وجد الصبرا

فقدتُ الرضى السفياني الطيّب الذي * بأفق طريق الشيخ كان بَدا بدرا

إلى أن قال :

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا * لنفع مريدي الخير بالذكر و الذكرى

على فقده فليبك من كان باكيا * و لم يعتذر في حقه من بطن الدهرا

إلى أن ختمها بقوله :

لإن كانت الأحباب واروه في الثرى * فإني في صدري جعلت له قبرا

عليه من الرحمان نفحة رحمة * بها سائر الأكوان قد ضمخت عطرا

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 52. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوي 2: 63_65. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 42.

فِـي كُـلِّ عَـامٍ كَـانَ يَحْضُرُ سَاحَتِي * زَمَـنَ الرَّبِيعِ[1] وَلَـمْ يَكُـنْ يَنْسَانِي

فَيَقُولُ لِـي إِنِّـي لَأَخْشَـى أَنْ أَمُـو * تَ بِـغَيْرِ بَلْدَةِ شَيْخِنَا التِّجَانِي[2]

لَا لَا أُفَـارِقُـهُ إِلَـى أَنْ يَنْقَضِيَ * عُـمْرِي وَأُدْرَجَ فِـي رِدَا أَكْفَانِـي

أَمَّـا ابْـنُهُ الغَالِي[3] المُنَوَّرُ وَجْهُهُ * فَـعَلَيْهِ سِيمَا الـوَارِثِ الرَّبَّانِـي

مُتَقَدِّمٌ فِـي الفَضْلِ لَيْسَ بِمُدَّعٍ * شَيْئًا مِـنَ الأَسْرَارِ وَالعِرْفَانِ

وَعَلَيْهِ قَـدْ نَشَرَ الوَقَارُ لِـوَاءَهُ * فَـغَدَا كَبِيرَ القَدْرِ فِـي الأَعْيَانِ

لَاقَيْتُهُ لَـمَّا جَلَسْتُ بِجَنْبِ وَا * لِـدِهِ قُبَالَةَ شَيْخِنَا الفَرْدَانِـي

---

[1]- كان العلامة سيدي عبد الكريم بنيس غالبا ما يقضي شهر مارس بمدينة الجديدة في ضيافة تلميذه [المؤلف] الذي كان عندئذ قاضيا لهذه المدينة ونواحيها، وقد وقفت على كثير من الرسائل التي تفيد هذا الموضوع، وعلمت من خلالها أيضا أنه كان يلقي بعض الدروس بالزاوية التجانية هناك، وأنه ضرب صلات عميقة ببعض أعلامها، كالعلامة الفيلسوف الشهير سيدي محمد الرافعي، ومقدم الزاوية سيدي محمد السوسي، وخليفته سيدي إدريس بن المختار وآخرين.

[2] ـ كان العلامة سيدي عبد الكريم بنيس كثيرا ما يقول : أنا من جيران مولانا الشيخ رضي الله عنه في الحياة الدنيا، وأريد أن أكون جاره أيضا بعد الممات، ومن غريب ما يذكر في هذا الصدد أنه سافر في السنة التي توفي فيها إلى مدينة سطات، لزيارة تلميذه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، وكان من عادته أن يزوره ضمن فصل الربيع، لكن زيارته هذه المرة تأخرت إلى حدود الصيف، وعلى وجه التحديد إلى شهر يونيه، فأقام عنده شهرا كاملا، وهي ثاني مرة يزوره فيها بمدينة سطات، وكان العلامة سكيرج حديث العهد بالتولية فيها، ثم ودعه وعاد إلى موطنه بفاس، فلم يمكث به سوى شهر حتى جاء نبأ وفاته رحمه الله

[3]- سيدي الغالي بن الشريف البركة سيدي الطيب السفياني، من مقدمي الطريقة التجانية، قال عنه العلامة سيدي إدريس العراقي في كتابه الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية : المقدم الجليل، الحازم الضابط الشريف النبيل، ذو الشيبة المنورة، والأخلاق الحسنة والشيم الفاضلة، سيدي الغالي بن الطيب السفياني رحمه الله ورضي عنه.

هذا السيد كان مقدما في حياة والده، وكانت لديه تقاديم كثيرة ، منها ما هو من طرف والده الشريف البركة سيدي الطيب السفياني، ومنها ما هو من طرف بعض أبناء مولانا الشيخ رضي الله عنه، وكان ضابطا حازما في دينه وطريقته، لا يؤخره عن أداء صلاة من الصلوات برد الشتاء ولا حر الصيف، وكان يبالغ في الطهارة وإتقان الصلاة وتجويد الفاتحة وذكر أوراده وغير ذلك من أعماله، وتوفي رضي الله عنه في ليلة الثلاثاء منتصف رجب عام 1367هـ ـ 24 ماي 1948م، عن سن 75 سنة، ودفن بجبل زعفران، عند رجل ضريح جده خارج باب العجيسة.

وَلَقِيتُ ثَمَّ أَبَا عَلِي الحَسَنَ الرِّضَى * مَزْوَرْنَا العَالِي عَلَى الأَقْـ[1]

وَعَلَيَّ أَقْبَلَ بَلْ تَفَضَّلَ بِالجُلُو * سِ مَعِي وَقَابَلَنِي بِمَا أَرْضَانِـ

وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِنَجْلِ شَيْخِي المُرْتَضَى * بَنِّيسَ عَبْدِاللَّهِ[2] حُبِّي الثَّانِـ

وَرِثَ المَحَبَّةَ عَنْ أَبِيهِ فَكَانَ لِي * نِعْمَ المُحِبُّ وَفِيهِ لِي حُبَّـ

حُبٌّ بِهِ قَابَلْتُ حُسْنَ وِدَادِهِ * وَالحُبُّ مِنِّي يَانِعُ الأَفْنَـ

---

[1]- العلامة الفقيه المقدم سيدي الحسن بن عمر بن الحاج إدريس مزور، ولد بمدينة فاس في شهر جما الثانية عام 1286هـ، وبعد حفظه للقرآن الكريم دخل لجامعة القرويين عام 1302هـ، فأخذ بها عن مجموعة أكابر العلماء، في مقدمتهم العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي مـ فتحا بن قاسم القادري، والفقيه سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلو والعلامة سيدي التهامي كنون وغيرهم. وتقيد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد الفقيه سيـ محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وهو الذي أجازه فيها أولا، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة الولي الصـ سيدي العربي بن إدريس العلمي اللحياني الموساوي.

وله رحمه الله مواقف وطنية كبيرة، منها أنه كان من جملة الموقعين على عريضة طلب الإستقلال عام 944 وعند حصول المغرب على استقلاله عين رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين، لكنه توفي بعد ذلك بـ ليلة الخميس فاتح شوال عام 1376هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر من يوم الخميس بالمدرسة العنانية الشـ بالمتوكلية، ودفن بزاوية سيدي المكتفي العلوي بدرب مولاي عبد المالك بالطالعة الكبرى بفاس.

ومن مصنفاته رحمه الله : السيوف المهندة السنان لمستعمل التبغ من الإخوان، فقها وطبا، والحلل الزنجفو على البردة البوصيرية، في جزءين، وحاشية على تأليف الشيخ الطيب بن كيران في حرف لو، وشرح منظـ الشيخ الطيب بن كيران في المجاز والإستعارة، وتقييد في النهي عن إغلاق المتاجر يوم الجمعة إلا وقت الند وفهرسة جامعة لشيوخه سماها : إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، وشفاء السقيم بمولد النبي الكريم، وغير ذ من الختمات والتقاييد الكثيرة.

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 130، وفي دليل مؤرخ المغـ الأقصى لابن سودة المري ص 192 رقم الترجمة 1149، وفي إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علـ المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 100، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 209.

[2]- عبد الله بن العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بن محمد بن الحاج محمد بن عبد النبي بنيس، الإبن البكر للعلامة المذكور، أما الأبناء الآخرون فهم محمد وعبد القادر وأحمد والعربي، أما سيدي عبد ا فقد توفي بموطنه بفاس عام 1377هـ ــ 1958م، وخلف ابنين اثنين، سيدي محمد وسيدي بنسالم، وكان العلا سيدي أحمد سكيرج مواظبا على مواصلته ومودته باستمرار، خصوصا بعد وفاة والده المذكور، الذي كان قد ا ربه قبل هذا التاريخ بما يقارب ست سنوات.

وَلَدَيَّ حُبٌّ فِي أَخِيهِ[1] وَفِي ابْنِهِ * وَبَنِي الجَمِيعِ عَلَى مَدَا أَحْيَانِي
وَالشَّيْخُ بَنِّيسُ[2] الأَجَلُّ مَقَامُهُ * عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الَّذِي رَبَّانِي

---

[1]- المراد به شقيق العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، وهو السيد محمد المدعو حماد بن العربي بنيس، المتوفي يوم الأحد 11 رجب عام 1328هـ ـ 18 يوليو 1910م، وخلف ستة أبناء، وهم محمد المتوفي بتاريخ 11 شعبان عام 1344هـ ـ 24 فبراير 1926م، والعربي وعبد السلام ومحمد[فتحا] وإدريس وعبد الغني، وكان للعلامة سيدي أحمد سكيرج علاقة مثينة بجميع أفراد هذه العائلة، سواء بشقها الأول أو الثاني

[2]- الفقيه العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي دارا ومنشأ وقرارا، ولد رحمه الله بالعقبة الزرقاء بمدينة فاس في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1267هـ ـ شتنبر 1851م، وبعد حفظه القرآن حفظا متقنا تعاطي لطلب العلوم، فأخذ عن أكابر العلماء والفقهاء بفاس، منهم والده سيدي الحاج العربي بن محمد بن عبد النبي الفاسي دار الأندلسي أصلا، والفقيه العلامة سيدي محمد كنون. وسيدي أحمد بن سودة. ومولاي محمد العلوي. وسيدي الهادي الصقلي. والعلامة سيدي محمد التدلاوي . وسيدي محمد الوزاني. والفقيه سيدي أحمد بن الخياط. وسيدي محمد القادري. وسيدي جعفر الكتاني. والعلامة سيدي أحمد السريفي. والفقيه سيدي إدريس البلغيثي وغيرهم.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها نظمه للحكم العطائية المسمى بواضح المنهاج بنظم ما للتاج، ومنها درة التاج وعجالة المحتاج، ومنها نظمه في التجويد، في أكثر من خمسمائة بيت، وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد العلامة سيدي محمد بن عبد السلام كنون، ثم على البركة العارف بالله سيدي العربي اللحياني الموساوي بزرهون، وقدمه لتلقين أورادها العارف بربه الشريف مولاي أحمد العبدلاوي، ثم حصل بعد ذلك على الإجازة المطلقة من لدن المقدم الشهير سيدي الطيب بن أحمد السفياني

ولتلميذه العلامة سكيرج قصائد كثيرة في مدحه منها قوله في طالعة إحداها :

أحبتنا إنـي مقيم على العهد * فهل عندكم شوق كما فيكم عندي
يؤرقني التذكار في حسن ذاتكم * وأضحى بكم في غمرة هيجت وجدي
أعلل نفسي كل حين بقربكم * ولو لم أعللها لأمسيت في اللحد
أقول لها والشوق خرب أضلعي * وصبر الفتى عند التشوق لا يجدي

وتوفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الإثنين 1 جمادى الأولى عام 1350هـ ـ 14 شتنبر 1931م، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين ودفن خارج باب الفتوح بفاس.

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 45 ، وفي فتح الملك العلام، للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 165.

مَــا قُـلْـتُ هَــذَا عَــنْ هَــوَايَ وَإِنَّـمَـا * هُــوَ صَــادِرٌ عَــنْ بَـاعِـثٍ وِجْـدَانِـي

وَقَـدِ اجْتَمَعْتُ بِحَامِلِ العِلْمِ الصَّحِيـ * ـحِ وَنَـاشِـرِ الـعِـلْـمِ الـرَّفِـيـعِ الـسَّـانِـي

نَـجْـلِ ابْـنِ عَـبْـدِاللَّهِ وَهْـوَ مُـحَـمَّـدٌ[1] * حَـامِـي الـطَّـرِيقَةِ مِــنْ ذَوِي الـنُّـكْـرَانِ

وَلَـقَـدْ أَفَــادَ الـصَّـحْـبَ مِـنْـهُ بِـشَـرْحِهِ * لِـفَـرِيـدَةٍ وَبِــشَــرْحِ حِــزْبِ يَـمَـانِـي

لِــلَّـهِ مِــنْ أُسْـتَـاذِ عِـلْـمٍ زَانَــهُ * عَـمَـلٌ بِـعِـلْـمٍ فِــي رِضَــى الـدَّيَّـانِ

يَــزْدَادُ فِــي الـعَـلْـيَا بِـحُـسْـنِ تَـوَاضُـعٍ * أَعْـلَـى ارْتِـقَـاءٍ فِــي بَـنِـي الإِنْـسَـانِ

هُــوَ مُـكْـرِمِـي حِـسًّـا وَمَـعْـنًـى بِـالَّـذِي * لَــمْ يُـجْـدِيـهِ شُـكْـرًا عَـلَـيْـهِ لِـسَـانِـي

قَــدْ صَــارَ بَـدْرًا فِــي الطَّـرِيـقِ الأَحْـمَـدِي * مُــذْ صَــارَ فِـيـهِ مُـتَـوَّجَ الـتِّـيـجَانِ

{مَــدْحُ الـطَّـرِيـقَـةِ الـتِّـجَـانِـيَـةِ}

نِـعْـمَ الـطَّـرِيقُ أَسَـاسُـهَا الـتَّـقْـوَى مِـنَ الـلَّـ * ـهِ الــكَـرِيـمِ وَكَــامِــلُ الــرِّضْــوَانِ

أَذِنَ الـنَّـبِـيُّ الـشَّـيْـخَ فِـيـهَـا يَـقْـظَـةً * بِـشُـرُوطِـهَـا فِــي الــسِّـرِّ وَالإِعْــلَانِ

لِـمُـرِيـدِهَـا الـبُـشْـرَى بِـمَـا قَــدْ نَـالَـهُ * مِــمَّــنْ تَـلَـقَّـاهَـا بِـخَـيْـرِ ضَـمَـانِ

---

[1] - العلامة الأستاذ سيدي محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الشاوني أصلا، الفاسي موطنا، من خيرة الحفاظ الملمين بأحكام القراءات السبع، ولد بفاس عام 1286هـ ـ 1869م، وبها تلقى العلم عن جماعة من العلماء منهم : سيدي التهامي بن المدني كنون، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي حمان الصنهاجي، وسيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم.

وهو من المتقيدين بعهد الطريقة التجانية، حيث أخذها وأجيز فيها عن جماعة منهم : العلامة سيدي الحاج محمد فتحا كنون، والشريف البركة سيدي محمود حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، والعارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي، والمقدم الملامتي سيدي محمد بن الحاج أحمد بن سلطان الشركي بالقاف المعقودة وغيرهم.

وله تصانيف منها : إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ الحزب السيفي، والزهر الفائح في شرح صلاة الفاتح، وكشف المعاني والأسرار بشرح تحفة أبي عبد الله الفخار لنظم متن الأجرومية، وكمال الفرح والسرور في التحذير من العقوق والحث على البرور، ومولد نبوي، وغير ذلك.

انظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 3، وفي فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 210.

وَالْمُنْكِرُونَ لِفَضْلِهَا مَا حَصَّلُوا * بِنَكِيرِهِمْ فِيهَا سِوَى الْحِرْمَانِ
وَإِذَا الْفَضِيلَةُ لِامْرِئٍ كُتِبَتْ غَدًا * فِيهَا لَهُ حُسْنُ اعْتِقَادٍ جِنَانِ
وَالْفَضْلُ لَيْسَ يَنَالُهُ إِلَّا الْمُصَ * ـدِّقُ مِنْ ذَوِيهِ بِوَارِدِ الإِيمَانِ
مَنْ لَا اعْتِقَادَ لَهُ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ * وَأَخُو الْفَضِيلَةِ لَيْسَ بِالْمَيَّانِ
وَلَقَدْ دَعَا الشَّيْخُ التِّجَانِي لِلْهُدَى * وَطَرِيقُهُ مَرْفُوعَةُ الأَرْكَانِ
إِنِّي أُقَرِّرُهَا لِمَنْ لَمْ يَدْرِهَا * لِيَكُونَ فِيهَا صَاحِبَ الإِيقَانِ
فَإِذَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ قَدِ انْبَنَتْ * لَمْ يَلْتَفِتْ عَنْهَا لِذِي بُطْلَانِ
هِيَ ذِكْرُ أَوْرَادٍ بِهَا قَدْ رُتِّبَتْ * تَرْتِيبَ نَظْمِ جَوَاهِرِ التِّيجَانِ
وَهِيَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِي مِنْ بَعْدِ الاسْ * ـتِغْفَارِ وَالتَّهْلِيلِ بِالإِتْقَانِ
لَمْ يَبْقَ فِي الإِنْكَارِ إِلَّا أَنَّهُ * قَدْ جَاءَ بَعْدَ الوَحْيِ فِي تِبْيَانِ
مَا لِلْمُحِقِّ وَلَا سِوَاهُ تَحَكُّمُ * فِيمَا لَهُ أَصْلٌ مِنَ القُرْآنِ
الذِّكْرُ مَأْمُورٌ بِهِ مِنْ غَيْرِ حَصْـ * ـرٍ دُونَ كَيْفِيَّةٍ مَدَا الأَزْمَانِ
لَا سِيَمَا وَالشَّيْخُ لَقَّنَهُ النَّبِي * أَوْرَادَهُ حَقًّا بِرَغْمِ الشَّانِي
لَا لَا الْتِفَاتَ لِجَاحِدِيهِ فَإِنَّهُمْ * لَا حَقَّ عِنْدَهُمُ لِذِي فُرْقَانِ
البِرُّ بَرٌّ وَاضِحٌ لِمُرِيدِهِ * وَالشَّرُّ شَرٌّ ظَاهِرُ البُطْلَانِ
وَالحُبُّ فِي الشَّيْخِ التِّيجَانِي حَاصِلٌ * مِنْ أَجْلِ حُبِّ المُصْطَفَى العَدْنَانِي
مَا كَانَ ذَاكَ الحُبُّ فِيهِ سِوَى لَهُ * لَوْلَاهُ لَمْ يَكُ فِيهِ لِي حُبَّانِ
حُبٌّ عَظِيمٌ حَيْثُ كَانَ هُوَ ابْنُهُ * حَقًّا وَحُبٌّ مِنْهُ قَدْ أَدْنَانِي
وَكِلَاهُمَا مِنْ أَجْلِ إِجْلَالِي لَهُ * فَلْتَشْهَدُوا أَنِّي امْرُؤٌ تِجَانِي
وَالحُبُّ فِيهِ وَرِثْتُهُ عَنْ وَالِدِي * وَالأُمُّ أَوْرَثَهُ لَهَا الأَبَوَانِ[1]

---

[1]- إشارة لجده سيدي عبد الوهاب التازي، أحد الإخوة السبعة من بيت التازي، وكلهم عاصروا مولانا الشيخ رضي الله عنه وتمسكوا بطريقته على يديه، وأيضا إلى جدته، السيدة عائشة بنت أحمد بن الشيخ العلامة المحدث، صاحب المؤلفات الكثيرة، سيدي محمد بن عبد السلام البناني،كانت من مريدات الطريقة التجانية، ذات اعتقاد عظيم في أهلها، توفيت عام 1293هـ، وقد ترجمت لها في كتابنا نساء تجانيات، فلينظر ترجمتها من أراد

وَطَـرِيـقَـةُ الـشَّـيْـخِ الـتِّـجَانِي أَقْــرَبُ الـ * طُّــرُقِ الَّـتِـي فِـيـهَـا رِضَــى الـرَّحْـمَانِ
وَالـطُّـرُقُ شَـتَّـى وَهِــيَ تُـحْـمَدُ عِـنْـدَ مَــنْ * عَــرَفُــوا نَـتَـائِـجَـهَـا مَــــدَا الأَزْمَـــانِ
وَالـطُّـرُقُ لَـمْ يُـنْـكِرْ عَـلَـيْـهَا غَـيْـرُ مَــنْ * حَــسَــدُوا أَهَـالِـيـهَـا مِــــنَ الأَعْــيَـانِ
فِـيـهَـا انْـتِـشَارُ الـدِّيـنِ فِــي الأَقْــطَارِ وَ * الأَشْــيَــاخُ فِـيـهَـا تُــأْثَــرُوا الإِيـمَــانِ
لَا لَا يَــضُـــرُّ الـمُـخْـلِـصِـينَ تَــحَـامُـلٌ * مِــمَّـــنْ عَــلَـيْـهِـمْ قَــــامَ بِـالـنُّـكْـرَانِ
أَيَـضُـرُّ مَــــنْ قَـامُـوا لِـنَـشْـرِ الـدِّيـنِ زَوْ * بَــعَــةٌ مِــــنَ الأَغْـــرَاضِ عِـنْـدَ فُــلَانِ
وَلَــوْ أَنَّــهُـمْ أَخَــذُوا مِــنَ الأَحْـــوَالِ مَــا * تَــرَكُــوا الـمُـرِيـدَ بِـهَـا الـفَـقِـيرَ الـعَـانِـي
مَــا ضَــرَّ أَخْــذُ الـمَـالِ فِــي حَــقِّ الـشُّـيُو * خِ وَقَـــــدْ هُــــدُوا لِـطَـرِيـقَـةِ الــدَّيَّــانِ
وَلَــهُـــمْ مَــقَـاصِـدُ لَا اطِّـــلَاعَ لِـغَـيْـرِهِـمْ * مِـــنْ مُـنْـكِـرِيـنَ عَـلَـيْـهِـمُ فِـــي الـفَـانِـي
هَــبْ أَنَّ بَـعْـضَـهُـمْ ادَّعَـــى فَـتْـحًا أَمَـــا * يَــــدْعُــــوا لِــذِكْــرِ الــلَّـــهِ بِـالإِيــقَـانِ
مَــــنْ مِـنْـهُـمْ يَـدْعُــو لِـتَـرْكِ الـدِّيـنِ أَوْ * يَــهْــدِي إِلَـــى الـعِـصْـيَانِ وَالـكُـفْـرَانِ

---

[1]- كان والد المؤلف الحاج العياشي سكيرج متفانيا في محبة الطريقة التجانية، وله رحمه الله قصائد عديدة في مدح مولانا الشيخ رضي الله عنه، وذلك عن طريق شعر الملحون، وقد ساق المؤلف بعضها في كتابه الغنيمة الباردة، في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة، و هي دليل على المحبة العميقة التي كان يكنها هذا الرجل الفاضل لمولانا الشيخ و طريقته و مريديه، و يظهر هذا جليا من خلال مقاطع القصيدة وما استعمل فيها ناظمها المذكور من عبارات تنويه و إعجاب متزايد.

[2]- إشارة لابنيه سيدي عبد الكريم وسيدي محمد، أما الأول فقد عرفنا به في ص...والثاني هو الدكتور سيدي محمد سكيرج، ولد بمدينة تطوان في الساعة العاشرة من نهار يوم الأحد 7 جمادى الثانية عام 1329هـ، موافق 4 يونيه سنة 1911م، وجده لأمه هو الأستاذ المهندس سيدي الزبير سكيرج، أحد عناصر البعثة التي وجهها السلطان المولى الحسن الأول لمتابعة الدراسة والتكوين بأنجلترا. توفي رحمه الله بمسكنه بمدينة طنجة عام 1421هـ ـ 2000م

مَــنْ مِـنْـهُـمْ فِـي الـنَّـاسِ جَـاهَـرَ بِـالـخَـنَـا * وَلَـــوْ أَنَّـــهُ إِنْ يَــخْــلُ كَـالـشَّـيْـطَـانِ
الـحَـقُّ لَـمْ يَـأْمُـرْ بِـالاِسْـتِـنْـكَـافِ مِـنْ * مَـــنْ قَـــالَ رَبِّـــي الـلَّـهُ بِـالإِعْـلَانِ
حَـاشَـا الـشُّـيُـوخَ وَهُــمْ كَـثِـيـرٌ بِـرُّهُـمْ * مِـــنْ أَنْ يَـكُـونُـوا عَـابِـدِي الأَوْثَـــانِ
وَالـنَّـاسُ مَـا أَخَـذُوا الـطَّـرِيـقَـةَ عَـنْـهُـمْ * إِلَّا لِـــمَـــا فِـيـهِـمْ مِـــنَ الإِحْـسَـانِ
هَـــبْ أَنَّـهُـمْ أَخَـــذُوا طَـرِيـقَـةَ عَـارِفٍ * جَـــهْـــلاً فَـــهَـــلْ لَا قَـصْـدُهُـمْ رَبَّـانِـي
مَـا الـمَـالُ عِـنْـدَ الـعَـارِفِـينَ بِـقَـدْرِهِ * وَالـــسِّـــرُّ فِـــي نَـفْـعٍ بِـــهِ سِـيَّـانِ
الـمَـالُ يُـخْـتَـبَـرُ الـمُـرِيـدُ بِـبَـذْلِـهِ * وَالـــسِّـــرُّ لَـيْـسَ يُـنَـالُ بِـالأَثْـمَـانِ
إِنِّـــي رَأَيْـــتُ الـمُـنْـكِـرِيـنَ عَـلَـيْـهِـمُ * أَغْـرَاضُـهُـمْ لَـمْ تُـحْـصَ فِـي أَلْـوَانِ
مِـنْـهُـمْ طُـوَيْـلِـبُ مَـطْـلَـبٍ هُـوَ مُـبْـتَـدِي * عَـمِـيَـتْ بَـصِـيـرَتُـهُ عَـــنِ الـعِـرْفَـانِ
وَمُـطَـالِـبٌ فِـيـمَـا ادَّعَـى لِـحُـقُـوقِـهِ * مِـنْ رَاتِـبٍ فِـي الـنَّـاسِ غَـيْـرِ مُـعَـانِ
هَـاذَاكَ مَـحْـرُومٌ وَهَـذَا فِـي عَـنَـا * وَكِـلَاهُـمَـا مَـقْـصُـودُهُـمْ نَـفْـسَـانِـي
أَمَّـا الـجَـهُـولُ الـمُـرْتَـدِي بِـرِدَا الـهَـوَى * مَـازَالَ فِـي الأَغْـرَاضِ فِـي اسْـتِـهْـجَـانِ
كَـالـكَـلْـبِ وَهْـوَ أَصَـمُّ أَبْـصَـرُ فَـاتِـحًـا * فَـمَـهُ فَـأَكْـثَـرَ نَـبْـحَـهُ بِـتَـعَـانِ
يَـالَـيْـتَ مَـنْ جَـهِـلَ الـحَـقِـيـقَـةَ لَـمْ يَـكُـنْ * مُـتَـسَـارِعًـا فِـيـهَـا إِلَـى الـنُّـكْـرَانِ
إِنَّ الَّـذِيـنَ يُـحَـارِبُـونَ الـلَّـهَ فِـي * أَهْـلِ الـوِلَايَـةِ هُـمْ ذَوُو خُـسْـرَانِ[1]
وَمُـحَـارِبُـوهُ مَـحَـا الإِلَـهُ جَـمِـيـعَـهُـمْ * فِـي الأَوْلِـيَـا مِـنْ كُـلِّ مَـا دِيـوَانِ
إِنَّ الـسَّـلَامَـةَ لِـلْـمُـسَـلِّـمِ حُـقِّـقَـتْ * وَسِـــوَاهُ إِمَّـا هَـالِـكٌ أَوْ جَـانِ
وَعَـلَـى كِـلَا الـحَـالَـيْـنِ فَـهُـوَ أَخُـو هَـوًى * وَيَـظُـنُّ مِـنْ خِـذْلَانِـهِ حَـقَّـانِـي
فَـلْـيَـتَّـقِ الـلَّـهَ الَّـذِيـنَ تَـحَـزَّبُـوا * بِـهَـوًى عَـلَـى الأَشْـيَـاخِ فِـي الأَوْطَـانِ
وَلْـيَـتَّـقُـوا الـمَـكْـرَ الـخَـفِـيَّ فَـهُـمْ بِـهِ * وَقَـعُـوا وَحَـاقَ بِـهِـمْ مِـنَ الـعُـدْوَانِ
هَـذِي الـنَّـصِـيـحَـةُ أَوَّلًا قَـدَّمْـتُـهَـا * وَالـنُّـصْـحُ أَوْرَثَـنِـي بُـلُـوغَ أَمَـانِـي

---

[1] ـ إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ. أنظر صحيح البخاري [كتاب الرقاق] باب التواضع، رقم الحديث 6021

هَــذَا وَفِــي فَــاسٍ لَقِيتُ جَمَاعَةً * هُــمْ سَــادَةٌ مِــنْ أَفْـضَـلِ الأَعْـيَانِ
حُبِّي لَهُمْ فِي القَلْبِ حَلَّ مَكَانَةً * كُــلٌّ لَــهُ فِيهَا رَفِيعُ مَـكَـانِ
مِنْهُمْ أَبُو العَبَّاسِ صِهْرُ أَخِي السَّنِي * الدَّبَاغُ أَحْمَدُ[1] بَهْجَةُ الأَقْـرَانِ
فَحَضَرْتُ عُرْسَ بُنَيَّةٍ قَدْ زَفَّهَا * لِمَحَلِّهَا مَحْفُوفَةً بِتَهَانِ
وَلَقَدْ دَعَانَا لِلْحُضُورِ لَدَيْهِ عَنْ * عَجَلٍ فَجِئْنَاهُ بِدُونِ تَوَانِ
وَمُهَذَّبُ الأَخْلَاقِ فِي أَقْرَانِهِ * عَبْدُ العَزِيزِ أَخُوهُ صِهْرِي الثَّانِي[2]
لِي فِيهِ أَحْسَنُ نِيَّةٍ وَمَحَبَّةٍ * مِمَّا لَهُ فِي الدِّينِ مِنْ إِحْسَانِ
وَالصِّهْرُ عَمُّ عَقِيلَتِي الأَرْضَى ابْنُ شَقْـ * ـرُونٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الأُخْتَانِ
عَبْدُ المَجِيدِ المُعْتَنِي بِأُمُورِنَا * وَقَضَاءِ أَغْرَاضٍ لَنَا بِأَمَانِ
وَصَّيْتُ أَحْمَدَ نَجْلَهُ بِبُرُورِهِ * بِالأُمِّ وَالأَبِ إِذْ هُمَا الأَبَوَانِ
وَيُلَازِمُ التَّقْوَى بِمَا تَقْوَى عَلَـ * ـيْهِ النَّفْسُ كَيْ يَحْظَى بِكُلِّ أَمَانِ
فَالمُتَّقِي فِي النَّاسِ هُوَ المُرْتَقِي * فِي الفَضْلِ فِي حِفْظٍ مَدَا الأَزْمَانِ
وَعَلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ أَكَّدْتُ فِي * مَا قَدْ نَصَحْتُ لَهُ لِنَيْلِ تَهَانِي
فَلَقَدْ عَهِدْتُ بِأَنَّهُ رَهْنَ الحَيَا * إِنَّ الحَيَاءَ عَلَامَةُ الإِيمَانِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَوْ * كَانَ امْرَءًا فِي فَضْلِهِ ذَا شَانِ

---

[1]- السيد أحمد الدباغ، توفي بتاريخ 24 جمادى عام 1389هـ ـ 8 غشت 1969م، هو صهر المؤلف العلامة سكيرج، وذلك بحكم زاوجه بالسيدة مليكة بنت الحاج سيدي محمد سكيرج، أخ المؤلف من جهة أمه، وتوفيت السيدة مليكة المذكورة بتاريخ 28 ذي الحجة الحرام عام 1386هـ ـ 9 أبريل 1967م، وخلفت معه ستة أبناء وهم عبد الرزاق، ومسعود، وعبد الجليل، والطيب، وزبيدة، وخديجة

[2]- بحكم المصاهرة التي وقعت بين الطرفين، حيث تزوج نجل المؤلف سيدي عبد الكريم سكيرج بالشريفة للا حبيبة بنت السيد عبد العزيز الدباغ، وهي زوجته الثانية، كما أنها أم أولاده سيدي عبد الحي وسيدي محمد علي، وأحمد رضا، والمكي، والطيب، وكان هذا بعد طلاقه من زوجته الأولى السيدة التجانية بنت سيدي عبد الوهاب سكيرج، التي هي والدة أبنائه الأوائل، سيدي محمد الحبيب، وسيدي محمد البشير، وسيدي محمد الكبير، وسيدي محمد الصغير.

ولا ننسى أيضا أن للسيد عبد العزيز الدباغ مصاهرة آخرى سابقة للعلامة سيدي أحمد سكيرج، وتتمثل هذه المصاهرة في زواجه بالسيدة رقية بنت الحاج سيدي محمد سكيرج، أخ المؤلف من جهة أمه، وتوفيت السيدة رقية المذكورة بتاريخ 17 شعبان عام 1385هـ ـ 11 دجنبر 1965م، وقد أنجبت له ثلاثة أولاد وهم، سيدي محمد العزيزي [المحافظ السابق لخزانة القرويين] وللا فاطمة، وللا حبيبة [زوجة سيدي عبد الكريم سكيرج]

وَمِـــنَ الـحَيَا الـمَحْمُودِ حِفْـظُ النَّفْسِ مِـ * مَّـــا لَا يَـلِـيـقُ وَلَـــوْ كَـشُـرْبِ دُخَـــانِ
إِنَّ الـتَّـجَـاهُـرَ بِـالـفُـسُـوقِ لَـمُـتْـلِـفٌ * أَصْـحَـابَـهُ فِـــي أَقْـــرَبِ الأَحْـيَـــانِ
وَأَخِـــي الـشَّـقِـيقُ الـذَّاكِـرُ الـمَشْـكُـورُ عَـ * بْــدُ الـخَـالِـقِ[1] الـمَحْمُودُ فِـــي الأَقْـــرَانِ
سَـــلَـكَ الـطَّـرِيـقَـةَ لِـلْـحَـقِـيـقَـةِ فَـارْتَـوَى * مِـــنْ وِرْدِهَـــا بَـــلْ سِـرِّهَـا الـحَـقَّـانِـي
لَـــوْلَا مَـــزِيــدُ تَـشَـدُّدٍ فِـــي دِيـنِـهِ * لَـــشَـهِـدْتُ فِـيـــهِ بِـــأَنَّـــهُ فَـــرْدَانِـــي
فَـــسَـدَ الــزَّمَـانُ فَـــسَـادَ فِـيـهِ بِـهِـمَّـةٍ * رَقَّـــتْـهُ فِـــي الـعَـلْـيَا عَـلَـى كِـيـوَانِ
وَصَّـــيْـتُ خَـيْـرَ بَـنِـيـهِ وَهُـــوَ نَـجِـيُّـهُـمْ * عَـبْـدُ الـغَـنِـي[2] بِـالـحِـفْـظِ وَالإِتْـقَـانِ

---

[1]- عبد الخالق سكيرج : هو رابع إخوة العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1307هـ. وبها نشأ وشب. فحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم. قبل أن يلج جامع القرويين. حيث تلقى بها قسطا وافرا من تعليمه. بيد أنه توقف عن الدراسة بها لأسباب قاهرة. وذلك عقب وفاة والده عام 1328 هـ. فاشتغل إذ ذاك في بعض الأعمال الحرة إلى حين عام 1332 هـ. وهو العام الذي عين فيه شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج ناظرا لأحباس فاس الجديد. فعمل بجانب أخيه في الوظيفة المذكورة. بعدما اتخذ له سجلا يدون فيه مداخيل الأحباس باليوم والشهر والسنة.

ثم تخلى عن هذه الوظيفة مباشرة لدى انتقال أخيه لخطة القضاء بمدينة وجدة. لكنه عاد ليعمل بجانبه من جديد حين تعيينه على رأس القضاء بمدينة الجديدة. فكان كاتبا له. ينسخ الرسوم العدلية بخطه الأنيق. بيد أنه ما لبث أن تخلى عن هذه الوظيفة. وذلك لدى انتقال أخيه للقضاء بمدينة سطات.

وهو إلى جانب ما ذكرناه واحد من جلة مريدي الطريقة التجانية في وقته. تمسك بها منذ السنين الأولى من شبابه. وذلك على يد المقدم الشريف سيدي الطيب السفياني. ومما يذكر عنه في هذا الصدد أنه كان شديد الاهتمام بالزاوية التجانية الكبرى بفاس. حريصا على أداء ذكر الوظيفة بها بعد صلاة المغرب من كل يوم. كما كان يصلي بها معظم صلواته الأخرى، وهو علاوة على ذلك رجل محبوب. على جانب من حسن الخلق والخلقة. مجبول على محبة الخير. دائم الابتسامة. مشرق الوجه. عذب الكلام. حسن المعاملة. يتحلى بذكاء وفطنة زائدة.

توفي صبيحة يوم الخميس 25 ربيع الثاني عام 1361 هـ-16 أبريل 1943 م. على إثر مرض لم يتمكن من التغلب عليه. إذ لم يمهله أكثر من أسبوع واحد. وذلك من جراء المجاعة والوباء الذي عم مجموع أرض الوطن إذ ذاك. بسبب مضاعفات الحرب العالمية الثانية ونتائجها الوخيمة.

[2]- عبد الغني بن عبد الخالق بن الحاج العياشي سكيرج، ابن أخ المؤلف، شاعر، له مؤلفات ودواوين عديدة منها : ـ ديوان حب الحصيد، ديوان نضد النضيد، معركة الوظيفة، هؤلاء عرفتهم، تجربتي الشعرية، الروض المتأرج، في تراجم آل سكيرج [مخطوط] توفي بطنجة رحمه الله يوم الجمعة 4 شوال عام 1417هـ ـ 12 فبراير 1997م

وَشَمَمْتُ مِنْهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي * أَقْرَانِهِ مِنْ حَامِلِي العِرْفَانِ
وَأَخِي الشَّفِيقُ مِنَ الرَّضَاعِ مُحَمَّدٌ الـ * ـسُّودِي كَبِيرُ الفَتْحِ فِي الأَعْيَانِ
هُوَ فِي الفُهُومِ مُسَدَّدُ الآرَاءِ فِي * كَسْبِ العُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِي
وَلَقَدْ تَلَقَّانِي بِكُلِّ مَبَرَّةٍ * وَمَسَرَّةٍ فِيهَا كَمَالُ تَهَانِي
مَا لِابْنِ مُقْلَةَ[1] مِثْلُ خَطٍّ يَمِينِهِ * وَبِهِ مَعَانِي اللَّفْظِ فِي لَمَعَانِ
وَالخَطُّ إِنْ يُحْسَنْ يَزِيدُ بِهِ وُضُو * حُ الحَقِّ تَحْقِيقًا بِلَا إِمْعَانِ
وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي مَجَالِسِ أُنْسِهِ * أَنْسَاكَ فِي قِسٍّ[2] وَفِي سُحْبَانِ[3]
لِلَّهِ وَالِدُهُ فَصِيحُ ذَوِي الخَطَا * بَةِ فَهُوَ مَانِحُهُ بِكُلِّ بَيَانِ
الطَّالِبُ الأَرْضَى بْنُ عُثْمَانَ الرِّضَى * السُّودِي[4] جَلِيلُ القَدْرِ فِي الأَعْيَانِ
وَالشِّبْلُ شِبْهُ أَبِيهِ فِي وَثَبَاتِهِ * وَثَبَاتُهُ فِي وَاسِعِ المَيْدَانِ
وَقَدِ اجْتَمَعْتُ هُنَا بِصِهْرِ أَخِي الرِّضَى الـ * ـطَّنْجِي سُكَيِّرَجَ الرَّفِيعِ الشَّانِ
أَعْظِمْ بِدَعْوَةِ وَالِدِي فَكَأَنَّهُ * هُوَ قَصْدُهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

---

[1]- محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، وزير شاعر أديب ، من أعلام العصر العباسي ، يضرب بحسن خطه المثل ، توفي عام 328 هـ ، أنظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي 6 : 273 .

[2]- المراد به قس بن ساعدة ، أحد حكماء العرب و كبار خطبائهم ، و يقال : إنه أول عربي خطب متوكأ على سيف أو عصا ، و أول من قال في كلامه (أما بعد) و هو من عداد المعمرين ، امتدت حياته إلى حين ظهور النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة ، و قد سأله بعض الصحابة عنه بعد ذلك فقال : يحشر أمة وحده . إهـ .. توفي نحو عام 23 قبل الهجرة ، أنظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي 5 : 196 .

[3]- سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، خطيب مشهور ، يضرب به المثل في البلاغة و البيان ، يقال أخطب من سحبان ، و أفصح من سحبان ، و كان إذا خطب يسيل عرقا ، و لا يعيد كلمة و لا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ ، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، غير أنه لم يَرَهُ ، توفي سنة 54 هـ . أنظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي 3 : 79 .

[4] ـ الطالب بن عثمان بن سودة، والد إخوة العلامة سيدي أحمد سكيرج من الرضاع، وهما السيدان محمد والعربي، توفي في حدود عام 1357هـ وقد رثاه المؤلف بقوله :

أرى الموت نفاداً على كفه دُرُّ * ويختَارُ منها ما غَلاَ عندَهُ قَدْرُ

إلى أن يقول فيها :

ولـم أرى مثل الصَّبْرِ جَلَّ ثَوَابُهُ * لَدَى جَلَلٍ في مِثْلِهِ ينبَغِي الصَّبْرُ
وَلَمَّا فَقَدْنَا السَّيِّدَ الطَّالِبَ الرِّضَى * فَقَدْنَا لَهُ صَبْراً وَهَلْ بَعْدَهُ صَبْرُ

فَلَقَدْ دَعَا بَيْنَ المَقَامِ وَزَمْزَمٍ * فِي أَنْ يَكُونَ ابْنٌ لَهُ رَبَّانِي
فَأَجَابَ دَعْوَتَهُ بِهِ فِيمَا أَرَى * أَمَّا أَنَا فَأَنَا حَقِيرٌ جَانِي
وَابْنُ السَّمِيحِي الصِّهْرُ لِلْأَخِ سَيِّدِي * عَبْدُ السَّلَامِ[1] هُوَ الَّذِي لَاقَانِي
وَلَقَدْ نَشَطْتُ بِالاجْتِمَاعِ بِهِ وَمَا * قَدْ نَالَهُ فِي العِلْمِ مِنْ إِتْقَانِ
وَنَجَابَةُ الأَصْهَارِ مِثْلُ نَجَابَةِ الـ * أَبْنَاءِ تَكْشِفُ غُمَّةَ الأَحْزَانِ
وَوَصَلْتُ مِنْ رَحِمِي هُنَالِكَ عَمَّةً[2] * مَعَهَا ابْنُهَا ابْنُ مُحِبِّنَا الجِّيلَانِي
أَدْعُوهُ عَمِّي وَهُوَ أَوْدَى نِسْبَةً * مُذْ كُنْتُ مَعْدُودًا مِنَ الصِّبْيَانِ
لَمْ أَنْسَ يَوْمًا جِيءَ بِي لِمَحَلِّهِ * بِمَسَرَّةٍ وَأَنَا صَبِي لِخِتَانِ
شُكْرًا لَهُ وَلَوْ أَنَّنَا قَدْ طَالَ فِي * أَمَدٍ لِتَأْدِيَتِي لَهُ شُكْرَانِي
وَسَلِيلُهُ المَذْكُورُ يُونُسُ حَاضِرِيـ * ـهِ بِلُطْفِ أَخْلَاقٍ وَطِيبِ لِسَانِ
وَهْوَ ابْنُ عَمَّتِيَ الأَدِيبُ مُحَمَّدٌ * أَسْكَنْتُهُ مِنْ أَجْلِهَا بِجَنَانِي
وَهُنَاكَ قَدْ لَاقَيْتُ أُخْتَايَا اللَّتَا * نِ أَطَالَتَا لِي الحَبْلَ مِنْ إِحْسَانِ[3]
لَوْ كَانَتَا فِي الدَّارِ عِنْدِي كَانَتَا * فِي نِعْمَتَيْنِ وَنِعْمَتِ الأُخْتَانِ
وَهُنَاكَ بِالأَرْضَى الكَنُّونِي المُرْتَضَى * قَدْ طَابَ جَمْعِي فِي رَفِيعِ مَكَانِ
هُوَ نُسْخَةٌ مِنْ صِهْرِهِ فِي فَضْلِهِ * فَلِذَاكَ لَازِمْهُ مَدَا الأَحْيَانِ
فَاعْرِفْ بِحَقٍّ مَقَامِهِ وَمَقَالِهِ * فَلَدَيْهِ فِي الأَمْرَيْنِ أَرْفَعُ شَانِ

---

[1]- المراد به السيد عبد السلام بن العلامة سيدي أحمد بن عبد السلام السميحي (شقيق زوجة العلامة سيدي محمد سكيرج) أخ المؤلف من جهة أبيه، كان حينها من طلبة العلم بجامع القرويين بفاس

[2] ـ إشارة لعمته السيدة الطام بنت الحاج عبد الرحمان سكيرج، توفيت أواسط سنة 1357هـ ـ 1938م، وقد وقفت على رسالة تعزية فيها بعثها السيد الوزير محمد الحجوي للمؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج

[3] ـ إشارة منه لأختيه الشقيقتين السيدتين عائشة وزينب، أما الأولى فقد تزوجت مرارا، وكان آخر أزواجها السيد الشريف عبد الهادي الميساوي، أما الثانية فهي زوجة السيد محمد الفيلالي، وللمؤلف أيضا أختان آخران، ليستا من الشقائق، أولاهما السيدة راضية، وهي أكبر البنات على الإطلاق، وهي زوجة السيد الشريف السغروشني، وثانيهما السيدة خدوج، تزوجت بابن عمها السيد محمد بن محمد بن عبد الرحمان سكيرج [أخو المؤلف من جهة أمه] وهذه الأخيرة هي جدة أخينا في الله الدكتور سيدي أحمد بن عبد الله سكيرج، المدير التقني للموقع الإلكتروني المنسوب للعلامة سيدي أحمد سكيرج

مَـنْ لِـي بِشُـكْرِ صِهْـرِهِ الـمَوْلَـى أَبِـي الـ * ـإِسْـعَـادِ[1] حَـامِـلِ رَايَــةِ الـعِـرْفَـانِ
مِـنْ صَـفْـوَةِ الآلِ الَّـذِيـنَ لَـهُـمْ عَـلَا * فَـوْقَ الـعُـلَا قَـدْرٌ رَفِـيـعُ الـشَّـانِ
بَـيْـتُ الـوِلَايَـةِ وَالـكَـرَامَـةِ وَالـسِّـيَـ * ـادَةِ وَالـسِّـيَـاسَـةِ مِـنْ بَـنِـي الـكَـتَّـانِي
لِـلَّـهِ مَـا أَلْـقَـاهُ مِـنْـهُ مِـنَ الـحَـفَـا * وَةِ وَالـقَـبُـولِ وَذَاكَ كُـلَّ زَمَـانِ
وَمُـعَـظِّـمٌ شَـيْـخِـي الـتِّـجَـانِي عِـنْـدَمَـا * آتِـي إِلَـيْـهِ بِـرَغْـمِ أَنْـفِ الـشَّـانِـي
إِنِّـي لَـمُـخْـلِـصُ حُـبِّ قَـلْـبٍ فِـيـهِ عَـنْ * صِـدْقِ الـوِدَادِ وَفِـيـهِ لِـي حَـقَّـانِ
حَـقٌّ لِآلِ الـبَـيْـتِ رُمْـتُ أَدَاءَهُ * إِذْ حُـبُّـهُـمْ فَـرْضٌ عَـلَـى الأَعْـيَـانِ

---

[1]- محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، محدث فقيه حافظ، ولد بمدينة فاس في ربيع النبوي سنة 1303هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم: محمد بن المدني كنون، وعبد السلام الهواري، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وآخرين.
له مؤلفات كثيرة تنوف على 500 تأليف، منها: فهرس الفهارس والأثبات. والبيان المعرب، عن معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب. والرحمة المسلسلة، في شأن حديث البسملة. ولسان الحجة البرهانية، في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية، وغيرها. وكان العلامة سكيرج يشيد بصاحب الترجمة كثيرا، وقد زاره هذا الأخير بمدينة سطات قبل وفاته بسنتين عام 1361هـ ـ 1942م، وصادفت زيارته له حفل عقيقة لأحد حفدته، فاختار العلامة سكيرج له من الأسماء اسم عبد الحي، تيمنا بتلك الزيارة، وقال منوها به في بعض ختماته لصحيح البخاري ما نصه :

بعبد الحي أحي الله دينه * وأعطاه الفتوة والسكينه
حباه الله من علم لدني * جواهر في قلادته ثمينه
به العلياء قد أضحت تباهي * وفي العرفان رتبته مكينه
غدا بحرا محيطا في علوم * بها لسواه لم تعبر سفينه
وأخرج من زواياها خبايا * وكانت في لطافتها كمينه
فلا تحصى مزاياه بعد * وليس يرى لها أحد قرينه
فيا لله ما أبدى بختم * أقر بفضله أهل الضغينه
فلا زالت به العلياء تسمو * بتأييد وساحته مصونه
ويرزقه الإله كمال حفظ * محوطا بالرعاية والمعونة

توفي بباريس سنة 1382 هـ - 1962م. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة 2: 578. شجرة النور الزكية لمخلوف 1: 620 (رقم الترجمة 1720) الأعلام للزركلي 6: 187. مقدمة كتابه فهرس الفهارس باعتناء الدكتور إحسان عباس 1: 5-33. رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان للعلامة سكيرج 43. قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ للمؤلف نفسه (رقم الترجمة 27)

وَلِحُبِّهِ لِي[1] وَهُوَ عَنِّي فِي غِنًى * أُبْدِيهِ وَهُوَ الحَقُّ عِنْدِي ثَانِي

وَمَحَبَّتِي فِي الآلِ طُرًّا لَمْ تَزَلْ * تَزْدَادُ فِي سِرِّي وَفِي إِعْلَانِ

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَارِفٍ لِلْوَقْتِ فِي * وَقْتٍ تَحَارُ بِهِ ذَوُو الأَذْهَانِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَقْتِ أَدَّى حَقَّهُ * بِالمَقْتِ يُرْمَى فِي الهَوَى بِهَوَانِ

وَلَقَدْ تَكَامَلَ قَدْرُهُ فَتَضَاءَلَتْ * عَنْهُ فُهُومُ مُحِبِّهِ وَالشَّانِي

إِنَّ المُعَاصِرَ قَلَّمَا انْتَفَعَتْ بِهِ * جِيرَانُهُ فِي سَائِرِ الأَوْطَانِ

وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِسَيِّدِي مَوْلَايَ عَبْـ * ـدِ القَادِرِ المُتَنَوِّرِ الوَازَّانِي[2]

بَدْرِ العُلَى الرَّاقِي لَهَا بِعَلَائِهِ * حَيّاً عَنَا لِعُلَاهُ أُولُوا الشَّانِ

مَنْ رَامَ يَنْظُرُ لِلْوَقَارِ وَأَهْلِهِ * فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَيْهِ فِي الأَعْيَانِ

---

[1]- كانت تجمع بين العلامتين سكيرج وعبد الحي الكتاني صداقة عميقة لا يمكن وصفها، فقد وقفت بالخزانة السكيرجية على كثير من الرسائل والأشعار المتبادلة بين الطرفين، سواء عند تواجد العلامة سكيرج بفاس أو بوجدة أو بالرباط والجديدة وسطات وغيرها، وله في تقريظ كتاب التَّراتيب الإدارية، للعلامة عبد الحي الكتاني

اليوم أرفع في القريض لواء * وأفاخر الأدباء والشعراء

إلى أن يقول :

محيي مآثر من مضى مولاي عبـ * ـد الحي نور نوره الظلماء

بدر بدا في أفقه متفردا * بكماله قد طاول العلياء

جمع المحاسن فهو فرد زمانه * ما في علاه ترى له قرناء

لا عيب فيه سوى البيان فإنه * سحر العقول وحير العقلاء

فترى المعاني دون إمعان لهم * تبدو بما يملي بهم إملاء

قصَّاده يلقون منه مبرَّة * وينيلهم من سره السرَّاء

لا عيب فيه سوى انكشاف غمومهم * عنهم لديه فلا يرون عناء

سل عنه من حلوا بساحته التي * زاورها لم تحصهم إحصاء

ما بين شرقي وغربي له * يأوي مبلغي من مناه هناء

قرت عيونهم لديه فكلهم * صاروا عليه ينوعون ثناء

فيقول هذا ما رأيت مثيله * حقا وكيف يرى له الأكفاء

[2]- عبد القادر الوزاني المسعودي المراكشي، من مريدي الطريقة التجانية، توفي بفاس عام 1374هـ ـ 1955م، وبها دفن

أَوْ شَـاءَ يَـنْـظُـرُ لِلْـعَـفَـافِ وَلِلـتُّـقَـى * فَـهُـمَـا بِـهِ فِـي الـنَّـاسِ مَجْمُـوعَـانِ
وَلَـقَـدْ وَجَـدْتُ الـقَـلْـبَ مِـنِّـي عِـنْـدَهُ * فَـأَقَـمْـتُ فِـي عِـزٍّ وَفِـي اطْـمِـئْـنَـانِ
وَلَـقِـيـتُ مِـنْ مَـوْلَايَ إِدْرِيـسَ[1] ابْـنِـهِ * مَـا ازْدَدْتُ حُـبًّـا فِـيـهِـمَـا بِـتَـهَـانِـي
لِـلَّـهِ مِـنْ بَـدْرٍ تَـسَـامَـى فِـي الـعُـلَـى * أَسْـكَـنْـتُـهُ مَـعَـهُ جِـنَـانَ جِـنَـانِـي
وَلَـقِـيـتُ ثَـمَّ أَخَـاهُ وَهُـوَ أَجَـلُّ مَـنْ * لَاقَـيْـتُ مِـمَّـنْ أَذْهَـبُـوا أَحْـزَانِـي
مَـوْلَايَ أَحْـمَـدَ حَـامِـلَ الـسِّـرِّ الَّـذِي * فِـي الـنَّـاسِ خَـلَّـفَـهُ لَـهُ الأَبَـوَانِ
تَـقْـوَى وَزُهْـدُ فِـيـهِـمَـا تَـقْـوَى لَـهُ * نَـفْـسُ عَـلَـى مَـا نَـالَ مِـنْ عِـرْفَـانِ
أَدَبٌ وَفَـضْـلٌ فِـيـهِـمَـا بَـلَـغَ الـمَـدَى * فَـهُـوَ الأَدِيـبُ الـعَـارِفُ الـرَّبَّـانِـي
وَلَـقِـيـتُ صِـهْـرَهُـمْ لَـدَيْـهِـمْ ذَا الـكَـمَـا * لِ مُـحَـمَّـدٌ بْـنُ الـشَّـاهِـدِ الـوَزَّانِـي[2]
مِـمَّـنْ إِذَا نَـظَـرُوا إِلَـى أَحْـبَـابِـهِـمْ * رَقَّـوْهُـمْ فِـي حَـضْـرَةِ الإِحْـسَـانِ
وَإِذَا هُـمْ حَـضَـرُوا كَـفَـوْهُـمْ هَـمَّـهُـمْ * وَحَـبَـوْهُـمُ بِـبُـلُـوغِ كُـلِّ أَمَـانِ
الـعَـاكِـفِـيـنَ عَـلَـى عِـبَـادَةِ رَبِّـهِـمْ * وَالـذَّاكِـرِيـنَ لَـهُ مَـدَا الأَحْـيَـانِ
أَكْـرِمْ بِـهِـمْ وَبِـأَصْـلِـهِـمْ وَبِـفَـرْعِـهِـمْ * وَخَـدِيـمِـهِـمْ فِـي الـسِّـرِّ وَالإِعْـلَانِ
مِـثْـلِ الـجَـزُولِـي صَـادِقِ الـحُـبِّ الَّـذِي * لَـمْ يَـخْـتَـلِـفْ فِـي صِـدْقِـهِ شَـخْـصَـانِ
الـذَّاكِـرِ الـمَـخْـصُـوصِ بِـالـسِّـرِّ الَّـذِي * لَـمْ يَـدْرِهِ إِلَّا امْـرُؤٌ رَبَّـانِـي

---

[1]- إدريس الوزاني المسعودي : قال في حقه العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه رياض السلوان : ومنهم العدل الزكي، الفاضل الشريف سيدي إدريس بن عبد القادر المسعودي الوزاني المراكشي أصلا، التجاني طريقة. ازداد بمراكش في حدود عام 1283هـ، وقرأ القرآن بمكتب درب أولاد مولاي علي بن مسعود على الفقيه المدرر الأستاذ السيد الحاج أحمد ابن مبارك الدمناتي، وقرأ على الفقيه العلامة السيد محمد بن ابراهيم السباعي المراكشي صحيح البخاري وطرفا من التحفة، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والأجرومية.
ثم اشتغل مع المخزن أيام المولى عبد العزيز، وأيام المولى عبد الحفيظ علافا على العسكر الموظف بالقصر والجبل والأحياينة وطنجة. ثم اندرج في خطة العدالة من عام 1331هـ بالسماط والطالعة من فاس. وتلقى الطريقة التجانية على المقدم البركة سيدي الطيب بن أحمد السفياني أواخر عام 1328هـ، وتلقى التقديم عن سيدنا ومولانا محمد الكبير نجل مولانا البشير حفيد الشيخ رضي الله عنه، وعن الشريف المقدم السيد العربي المحب العلوي، وكتبت له التقديم المطلق بخط يدي. إهـ. أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 17

[2]- محمد بن الشاهد الوزاني، فقيه مشارك، له تآليف، توفي بفاس يوم الإثنين 27 ربيع الثاني عام 1391هـ ـ 21 يونيه 1971م، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 611

وَلَقِيتُ مَحْبُوبِي الشَّرِيفَ الطَّاهِرِي * ابْنَ الطَّالِبِ الأَسْمَى سَمِيِّى السَّانِي

مُسْدِي الأَيَادِي لِي بِغَيْرِ تَبَجُّحٍ * مُبْدِي الوِدَادِ بِصَادِقِ الوِجْدَانِ

نِعْمَ المُحِبُّ وَيَالَهُ مِنْ فَاضِلٍ * فَاقَ السِّوَى فِي السَّادَةِ الأَعْيَانِ

وَلَقَدْ دَعَانِي لِلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ * وَلَنِعْمَ مَا مِنْهُ إِلَيَّ دَعَانِي

وَلَقَدْ تَلَقَّانِي ابْنُهُ الهَادِي الرِّضَى * وَبِكُلِّ مَا قَدْ سَرَّنِي لاَقَانِي

نِعْمَ الأَدِيبُ المُرْتَضَى فِي قَوْمِهِ * عَقْلاَ وَفَضْلاً رَاجِحَ المِيزَانِ

وَأَبُو الرَّشَادِ الطَّالِبُ الأَرْضَى أَخُو * هُ بِحُبِّهِ فِي النَّاسِ قَدْ أَحْيَانِي

لِلَّهِ دَرُّ أَبِيهِمَا فَبِلُطْفِهِ * أَحْيَا فُؤَادِي سَائِرَ الأَحْيَانِ

مَعَهُ بِعَيْنِ عَلِي حَرَازِمَ[1] اغْتَسَلْـ * ـتُ وَقَدْ نَفَتْ عَنِّي أَذَى الأَدْرَانِ

وَهُنَاكَ صَادَفْتُ الشَّبِيهِي المُرْتَضَى * مَنْ لاَ شَبِيهَ لَهُ مِنَ الأَقْرَانِ

مَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّ جَبِينَهُ * بِالنُّورِ يَلْمَعُ سَاطِعَ اللَّمَعَانِ

وَأَقَلُّ مَا فِيهِ سَلاَمَةُ صَدْرِهِ * وَمُخَالِطُوهُ لَهُمْ كَمَالُ أَمَانِ

وَأَتَى هُنَاكَ لِلاغْتِسَالِ بِمَائِهَا * وَهُنَاكَ كَمْ صَادَفْتُ مِنْ أَعْيَانِ

وَالغُسْلُ فِي مَاءِ المَعَادِنِ نَافِعٌ * فِي دَاءِ مَصْرَانٍ بِلاَ نُصْرَانِي

وَالحَقُّ أَنَّ الغُسْلَ فِيهِ وَشُرْبَهُ * يَحْتَاجُ فِيهِ المَرْءُ لاِسْتِيذَانِ

فَلَرُبَّمَا نَفَعَ امْرءًا وَبِآخَرِ * نَ أَضَرَّ شَيْءٌ كَانَ فِي الأَوْطَانِ

يَارَبَّ ذِي جَهْلٍ أَضَرَّ بِنَفْسِهِ * مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرْ مَدَا الأَزْمَانِ

كَالشَّارِبِينَ لِمَاءِ فِيشِي[2] مُطْلَقًا * مِنْ كُلِّ نَوْعِ مُفْعَمِ الكِيسَانِ

وَهُوَ المُضِرُّ بِهِمْ بِغَيْرِ شُعُورِهِمْ * وَلِجَهْلِهِمْ بِالطِّبِّ فِي أَوْطَانِ

---

[1] - حمة سيدي حرازم : تقع في الجنوب الشرقي لمدينة فاس، على الطريق الرابطة نحو مدينة تازة، وتضم العديد من التجمعات السكانية الصغيرة المتناثرة في المنطقة، ولا تبعد عن العاصمة العلمية فاس سوى بأربعة عشر كلم لاغير، وتتكون هذه الحمة من منبع للمياه المعدنية العالية الجودة. وقد تحولت المنطقة بفضل هذه المياه المعدنية إلى موقع مغري لاستقطاب آلاف الزوار سنويا. وتبدو هذه العين على مدار العام أشبه بمزارات مفتوحة في وجه مواطنين والسياح العرب، الذين يأتون إليها غالبا في فصل الربيع أو الصيف من أجل الاستمتاع بالأجواء الرطبة المنتعشة وفوائد مياهها الصحية.

[2] - نسبة لمدينة فيشي الفرنسية، والمراد به هنا بئر فيشي، أحد أشهر الآبار المعروفة بعذوبة المياه على الصعيد العالمي

مَـا عُمْتُ هَـذَا الـعَـامَ فِـي عَـيْنٍ إِلَـى * يَـعْـقُـوبَ[1] تُـنْـسَـبُ فِـيـهِ مُـنْـذُ زَمَـانِ
فِـيـهَا أُصِـيـبَ أَخِـي مِـنْ أُمِّـي[2] قَـبْـلَ هَـ * ـذَا الـعَـامِ مِـنْ عَـوْمٍ بِـهِ مُـتَـعَانِي
لَـمَّـا بِـهِ قَـدْ قَـامَ وَاجْـتَـمَـعَـتْ بِـهِ * عِـنْـدَ الـمَـصَـبِّ جَـمَـاعَـةُ الـعِـرْيَانِ
فَـهُـمْ هُـنَـالِـكَ قَـدْ أَقَـامُـوا فِـي هَـنَـا * وَسِـوَاهُـمْ مَـا هُـوَ مِـنْـهُـمْ هَـانِـي
مَـنْ حَـلَّ قَـبْـضَـتَـهُـمْ يَـحُـلُّ بِـهِ الـبَـلَا * قَـهْـرًا عَـلَـيْـهِ بِـوَارِدٍ شَـيْـطَانِـي
فَـيَـقُـودُهُ مِـنْـهُـمْ زَعِـيـمُـهُـمْ إِلَـى * ذَاكَ الـمَـصَـبُّ الـصَّـلْـدِ فِـي غَـيَـلَانِ
لَا لَا مُـغِـيـثَ لَـهُ يُـغِـيـثُ صُـرَاخَـهُ * حَـتَّـى يَـكَـادُ يَـمُـوتُ مِـنْ غَـيَـشَانِ
لَا لَا يُـعَـدُّ بِـزَائِـرٍ مَـنْ جَـاءَهُ * لِـيَـعُـومَ فِـيـهِ وَلَـوْ أَخَـا تِـجَـانِـي
مَـا ثَـمَّ يَـعْـقُـوبٌ وَلَـيْـسَ هُـنَـاكَ شَـا * فِـيَـةٌ[3] تَـقِـي الـزُّوَّارَ مِـنْ نِـيـرَانِ

---

[1]- حمة مولاي يعقوب : من أهم الحامات و أشهرها وطنيا و دوليا، يتهافت عليها الزوار من كل صوب حيث ينعمون بالاستحمام والاستجمام والاسترخاء. و تبعد هذه الحامة عن مدينة فاس بنحو 22 كلم، وتعتبر أول حامة عصرية في المغرب بمواصفات دولية،

[2]- المراد به الحاج سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمان سكيرج، أخ المؤلف من جهة أمه، ذكره العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه قدم الرسوخ، فيما لمؤلفه من الشيوخ، عند ترجمته للسيدة أمه للا فروح التازي، فقال في حقه : والأخ الصالح السيد الحاج محمد بن الحاج محمد المذكور، وعنه تلقينا بعض الفوائد الصناعية، وقد استنبط مخاخضة لبن بحركات دولابية لاستخراج الزبد في أقرب وقت، عمل على شكلها بإدخال تحسينات فيها بعض الأجانب في المخاضة الزبدية الموجودة الآن.إهـ..

وعموما فقد كانت لهذا الرجل الفاضل محبة عميقة في أخيه [المؤلف] وكان هو الآخر يبادله نفس المحبة وأكثر، ولا يفوتني التنبيه أنه هو جد صديقنا وحبيبنا الدكتور السيد أحمد سكيرج، أحد أبرز أعلام الأسرة السكيرجية في هذا العصر وبدون منازع، وكيف لا فذلك الغصن من تلك الشجرة.

ولمزيد التوضيح فقد أصيب السيد الحاج محمد سكيرج .... في رأسه، فنصحه بعضهم بالذهاب إلى حمة مولاي يعقوب، والإغتسال فيها بغية الشفاء من ذلك الضرر، فذهب إلى الحمة المذكورة، واستحم بها، ووالى جهة رأسه إلى القادوس الكبير الذي يخرج منه الماء إلى داخل الصهريج، ومكث على هذه الحالة مدة ساعة أو أكثر، إلى أن انهارت قواه وسقط مغشيا عليه وتوفي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. وكان ذلك عام 1357هـ ــ 1938م .

[3]- ضريح للا شافية : تحيط بحمة مولاي يعقوب جبال صفراء قاحلة، يوجد في أعلى إحداها ضريح للا شافية، على ارتفاع يفوق 800 متر ا، ومن الغريب أن أفواجا من الشباب يتسابقون يوميا دون كلل للصعود إلى أعلى الجبل، حيث الضريح، و لست أدري كيف ينزلون لانحداره الصعب.

وَكَأَنَّهُ مَا تَمَّ غَيْرُ مَعَادِنٍ * مَجْرَى الْمِيَاهِ بِهَا عَلَى بُرْكَانِ

وَلَقِيتُ ذَا الفَتْحِ ابْنَ فَاتِحٍ الَّذِي * بِالْوِدِّ قَدْ أَسْكَنْتُهُ بِجِنَانِ

وَأَقَمْتُهُ وَلَدًا لِقَلْبِيَ إِذْ رَعَى * عَهْدِي وَعَهْدِي مَنْ وَعَاهُ رَعَانِي

مَا كَانَ مِنْ مُتَطَرِّفِي الشُّبَّانِ بَعْـ * ـدَ مُصَابِهِ فِي مَجْمَعِ الشُّبَّانِ

وَإِذَا أُصِيبَ بِالامْتِحَانِ فَقَدْ يُصَا * بُ بِالامْتِحَانِ فَتًى وَلَيْسَ بِجَانِي

وَلَقَدْ نَصَحْتُ لَهُ فَكَانَ قُبُولُهُ * لِنَصِيحَتِي مِمَّا بِهِ أَرْضَانِي

قَدْ كَانَ فِي فَاسٍ لَدَيَّ مُلَازِمِي * حَتَّى رَجَعْتُ لِمَوْضِعِي بِأَمَانِ

وَلَقَدْ لَقِيتُ هُنَا سَلِيمَ الصَّدْرِ حَمَّـ * ـادِي الأَجَلَّ المُنْتَمِي لِزَيَانِي[1]

نَشَرَ الطَّرِيقَةَ فِي زَيَانَ فَأَصْبَحَتْ * تِيدَّاسُ[2] ظَافِرَةً بِهِ بِتَهَانِ

وَافَى يَزُورُ الشَّيْخَ زَادَ اللَّهُ فِي * مَعْنَاهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ

وَلَقِيتُ قَاضِي فَاسِنَا مَوْلَايَ إِسْـ * ـمَاعِيلَ مَنْ فِيهِ ارْتَقَى الخُلْقَانِ

خُلُقٌ جَمِيلٌ زَانَهُ الخُلُقُ العَظِـ * ـيمُ كَمَالُ حُسْنٍ فَهُوَ ذُو الإِحْسَانِ

نَاهِيكَ بِابْنِ السَّيِّدِ المَامُونِ ذِي الـ * ـفَضْلِ الَّذِي قَدْ زَادَ فِي رُجْحَانِ

وَلَقِيتُ ذَا الوَجْهِ الجَمِيلِ وَصَاحِبَ الـ * ـقَدْرِ الجَلِيلِ السَّائِحَ[3] الرَّبَّانِي

وَهُوَ المُرَشَّحُ لِلْقَضَا فِي المَنْصِبِ الـ * ـثَّانِي بِفَاسٍ مِنْ ذَوِي الإِيقَانِ

وَلَقَدْ دَعَتْهُ إِلَى الرُّقِيِّ مَنَاصِبُ * فَقَضَى المُنَى مِنْهَا بِغَيْرِ تَعَانِ

---

[1]- حمادي الزياني، فقيه صوفي فاضل، من مقدمي الطريقة التجانية بقبيلة زيان، وهو ممن يعود لهم الفضل في نشر الطريقة المذكورة بتلك الجهة، توفي عام 1383هـ ـ 1963م

[2]- مدينة صغيرة بإقليم الخميسات

[3]- إشارة للعلامة محمد بن عبد السلام السائح، الذي عين وقتئذ قاضيا بمقصورة الرصيف بفاس عام 1355هـ ـ 1936م، كما كان حينها من عداد مدرسي مادتي الحديث والتفسير بجامع القرويين من المدينة المذكورة.

وعن جودة هذه الدروس يقول تلميذه الفقيه المؤرخ محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي : كانت تلك الدروس مملوءة بالفوائد الممتعة، والقواعد المحررة، والطرائف البديعة. وكان يستحضر كثيرا من الأبيات والمقطوعات الشعرية، والشواهد العلمية، وكان فصيح اللسان، حلو العبارة، مليح الإشارة، وكان لتعبيره رنة موسيقية ونغمة عذبة، خصوصا عند تلاوة بعض الآي القرآنية التي كان يفسرها، وكانت مجالسه العلمية تغص بالطلبة النجباء المستفيدين، وتكتظ بالعامة المتعطشة لالتقاط درره البهية، وفرائده الغالية، وجواهره الثمينة.

توفي بمدينة مكناس بتاريخ الإثنين سادس عشر القعدة الحرام من عام 1367هـ ـ 14 شتنبر 1948م، عن عمر يناهز 57 عاما فقط، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 516

وَلَقِيتُ بَعْضَ أَفَاضِلٍ لَوْ أَنَّهُمْ * قَدِمُوا عَلَيَّ لَقَرَّتِ العَيْنَانِ
مِنْهُمْ كَبِيرُ المَجْلِسِ العِلْمِي أَخُو الـ * ـعَلْيَا الفَضِيلِي[1] حَامِلُ العِرْفَانِ
صَادَفْتُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي * لَأُحِبُّهُ مِنْ سَالِفِ الأَزْمَانِ
وَأَرَى لَدَيْهِ مَا يُحِبُّ لِأَنَّهُ * مِنْ صَفْوَةِ البَيْتِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
وَلَقَدْ تَحَلَّى بِالمَعَارِفِ وَالتُّقَى * وَلَقَدْ تَجَلَّى فِي مَكِينِ مَكَانِ
وَلَقِيتُ مَفْخَرَةَ القُضَاةِ رَئِيسَهُمْ * فِي حُكْمِ الاسْتِينَافِ بِالإِتْقَانِ
السَّيِّدَ السَّنَدَ الأَجَلَّ مُحَمَّدَ الـ * ـعَلَوِي[2] المُبَجَّلَ نُخْبَةَ الأَعْيَانِ
الحَافِظَ الوِدِّ القَدِيمِ وَصَاحِبَ الـ * ـصَّدْرِ السَّلِيمِ وَفَائِقَ الأَقْرَانِ
لَا لَا يُدَارِي النَّاسَ فِي تَصْرِيحِهِ * فِي كُلِّ مَا قَدْ ظَنَّهُ حَقَّانِي

---

[1]- عبد الله بن إدريس الفضيلي، من كبار علماء القرويين بفاس، تولى قضاء مدينة الجديدة ورئاسة المجلس العلمي مدة غير قصيرة، وهو نجل العلامة إدريس بن أحمد الفضيلي صاحب كتاب الدرر البهية، في الأنساب الحسنية والحسينية، توفي بموطنه بفاس في الساعة الثالثة من صباح يوم الأحد 24 شوال عام 1363هـ ـ 12 أكتوبر 1944م، أي بعد شهرين لا غير من وفاة صديقه مؤلف هذا الكتاب العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 498 ـ 499

[2]- محمد بن العربي العلوي المدغري. فقيه قاض. أخذ عن جماعة من كبار علماء وقته. منهم أحمد بن الخياط الزكاري. ومحمد (فتحا) بن قاسم القادري. وخليل الخالدي. بالإضافة لأبي شعيب الدكالي. وهو عمدته وموجهه وبه تخرج.

وقد تولى مهاما ومسؤوليات عديدة. منها رئاسة مجلس الاستئناف بمدينة الرباط. وهو العمل الذي كان يشغله أثناء هذه المناظرة. كما تولى من بعد منصب وزير العدلية. ولا ننسى أن العلامة سكيرج كان قد اصطحبه بعد هذه الرحلة بثلاث سنوات إلى مدينة الجزائر[العاصمة] لحضور الجمع السنوي لأعضاء جمعية أوقاف الحرمين الشريفين، وقد دون رحمه الله أعمال وشؤون هذه الرحلة في كتاب سماه : شبه رحلة إلى الجزائر، كما لا يفوتنا التنبيه على أن محمد بن العربي العلوي المذكور كان في بداية عهده عدلاً بنظارة الأوقاف بفاس الجديد، وكان العلامة سكيرج هو الذي يدير هذه النظارة، وذلك ما بين عامي 1332هـ ـ 1336هـ موافق 1914م ـ 1918م، أي إبان عهد الحرب العالمية الأولى

توفي مساء يوم 23 محرم الحرام 1384هـ-4 يونيه 1964م بالرباط. ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه مدغرة. وبها دفن. أنظر ترجمته في سل النصال لابن سودة 195-197. موسوعة أعلام العرب 9: 3383-3385. إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 583

حَاشَاهُ مِمَّا قَدْ رَمَوْهُ بِهِ مِنَ الـ * بُغْضِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الحِرْمَانِ[1]
لَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى فِي الأَوْلِيَا * قَوْمًا تَغَالَوْا قَامَ بِالنُّكْرَانِ
وَالجَهْرُ مِنْهُ بِرَدِّ مُخْتَلَقِ المَقَا * لَاتِ الَّتِي تُعْزَى لَهُمْ يَرْضَانِي
إِنِّي مُعَاضِدُهُ وَلَسْتُ مُعَارِضًا * إِلَّا لِمَنْ نَاوَاهُ مِنْ خِلَّانِي
خِلَّانُ هَذَا العَصْرِ لَا يَخْلُونَ عَمَّـ * ـنْ فِي الغُلُوِّ جَنَى جِنَايَةَ جَانِ
كَمْ أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَتَحَدَّثُوا * بِمُخَالِفِ الأَدْيَانِ وَالأَذْهَانِ
فَيُنَفِّرُونَ النَّاسَ مِمَّا يَدَّعُو * نَ لَهُمْ وَكَمْ مُتَقَوِّلٍ آذَانِي
وَلَقَدْ تَحَمَّلْتُ الأَذَى مِنْ بَعْضِهِمْ * حَتَّى سَدَدْتُ بِأُصْبُعِي آذَانِي
إِنَّ الطَّرَائِقَ كُلَّهَا لَمْ تَخْلُ مِنْ * دُخَلَاءَ فِي الفُقَرَاءِ وَالإِخْوَانِ
فَلِذَاكَ قَامَ عَلَيْهِمُ بِنَكِيرِهِ * وَنَكِيرُهُ مَا كَانَ عَنْ هَذَيَانِ
وَسِوَاهُ يَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ * مَا نَالَ فِي الإِنْكَارِ غَيْرَ تَعَانِ
عَاشَرْتُهُ زَمَنَ النِّظَارَةِ حِينَ كَا * نَ هَوَاهُ مِثْلَ هَوَايَ فِي التِّجَانِي
قَدْ كَانَ بِالجِدِّ القَوِيمِ مُعَاشِرِي * مَا فِيهِ مِنْ خَتَلَانٍ أَوْ خِذْلَانِ
فَلِذَاكَ أَحْمِلُهُ عَلَى حُسْنِ النَّوَا * يَا فِي النَّوَى وَالقُرْبِ طُولَ زَمَانِ
مَا قَوْلُهُ إِلَّا مَعَ القَوْلِ الَّذِي * يُعْزَى لِأَهْلِ السِّرِّ عَنْ فُرْقَانِ
إِنَّ القَبِيحَ هُوَ اغْتِيَابُ الأَوْلِيَا * وَسِبَابُهُمْ مِنْ جَاهِلٍ طَغَّانِ
وَالعِلْمُ حَامِلُهُ يَمِيلُ بِهِ إِلَى * الإِنْصَافِ فِي حِينٍ مِنَ الأَحْيَانِ
وَإِذِ الكَلَامُ مَعَ الكَلَامِ يَكُونُ لَا * مَعْهُمْ فَلَا عُتْبَى عَلَى النُّكْرَانِ

---

[1]- في هذه الأبيات نوع من الملاطفة والمهادنة وتأليف القلوب، وإلا فمحمد بن العربي العلوي مشهور ببغضه العنيف للطريقة التجانية، ولا يخفى على أحد ما تَفَوَّهَ به في هذا الصدد من كلام قبيح وجارح، لا يسعنا في هذه الأسطر إلا أن نغض عنه الطرف، والذي لا يخفى على أحد أن الحسد هو السبب الدافع لكل هذه المثالب. وهو الذي جرَّ هذا الفقيه ومن على شاكلته إلى الوقوع في عرض مولانا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه. ورحم الله الشاعر أبا الأسود الدؤلي إذ يقول:

حسدوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَهُ * فالقوم أعداءٌ له وخصُومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسداً وبغضاً إنه لَذَمِيمُ

وَقَــدِ اجْـتَـمَـعْـتُ بِـبَـهْـجَـةِ الـعَلْـيَا أَبِــي * عَــيَّــادٍ[1] الأَرْضَـــى رَفِــيــعِ الــشَّــانِ

ذِي الـلُّطْفِ إِدْرِيــسَ الأَجَــلِّ أَبِــي الـعُلَا * وَهُـــوَ الَّـــذِي بِـمَـبَـرَّةٍ لَاقَــانِــي

كَـلَّـمْـتُـهُ فِـــي طَـبْـعِ مَـــا أَلَّـفْـتُـهُ * فَــأَجَــابَ مُـمْـتَـثِـلًا مَـــعَ الإِتْـقَــانِ

لِـلَّـهِ مِـــنْ شَـــابٍّ عَـفِـيـفٍ قَـدْ غَـدَا * مُـتَـمَـسِّـكًا بِـالـجِـدِّ فِـــي الأَقْـــرَانِ

نَـرْجُـو لَـــهُ نَـيْـلَ الـنَّـجَاحِ مَـعَ الـنَّـجَا * ةِ الـمُـسْـتَـمِـرَّةِ فِـــي كَـمَــالِ أَمَــانِـي

(مُـسْـتَـمْـلَـحَـةٌ)

وَلَـقِـيـتُ فِـــي نَـهْـجِ الـطَّـرِيـقِ جَـمَـاعَـةً * مَـــا عِــنْـدَهُـمْ نَـظَــرٌ وَلَا عَـيْـنَـانِ

هُـــمْ يَـنْـظُـرُونَ إِلَـيْـكَ مِـــنْ بُـعْـدٍ وَإِنْ * بِــالـقُـرْبِ كَــانُـوا مِـنْـكَ كَـالـعُـمْـيَانِ

حَـــتَّـــى إِذَا فَــاجَــأْتُـهُـمْ بِـتَـحِـيَّـةٍ * رَدُّوا الـتَّـحِـيَّـةَ عَـــنْ شَـدِيـدِ تَـعَـانِ

قَــدْ أَكْـثَـرُوا مِـــنْ قَـوْلِـهِمْ لِــي كَـيْـفَ أَنْـ * ـتَ وَكَـيْـفَ حَـالُـكَ مِـــنْ بَـنِـي الإِنْـسَانِ

وَلَـــقَـــدْ تَـوَحَّـشْـنَـاكَ حَـــتَّـــى إِنَّـــنَـــا * قَـــدْ كَـــانَ مِـنَّـا الـعَـزْمُ لِـلْإِتْـيَانِ

لَابُـــدَّ أَنْ نَـــأْتِــي إِلَـــيْــكَ نَـــزُورُ سَـ * ـطَّـــاتٍ قَـرِيـبًا فِـــي بُـلُـوغِ أَمَــانِ

فَـأَجَـبْـتُ بَـعْـضَـهُـمْ وَكُـنْـتُ مُـبَـاسِـطًا * أَمْـــرِي هُـــنَــا وَهُـنَــاكُـمْ سِــيَّــانِ

مَـــا بَـالُـكُـمْ أَعْـرَضْـتُـمْ عَـنِّـي وَلِـــمْ * لَا تُـعْـرِضُـونَ عَـلَـــيَّ فِـــي ذَا الآنِ

مَـــا لِـــي بِـكُـمْ مِـــنْ حَـاجَـةٍ لَا تَـقْـدُمُـوا * عِـنْـدِي فَـأَنْـتُـمْ مِـــنْ بَـنِـي سَـاسَـانِ

الـخَـاطِـفِـينَ لِـمَـا بِـجَـيْـبِ جَـلِـيسِـهِمْ * وَالـخَـاطِـئِـينَ خَـطِـيـئَـةَ الـشَّـيْـطَـانِ

وَالـخَـاطِـبِـينَ الـــوِدَّ مَـــنْ لَـــمْ يَـعْـرِفُـوا * وَمُـقَـابِـلِـي الإِحْـسَــانِ بِـالـكُـفْـرَانِ

حَـتَّـى إِذَا قَـامَـتْ عَـلَـيْـهِمْ حُـجَّـتِـي * قَـبِـلُـوا الـمَـتَـابَ بِـغَـايَـةِ الإِذْعَـــانِ

وَدَعَـوْتُـهُـمْ وَدَعَـــوْتُ مَـــنْ لَاقَـيْـتُـهُـمْ * لِــزِيَـارَتِـي لِأُجِـلَّــهُـمْ بِـمَـكَـانِـي

فَـيَـرَوْنَ مِـنِّـي فَـــوْقَ مَـــا يَـدْرُونَـهُ * مِـنِّـي بِـفَـضْـلِ مَـوَاهِـبِ الـمَـنَّـانِ

ثُـــمَّ انْـثَـنَـيْـتُ مُـوَدِّعًـا فَــاسًـا وَأَهْـ * ـلَـيْـهَـا وَدَاعَ مُـحِـبِّـهَـا الـمُـتَـفَـانِي

---

[1]- السيد إدريس بوعياد، صاحب المطبعة الجديدة بشارع الطالعة رقم 65 بفاس، وهو أيضا صاحب اليومية العصرية، التي كان لها ساعتئذ رواجا عظيما، ليس في مدينة فاس فحسب بل في المغرب كله، كانت له صداقة متينة بالمؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج، توفي منتصف السبعينات من القرن الميلادي الماضي، وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على بعض من الرسائل الأخوية التي دارت بين الرجلين

بَلَدِي العَزِيزَةُ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُطِلْ * فِيهَا الإِقَامَةَ فِي قُصُورِ جِنَانِ

مِنْ بَعْدِمَا اسْتَنْكَرْتُ حَالَةَ بَعْضِهِمْ * شَابُوا وَهُمْ فِي هَيْئَةِ الشُّبَّانِ

حَلَقُوا اللِّحَى وَالحَلْقُ أَصْبَحَ عَادَةً * لَهُمُ كَأَنَّهُمُ مِنَ النِّسْوَانِ

مَا وَقَّرُوا الشَّيبَ الوَقُورَ وَلَا اللِّحَى * إِنَّ اللِّحَى مِنْ زِينَةِ الذُّكْرَانِ

كُنَّا بِعَصْرِ زَمَانِنَا نَهْجُو الَّذِ * ينَ بِحَلْقِهَا صَارُوا مِنَ المُرْدَانِ

بَلْ حَلْقُهَا قَدْ كَانَ أَقْبَحَ مُثْلَةٍ * فِي النَّاسِ عَنْ إِذْنٍ مِنَ السُّلْطَانِ

وَاليَوْمَ أَصْبَحَ فِي الشَّبَابِ المُلْتَحِي * يَرْمُونَهُ بِكُدُورَةِ الأَذْقَانِ

ذَهَبَتْ وَحَقِّكَ سُنَّةُ المُخْتَارِ فِي * تَوْقِيرِهَا فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ

لَمْ يَحْلِقِ المُخْتَارُ لِحْيَتَهُ وَلَا * مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ مِنَ الصُّحْبَانِ

يَا قُبْحَهَا مِنْ عَادَةٍ فِي حَلْقِهَا * وَلَوْ أَنَّ غَيْرِي قَالَ بِاسْتِحْسَانِ

كُلٌّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ نِحْلَةٍ * مُتَمَسِّكٌ وَأَنَا مَعَ العَدْنَانِي

فَلْيَحْلُقُوا أَذْقَانَهُمْ أَوْ يَحْلُقُوا * شَيْئًا بِدُونِ حَيَا مَدَا الأَحْيَانِ

وَلَقَدْ تَمَنَّى الجُلُّ مِنْ أَحْبَابِنَا * طُولَ الإِقَامَةِ عِنْدَهُمْ بِتَهَانِي

لَاسِيَمَا أَهْلُ الصَّدَاقَةِ مِنْهُمُ * عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْ ذَوِي الإِحْسَانِ

وَسِوَاهُمُ مِمَّنْ يَزِينُ بِذِكْرِهِمْ * نَظْمِي وَيَرْجَحُ بِالثَّنَا مِيزَانِي

كُلٌّ عَلَى نَهْجِ الطَّرِيقَةِ قَدْ غَدَا * وَبِرَأْسِ كُلٍّ أَنْفَسُ[1] التِّيجَانِ

وَلَقَدْ تَرَكْتُ الكُلَّ غَيْرَ مُوَدِّعٍ * لَهُمُ لِأَمْرٍ فِيهِ لِي قَصْدَانِ

قَصْدُ التَّخَفُّفِ مِنْ تَكَلُّفِهِمْ مَعِي * مَعَ قَصْدِ رِفْقٍ بِي مِنَ الوِجْدَانِ

نَفْسِي تُحِبُّهُمُ وَلَسْتُ بِصَابِرٍ * عَنْهُمْ وَقَلْبِي مِنْ نَوَاهُمْ عَانِي

---

[1]- إشارة لما جاء في كتاب بغية المستفيد، لشرح منية المريد، للعلامة سيدي محمد العربي بن السائح، حيث قال في المطلب السابع منها : الوجه الرابع : أن لأهل هذه الطريقة علامة يتميزون بها عن غيرهم ، ويعرف بها أنهم تلاميذ رسول الله صلى الله عليه و سلم وفقراؤه و هي كما قاله حواري هذه الطريق المشهود له في معرفة أسرارها بالتبريز و التحقيق :

إن كل واحد من أهلها مكتوب بين عينيه بطابع النبي صلى الله عليه و سلم « محمد رسول الله » صلى الله عليه و سلم ، وعلى قلبه مما يلي ظهره « محمد بن عبد الله » ، و على رأسه تاج من نور مكتوب فيه « الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية » إهـ. كلامه فيما وقفنا عليه من بعض مؤلفاته .

{الرُّجُوعُ إِلَى سَطَّاتٍ وَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَى سُوسٍ}

وَرَجَعْتُ عَنْ عَجَلٍ لِسَطَّاتٍ وَقَدْ * أَحْرَزْتُ مَقْصُودِي مِنَ الخِلَّانِ
وَخَرَجْتُ مِنْهَا طَالِبًا لِي رَاحَةً * وَشَدَدْتُ رَاحِلَتِي لِكَشْفِ تَعَانِي
وَتَرَكْتُ نَائِبِيَ ابْنَ صَالِحٍ[1] الرِّضَى * لِيَقُومَ بِالأَشْغَالِ فِي إِتْقَانِ
فَهُوَ الَّذِي ثِقَتِي بِهِ لِتُقَاتِهِ * وَلِجَدِّهِ مَعَ عِفَّةٍ وَأَمَانِ
مِنْ بَعْدِ كَتْبِ وِصَايَتِي لِابْنِي الرِّضَى * عَبْدِ الكَرِيمِ[2] بِمَا يَسُرُّ جَنَانِي
وَأَمَرْتُهُ بِمَقَامِهِ فِي مَوْضِعِي * حَتَّى أَعُودَ وَلَيْسَ ذَا عِصْيَانِ
وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ سَطَّاتًا لَهُ * سُكْنَى لِمَا يَلْقَى مِنَ السُّكَّانِ
لَوْلَا العُدُولُ وَبَعْضُ قُوَّادٍ بِهَا * لَعَدَلْتُ عَنْهَا تَارِكًا لِمَبَانِي
هِيَ بَلْدَةُ الأَهْوَاءِ طَابَ بِهَا الهَوَا * وَالمَاءُ عَذْبٌ لَذَّ لِلظَّمْآنِ

1- أحمد بن صالح المزوكي الشاوي، فقيه جليل، كان يشغل نائبا للعلامة سيدي أحمد سكيرج إبان فترة قضائه لمدينة سطات، وهو رجل مسن وقور، يبدو على وجهه أثر الصلاح، وقفت على صورته الفوتوغرافية ضمن الخزانة السكيرجية، توفي عام 1373هـ ـ 1954م

2- النابغة النبيه، والأستاذ الفنان الكبير، الأديب الشهير، سيدي عبد الكريم بن سيدي الحاج أحمد سكيرج، من مواليد مدينة فاس في 15 ربيع الأول عام 1322هـ ـ 31 ماي 1904م، كان عمره إبان هذه الرحلة 34 سنة، وهو من الأدباء المتفوقين شعرا ونثرا، له إلمام كبير بفن الخط بجميع أنواعه، وقد أطلعني ابنه الأستاذ الفاضل سيدي محمد الكبير على مصحف كتبه بخطه، وهو في غاية النفاسة والجمال.

وكثيرا ما كانت الجرائد والمجلات تنوه بعبقريته الكبيرة، خاصة فيما يتعلق بالألوان والخطوط البديعة والزخرفة، وإلى جانب ذلك كان له رحمه الله اهتمام وولوع بفن التصوير الفتوغرافي، وقد أبدع فيه غاية الإبداع، كما ألف كتابا سماه (المعرب عن تراجم بعض أعيان المغرب) غير أنه لم يتمه، وقد عززه بصور فوتوغرافية للعديد من الشخصيات التي ترجم لها فيه، ويعد هذا العمل من أولوياته التي لم يسبقه إليها أحد.

ويكفيه فخرا أنه حافظ على خزانة والده العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج من التلف والضياع والآفات طيلة حياته، وخلاصة القول أن هذا الرجل جدير بكل ما قيل ويقال فيه من التنويه والتقدير والإكبار، وكانت وفاته بتاريخ 10 شعبان عام 1403هـ الموافق 23 مايو سنة 1983م. ورثاه ابن عمه الأستاذ الأديب سيدي عبد الغني سكيرج بهمزية قال في مطلعها :

إن فاتني يوم الرحيل عزائي * فلقد حملت اليوم فيك رثائي
أرثي أباً وأخاً وخلاً رائقاً * غضاً عطوفاً نيِّرَ الأحشاء

بَـلَـدٌ بِـهَـا قَـضَّـيْـتُ أَعْـوَامًـا بِـهَـا * لَـوْلَا الـمُـرُوءَةُ قُـلْـتُ فِـي شَـنَـآنِ

لَـوْلَا اصْطِبَارِي وَالـرِّضَى بِقَضَا القَضَا * مَـا كُـنْـتُ فِـيـهَـا نَـاشِـرًا عِـرْفَـانِـي

إِنِّـي لَآسِـفُ حَـيْـثُـمَا انْـتَـفَـعُوا بِـهَـا * وَلَـوْ أَنَّـهُـمْ حُـسِـبُـوا مِـنَ الأَعْـيَـانِ

وَلَـقَـدْ غَـرَسْـتُ لَـهُـمْ رِيَـاضَ مَـعَـارِفٍ * لَـكِـنْ سِـوَاهُـمْ كَـانَ هُـوَ الـجَـانِـي

وَلَـهُـمْ وَلِـي أَرْجُـو مِـنَ الـلَّـهِ الـكَـرِيـ * ـمِ الـلُّـطْـفَ وَالـتَّـوْفِـيـقَ كُـلَّ أَوَانِ

وَلَـقَـدْ تَـرَكْـتُـهُـمْ وَلَـسْـتُ بِـتَـارِكٍ * مِـنِّـي الـدُّعَـاءَ لَـهُـمْ بِـكَـشْـفِ الـرَّانِ[1]

فَـرَكِـبْـتُ مَـتْـنَ سَـيَّـارَتِـي فِـي رُفْـقَـتِـي * حُـسْـنُ الـرَّجَـاءِ لِـنَـيْـلِ كُـلِّ أَمَـانِـي

حَـتَّـى وَفَـدْتُ عَـلَـى الـمُـقَـدَّمِ وَهُـوَ لِـي * نِـعْـمَ الـمُـحِـبُّ وَبِـالـوِدَادِ حَـبَـانِـي

أَكْـرِمْ بِـنَـجْـلِ عَـلِـي الـعَـلِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ * مَـا إِنَّ لَـهُ فِـي الـمَـكْـرُمَـاتِ مُـدَانِـي

نِـعْـمَ الـمُـقَـدَّمُ فِـي الـطَّـرِيـقِ الأَحْـمَـدِي * فَـلَـهُ الـتَّـقَـدُّمُ فِـي ذَوِي الـعِـرْفَـانِ

تَـقْـدِيـمُـهُ قَـدْ كَـانَ بِـاسْـتِـحْـقَـاقِـهِ * لِـلْأَخْـذِ بِـالأَيْـدِي مِـنَ الإِخْـوَانِ

وَلِـذَاكَ مَـنْ أَخَـذُوا عَـلَـيْـهِ الإِذْنَ فِـي الـ * ـوِرْدِ الـشَّـرِيـفِ حَـوَوْا بُـلُـوغَ أَمَـانِـي

---

[1]- عن مدينة سطات وأهلها يقول العلامة سيدي أحمد سكيرج في هامش كتابه الحجارة المقتية لكسر مرءاة المساوي الوقتية : سطات بلدة صحية، طاب هواؤها، وعذب ماؤها، وقد كانت قصبة عسة [بمعنى حراسة] جيشية، من النقط التي أسسها المولى اسماعيل على عادته في إحداثها لحفظ الأمن في القبائل، موقعها بين ثغر الدار البيضاء بنحو 72 كلم، وبين مراكش بنحو 168كلم.

وهي الآن بلد تتسع أرجاؤه شيئا فشيئا في وسط قبيلة الشاوية، وهو منطقة باشوية في الشاوية، داخل فيها قيادة بني عروس، وقبيلة المزامزة، وقيادة أولاد بوزيري، وقبيلة أولاد سيدي بنداود، ويرجع إليها استيناف أحكام قاضي قبيلة أولاد سعيد، وقاضي قصبة البروج في قبيلة بني مسكين، وقاضي قصبة ابن احمد في قبيلة أمزاب. وسميت بهذا الإسم إما لكون المارين بها يحتاجون إلى [زَطَّاطٍ] يحتمون به من قطاع الطريق الذين كانوا يتربصون سلب أموال المسافرين في تلك النواحي، خصوصا بالمحل الذي أسست فيه، حفظا لها من العدوان، وقيل إنه كان هناك ستة عشر شخصا مقيمين على الفساد وقطع سبيل المارة، فنسبت لهذا العدد باللغة الدارجة وهي [سطاش] ثم أبدلت الشين تاء لكثرة الاستعمال في مخاطبة العامة، وقيل غير ذلك.

وهي في نفس قبيلة المزامزة، سكانها يناهزون أربعة عشر ألفا من خليط أهل الحضر وأهل البادية، والأصليون منهم على ما يعترفون به بأنفسهم كذابون حسادون، يخافون ولا يستحيون، أهل خديعة واحتيال، يظهرون خلاف ما يبطنون، لا يفرق مخالطهم بين صديقه منهم وعدوه، ويتحزبون بأدنى شيء على من لا يداريهم أولا يداهنهم، بحيث لا يسلم منهم إلا من له نفوذ كلمة مخزنية أو عصبية قوية، ولله في خلقه شئون، وقاضيها الحالي المؤلف إهـ. مؤلفه.

وَقَصَدْتُ فِي عِشْرِي جُمَادَى رَبِيعِهِ * مِنْ عَامِ [شَادَ سَمَى] [1] رَفِيعَ مَكَانِ
فَوَجَدْتُهُ رَفَعَ الإِلَهُ مَقَامَهُ * لِي فِي انْتِظَارٍ فِي كَمَالِ تَهَانِ
فِي رُفْقَتِي عَبْدُ الكَبِيرِ التُّكَّنِي [2] * وَمَعِي الجَذَانِي [3] سَائِقُ الأَظْعَانِ
مَا كَانَ سَائِقُهَا بِأُجْرَةِ خِدْمَةٍ * بَلْ أَجْرُهُ فِيهَا عَلَى الدَّيَّانِ
وَقَدْ اتَّقَيْتُ بِهِ مَنَاكِرَ سَائِقٍ * مَا لِي بِهِ ثِقَةٌ لَدَى جَوَلَانِي
إِنَّ السَّيَّارَةَ دَائِمًا فِي سَوْقِهَا * لَمْ تَخْلُ مِنْ مَجْنُونٍ أَوْ سَكْرَانِ
وَكَفَانِيَ اللهُ المُهِمَّ فَلَمْ يَكُنْ * فِي سَفْرَتِي بِمُرَافِقٍ خَوَّانِ
فَحَلَلْتُ بِالبَيْضَاءِ [4] وَهِيَ فَرِيدَةٌ * فِي حُسْنِهَا بِتَنَوُّعِ البُنْيَانِ
فِيهَا القُصُورُ الشَّامِخَاتُ وَإِنَّهَا * لَخَلِيقَةٌ بِتَزَايُدِ العُمْرَانِ
ضَاقَتْ بِكَثْرَةِ سَاكِنِيهَا وَهْيَ قَدْ * وَسِعَتْ مِئِي الآلَافِ مِنْ سُكَّانِ
مَرْسَى التِّجَارَةِ وَهِيَ حَاضِرَةُ الحَوَا * ضِرِ حَيْثُ فِيهَا حَضْرَةُ السُّلْطَانِ
مَا مِثْلُهَا مَرْسَى بِمَغْرِبِنَا وَقَدْ * ضُرِبَتْ بِهَا الأَمْثَالُ فِي البُلْدَانِ
فِيهَا العَجَائِبُ وَالغَرَائِبُ جُمِّعَتْ * بِتَفَنُّنٍ وَتَخَالُفِ الأَدْيَانِ
وَأَجَلُّ مَا فِيهَا مَحَبَّةُ أَهْلِهَا * لِلْعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ بِاسْتِحْسَانِ
فِيهَا المَسَاجِدُ وَالزَّوَايَا عُمِّرَتْ * بِالذِّكْرِ وَالتَّرْتِيلِ لِلْقُرْآنِ
وَتَعَدَّدَتْ فِيهَا زَوَايَا الشَّيْخِ مِثْـ * ـلَ مُقَدَّمِيهِ وَهُمْ عَلَى أَلْوَانِ
وَأَنَا لِكُلِّهِمُ أُسَلِّمُ حَالَهُمْ * مَا لَمْ يُخَالِفْ مَذْهَبَ التِّجَانِي
فَالشَّيْخُ سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ الأَحْمَدِي * يَهْدِي إِلَى حَقٍّ بِكُلِّ بَيَانِ

---

[1]- فيه إشارة لتاريخ انطلاق هذه الرحلة الميمونة، وذلك بحساب الجمل الكبير، وهو على وجه التحديد 20 جمادى الآخرة عام 1356هـ ـ غشت 1937م

[2]- عبد الكبير التكاني، نسبة لقبيلة تكانة بجنوب المغرب، فقيه صوفي، من مريدي الطريقة التجانية، كان يقطن بمدينة الدار البيضاء، وبها توفي عام 1377هـ ـ 1957م

[3]- محمد الجذاني، سائق السيارة، رجل مهذب فاضل، من مريدي الطريقة التجانية، وقفت على صورة فوتوغرافية له بالخزانة السكيرجية، كان إبان هذه الرحلة في حدود الأربعين من عمره، توفي بمدينة الدار البيضاء عام 1385هـ ـ 1965م

[4]- مدينة الدار البيضاء، العاصمة الإقتصادية للملكة المغربية، هي أكبر مدينة في المملكة، وأكبر مدينة من حيث عدد السكان في المغرب العربي الكبير، يصل عدد سكانها حسب آخر الإحصائيات إلى ست ملايين نسمة

مَـــا فِـــي طَـرِيـقَـتِـهِ ادِّعَـــاءُ مَـرَاتِـبٍ * وَالـمُـدَّعِـيهَـا فِـــي الـحَـقِـيقَـةِ جَـانِـي

بُـنِـيَـتْ عَـلَـى تَـقْـوَى وَرِضْـــوَانٍ وَلَـــمْ * تَـكُ عَـــنْ هَـوَى يُـفْـضِـي بِـهَـا لِـهَـوَانِ

إِنَّ الـطَّـرِيـقَـةَ عِـنْـدَنَـا ذِكْـــرٌ خُـصُـو * صِـــي صَـحَّ عَـــنْ إِذْنٍ مِـــنَ الـعَـدْنَـانِي

مَـــا هُـــوَ إِلَّا الـــوِرْدُ وَهُـــوَ مُـقَـرَّرٌ * بِـشُـرُوطِـهِ لِـمُـرِيـدِهِ الـرَّبَّـانِـي

وَوَظِـيـفَـةٌ جَـلَّـتْ وَهَـيْـلَـلَـةٌ جَـلَـتْ * مِـــنْ بَـعْـدِ عَـصْـرِ الـجُـمْـعَـةِ الـنُّـورَانِي

هَـــذَا وَلَـيْـسَ بِـغَـيْـرِ هَـــذَا عِـبْـرَةٌ * بَـعْـدَ الـصَّـلَاةِ وَصِـحَّـةِ الإِيـمَـانِ

وَأَدَاءِ مَـــا فَـــرَضَ الإِلَـــهُ بِـغَـايَـةِ الـ * إِتْـقَـانِ فِـــي سِـــرٍّ وَفِـــي إِعْـــلَانِ

وَالـمُـدَّعُـونَ لِـغَـيْـرِ هَـــذَا إِنَّـمَـا * هُـــمْ أَهْـــلُ أَهْـــوَاءٍ ذَوُو حِـرْمَـانِ

وَالـمُـدَّعِـي لَا لَا الْـتِـفَـاتَ لِـقَـوْلِـهِ * وَلَـــوْ اسْـتَـدَلَّ عَـلَـيْـهِ بِـالـبُـرْهَانِ

هَـــذِي الـطَّـرِيـقَـةُ عِـنْـدَنَـا لَا غَـيْـرُهَـا * مِـمَّـا يُـخَـالِـفُ مُـحْـكَـمَ الـقُـرْآنِ

وَإِذَا الـطَّـرِيـقَـةُ بَـرْهَـنَـتْ عَـــنْ نَـفْـسِـهَـا * لَا لَا اعْـتِـبَـارَ بِـمُـدَّعٍ نَـفْـسَـانِـي

ثُـــمَّ الـدَّعَـاوِي لَا تَـضُـرُّ طَـرِيـقَـةَ * الأَشْـيَـاخِ مِـــنْ مُـتَـقَـوِّلٍ فَـتَّـانِ

فَـالـشَّـيْـخُ فِـــي أَحْـوَالِـهِ مُـتَـأَيِّـدٌ * بِـالـحَـقِّ وَهُـــوَ الـعَـارِفُ الـحَـقَّـانِي

مَـــا حَـــلَّ مَـرْتَـبَـةَ الـنَّـبِـيِّ وَإِنَّـمَـا * مِـنْـهُ اسْـتُـمِـدَّ الـبِـرُّ فِـــي الأَكْـوَانِ

وَالـلَّـــهُ أَعْـطَـــاهُ فَـكَـانَ وَسَـاطَـةً * فِـــي الـسِّـرِّ مِـنْـهُ لِـطَـالِـبِـي الإِحْـسَـانِ

إِنَّ الـسَّـلَامَـةَ لِـلْـمُـسَـلِّـمِ دَائِـمًـا * فِـيـمَـا يَـقُـولُ مُـحِـبُّـهُ وَالـشَّـانِـي[1]

فَـجَـمِـيـعُ مَـا يَـرْوُونَـهُ فِـــي الـصَّـحْـوِ أَوْ * فِـــي الـسُّـكْـرِ شُـكْـرٌ مِـنْـهُ لِـلْـمَـنَّـانِ

وَالـمُـنْـكِـرُونَ لِـمَـا يَـــرَوْنَ مُـخَـالِـفٌ * لِـلْـحَـقِّ لَا يَـخْـلُـونَ مِـــنْ خِـــذْلَانِ

لَا يَـحْـكُـمُـونَ عَـلَـيْـهِـمُ بِـضَـلَالَـةٍ * حَـتَّـى يُـحَـاطَ بِـسُـنَّـةِ الـعَـدْنَـانِـي

هُـــمْ لَـــمْ يُـحِـيـطُـوا بِـالـمَـذَاهِـبِ كُـلِّـهَـا * حَـتَّـى يَـسُـبُّـوا أَوْلِـيَـا الـرَّحْـمَـانِ

وَالأَوْلِـيَـاءُ جَـمِـيـعُـهُـمْ فِـــي مَـخْـدَعِ الـ * سِّـتْـرِ اسْـتَـكَـنُّـوا فِـــي كَـمَـالِ أَمَـانِ

مَـــنْ ذَا الَّـــذِي يَـبْـغِـي الـوُصُـولَ إِلَـيْـهِـمُ * وَيَـرَاهُـمُ مِـــنْ أَوْلِـيَـا الـشَّـيْـطَـانِ

---

[1] ـ من هذا القبيل ما ذكره العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح في طالعة كتابه بغية المستفيد، لدى حديثه عن علم المكاشفة، قال : فافهم و سلم تسلم، ولا تكن من المنكرين، فتهلك مع الهالكين، وهذا النوع هو الذي قال فيه بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخشى عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله والله تعالى أعلم.

وَاهًــا عَــلَــى مَــنْ لاَ يُــسَــلِّـمُ أَمْــرَهُــمْ * أَوْ مَــــنْ لَــهُــمْ قَـــدْ قَــامَ لِـلنُّـكْـرَانِ
عَــجَــبًــا لَــــهُ وَهُــــوَ الْـقَـلِـيلُ بِـضَـاعَـةً * فِـــي الـعِـلْـمِ يَـنْـسُـبُـهُمْ إِلَـــى النُّـقْـصَـانِ

{الــسَّــفَــرُ إِلَـــــى الــجَــدِيــدَةِ}

ثُــــمَّ ارْتَــحَــلْـنَـا قَــاصِـدِيــنَ جَــدِيــدَةً[1] * فِـــي صَـحْــوَةِ الإِثْـنَـيْـنِ فِــي اطْـمِـئْـنَـانِ
وَلَــهَــا وَصَــلْـنَـا فِــــي كَـمَــالِ سَــلاَمَــةٍ * وَبِــــهَــــا رَأَيْــــنَــــا أَتْــــقَــــنَ الـبُـنْـيَـانِ
وَلَــقَــدْ أَفَــادَتْـهَــا الـطَّـبِـيـعَـةُ مَـنْـظَـرًا * وَغَـــدَتْ لَـــدَى الـسُّـوَّاحِ خَـيْـرَ مَـكَـانِ
طَــابَ الـهَـوَاءُ بِـهَـا فَـأَصْـبَـحَ أَهْـلُـهَـا * مُـتَـنَـوِّرِي الأَرْوَاحِ فِــــي الأَبْـــــدَانِ
وَلَــقَــدْ سَـكَـنَّـاهَـا زَمَــانًــا قَـــدْ مَـضَــى * مَـــعَ سَــــادَةٍ مِــــنْ أَفْـضَـلِ الـسُّـكَّـانِ
أَيَّـــامَ كَــــانَ الـصَّــدْرُ فِـيـهَـا سَـالِـمًـا * وَالـصَّــدْرُ فِـيـهَـا دَائِـمًـا يَـرْعَـانِـي
لِــلَّـهِ دَرُّ أَبِـــي الـفُـتُـوحِ مُـحَـمَّـدِ الـ * ـجَـبَّـاصِ[2] وَهُــوَ الـصَّـدْرُ فِــي الأَعْـيَـانِ

---

[1]- مدينة الجديدة : تعد من أجمل المدن الساحلية المغربية، اعتبارا لموقعها الجغرافي على المحيط الأطلسي، تقع جنوب مدينة الدار البيضاء، على بعد تسعين كلم من جهة الجنوب

[2]- محمد بن محمد الجباص الغرباوي السفياني الفاسي، الصدر الأعظم، ولد بفاس سنة 1264 هـ ـ 1847 م وهو كبير الوفد المغربي الذي عينه السلطان مولانا الحسن الأول للذهاب إلى أنجلترا قصد تلقي العلوم العصرية. كما أخذ بالمغرب أيضا عن جماعة من العلماء منهم الشيخ ماء العينين، الذي لقنه أسرارا و أذكارا خاصة، و كان لديه اهتمام كبير بمصنفه المسمى: مذهب المخوف على دعوات الحروف، و قد ساعده العلامة سكيرج كثيرا في حل رموز هذا الكتاب، وما يحتوي عليه من الفرائد والفوائد، كما كشف له عن الأسماء الباطنية التي أخفاها المؤلف بين طياته، و نظرا للعلاقة الحميمة التي كانت تجمع بين الطرفين، قام العلامة سكيرج بمدح صاحبه المذكور بقصائد نفيسة، منها قصيدة قال في مطلعها:

الحب في وجه المحب يلوح * كيف اكتتامه و النحول يبوح

و منها قصيدة أخرى قال في مطلعها:

إن كـان قلبك لا يـزال حديدا * فالقلب مـنـي لا أراه حـديـدا
مـاذا يلينه لتشفق لـي ولا * تصغى لمن في العذل صار مريدا

سكن المترجم مدينة الجديدة بعد إعفاءه من منصب الوزير الصدر، فاستوطنها مدة 17 سنة. من سنة 1917 م إلى سنة 1934 م. و هي السنة التي توفي فيها، و كان ذلك عند أوبته من فريضة الحج. ودفن برابغ. أنظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 36:1. مختصر العروة الوثقى لمحمد الحجوي 17. معلمة المغرب 2915:9. موسوعة أعلام المغرب لحجي 3026:8.

قَــدْ كَــانَ لِــي مَـعَـهُ أُمُــورٌ بَـعْـضُـهَا * فِــي غَـيْـرِهِ مِــنْ خَـيْـرِهِ نَـسَّـانِـي
لَــمْ أَنْـسَ مِـنْـهُ تَـوَدُّدًا فِــي رَوْضِــهِ * وَبِـأُنْـسِـهِ لِــي فِـيـهِ قَــدْ حَـبَـانِـي
وَلَإِنْ مَـضَـى وَالـلَّـهُ يَـرْحَـمُـهُ فَـقَـدْ * وَرِثَ الـمَـحَـبَّـةَ بَـعْـدَهُ الـصِّـهْـرَانِ
الـفَـاطِـمِـي الـعَـدْلُ السُّـلَـيْـمَـانِـي[1] الرِّضَـى * وَأَبُــو الـعَـلَا عُـمَـرُ الـحَـبِـيـبُ الـثَّـانِـي[2]
كُــلٌّ لَــهُ نِـعْـمَ الـخَـلِـيـفَـةُ عِـنْـدَهُ * وَهُــمَــا لَــهُ الـصِّـهْـرَانِ وَالإِبْـنَـانِ
مَــا مَــاتَ مَــنْ تَــرَكَ الـخَـلِـيـفَـةَ بَـعْـدَهُ * بَـيْـنَ الـخَـلَائِـقِ مِــنْ ذَوِي الإِحْـسَـانِ
أَنَّــى أَتَـيْـتُ إِلَـيْـهِـمَا فِــي رَوْضِــهِ * وَكِــلَاهُـمَـا بِـتَـرَحُّـبٍ لَاقَـانِـي

---

[1]- الفاطمي بن محمد ابن سليمان، من أعز أصدقاء الأديب سيدي عبد الكريم سكيرج [نجل المؤلف الحاج أحمد سكيرج] من مواليد مدينة فاس يوم 9 شتنبر 1898م، عين بعد استقلال المغرب عاملا لمدينة فاس، ثم أسندت له بعد ذلك مناصب دبلوماسية مختلفة، منها سفير للمغرب في بغداد، ثم في عمان، ثم في بيروت، ثم في الكويت، ثم في جدة بالمملكة العربية السعودية، وهو إلى جانب ما ذكرناه رجل صوفي، له صلة وثيقة بالطريقة التجانية، أخذها قديما عن المؤلف، وأجازه فيها آخرون.

ولا ننسى أنه كان من عداد الوفد المصاحب للعلامة سكيرج أثناء حفلات تدشين مسجد باريس عام 1344هـ ـ 1926م، وقد ذكره المؤلف ضمن قصيدته القافية، المعروفة بالشمقمقية الباريسية، والتي دون بها كثيرا من فعاليات تلك الرحلة، فقال فيه :

منهم أديب عصره الشاب الذي * نشأ في حجر العلوم في رقي
في حجر صهره محل الفضل من * مظهره في عصره لم يخلق
في حجر صهره الوزير المنتقى * محمد الجباص بدر الأفق
ذو السمت والوقار والفضل الذي * طار من الغرب لأقصى المشرق
أكرم به واعرف بحق صهره * هو الأجل المرتقي ابن المرتقي
سلالة الفضل الرفيع فضله * الطيب الأصل الجميل الخلق
لبس من نسج الوقار حللا * مع الحياء والعفاف الأليق
وهو المحب لي ولابني الفاطمي * إبن سليمان منير الطرق
أخلاقه مثل النسيم إن جرى * في أطيب الوقت بطيب عبق

توفي بمدينة الرباط يوم 4 ربيع الثاني عام 1401هـ ـ 9 فبراير 1981م، ودفن في مقبرة الشهداء، أنظر ترجمته في معلمة المغرب 15 : 5100 ـ 5101

[2]- المراد به السيد عمر الخطيب، أنظر التعريف به في ص 52

وَلَنَا تَكَامَلَتِ المَسَرَّةُ مِنْ أَبِي * سَتَّه[1] السَّمِيِّ هُنَاكَ طِبْقَ أَمَانِي

جَاءَتْ بِهِ *الحَمْرَاءُ* بَهْجَةَ مَجْلِسِ الـ * أُدَبَاءِ وَالحُكَمَاءِ وَالأَعْيَانِ

وَإِذَا السَّرَاةُ تَذَاكَرُوا وَتَسَاجَلُوا * أَدْنَى إِلَيْهِمْ يَانِعَ الأَفْنَانِ

يَجْنُونَ مِنْ ثَمَرَاتِ أَوْرَاقِ المُنَى * أَدَباً غَضِيضًا مِنْ جَنَاهُ الدَّانِي

وَقَدِ الْتَقَيْنَا بِالمُحِبِّ ابْنِ المُحِـ * ـبِّ الطَّاهِرِي العَالِي عَلَى الأَقْرَانِ

حَاكَى أَبَاهُ فِي المُبَاشَشَةِ الَّتِي * سَلَبَ القُلُوبَ بِهَا بِحُسْنِ تَدَانِي

لَمْ أَنْسَ وِدًّا مِنْهُ كَانَ مُسَرْسَلًا * لِلْوَافِدِينَ عَلَيْهِ كُلَّ أَوَانِ

قَدْ كَانَ يُدْعَى فِي الجَدِيدَةِ حَاتِمًا * بَيْنَ الوُجُودِ لِجُودِهِ الهَتَّانِ

فَالجُودُ يَمْدَحُ دَائِمًا أَصْحَابَهُ * وَالبُخْلُ أَقْبَحُ خِلَّةِ الإِنْسَانِ

وَقَدِ اجْتَمَعْنَا بِالرِّضَى البَاشَا بِهَا الـ * ـجَرَّارِيُّ العَرْبِي رَفِيعُ الشَّانِ

لَمْ آلَفْ مِنْهُ سِوَى البَشَاشَةِ وَالـ * ـتَّرَحُّبِ وَهُوَ إِلْفِي مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ

مَا ضَرَّهُ أَنْ لَوْ دَعَانَا عِنْدَهُ * حَتَّى وَلَوْ بِدُعَاءِ طَرْفِ لِسَانِ

لَوْلَا بَشَاشَتُهُ لَقُلْنَا إِنَّهُ * عَنَّا اسْتَحَالَ لِحَالَةِ المُتَوَانِي

وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ زَارَنَا بِمَحَلِّنَا * لَرَأَى الكَرَامَةَ فِي رَفِيعِ مَكَانِي

لَا لَا نُؤَاخِذُهُ عَلَى مَا قَدْ جَنَيْـ * ـنَا بِالمُرُوءَةِ وَهُوَ لَيْسَ بِجَانِي

مَا كَانَ مِنْ حَقِّي زِيَارَةُ مِثْلِهِ * وَأَنَا بِفَضْلِ اللَّهِ عَنْهُ غَانِي

وَأَنَا أُنَبِّهُهُ عَلَى أَنْ لَا يَعُو * دَ إِلَى التَّهَاوُنِ وَهُوَ شَرُّ هَوَانِ

وَالفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ * إِلَّا ذَوُوهُ بِسَائِرِ الأَوْطَانِ

أَكْرِمْ بِفَضْلِ أَخِيهِ أَكْرَمِ مُكْرِمٍ * فِي قَوْمِهِ المَوْلَى الرِّضَى عُثْمَانِ

عَاشَرْتُهُ فَعَرَفْتُ فِيهِ الجِدَّ فِي * خَدَمَاتِهِ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ

وَالجِدُّ فِي بَعْضِ الأُمُورِ يَضُرُّ بِالـ * ـمَجْذُوذِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ

مَا كَانَ وَاخَذَنِي بِفَرْطِ إِسَاءَةٍ * صَدَرَتْ لَهُ مِنِّي عَلَى اسْتِهْجَانِ

وَمَدَحْتُهُ وَالمَدْحُ مِنْ حَسَنَاتِهِ * يَمْحُو الإِسَاءَةَ فِي ذَوِي الإِحْسَانِ

---

[1]- أحمد بن عمر بوستة المراكشي، من أولاد بوستة المعروفين بمراكش، فقيه فاضل، من خيرة شعراء وقته، توفي في أواسط شهر شوال عام 1377هـ ـ أبريل 1958م، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 565

إِنِّــي مَــرَرْتُ مَــعَ الـخَطِيبِ[1] حَـبِيبِـهِ * بِـبِـنَـائِهِ فِــي الـبَـحْـثِ عَــنْ زَرْقَــانِـي[2]

أَعْـنِـي الَّــذِي شَـهِـدَتْ لَــهُ أَعْــدَاؤُهُ * بِـالـفَـضْـلِ وَهُــوَ مُـبَـرِّزُ الـشُّـجْـعَـانِ

وَلَــوْ أَنَّــنِــي لَاقَــيْــتُــهُ بِـمَـحَـلِّـهِ * تَــمَّ الـسُّـرُورُ بِــهِ لَــدَى جَـوَلَانِـي

مِــنْ سُــوءِ حَـظِّـي لَـمْ أُصَــادِفْ مِنْهُمَا * أَحَــدًا هُــنَــاكَ لِـتَـنْـجَـلِي أَحْـزَانِـي

وَنَـشِـطْـتُ حَـيْـثُ رَأَيْــتُ مَــا لِكِلَيْهِمَا * مِــنْ أَرْضِ حَــرْثٍ مِـثْـلُـهَا أَرْضَـانِـي

جُـمِـعَـتْ بِـهَـا الـخَـصْبَا وَلَـكِـنْ بِـاعْـتِـنَـا * ئِـهِـمَـا غَــدَتْ مِــنْ أَحْـسَـنِ الـبُـلْـدَانِ

وَلَـقَـدْ مَـرَرْنَـا عَـلَى الجَرِيفِ الأَصْـفَرِ[3] الـ * ـعَــالِــي وَعُــدْنَــا مِــنْــهُ لِـلْـبُـسْـتَانِ

عُـجْـنَـا عَـلَـى تِـيـطٍ[4] وَعَـرَّجْـنَـا عَـلَـى * آثَــارِهَــا مَـرْمِـيَّـةَ الـحَـدَثَـانِ

---

[1]- المراد به السيد عمر الخطيب، وهو والد الدكتور عبد الكريم الخطيب، أحد أبرز الوطنيين وقادات جيش التحرير بالمغرب. كان عندئذ يشغل مراقبا للأحباس بمدينة الجديدة، وهو صهر الصدر الأعظم السيد محمد بن محمد الجباص، ذكره العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه الهدية السارة، بالمسامرة ببيان بعض العلوم النافعة و بعض الفنون الضارة، وذلك ضمن العلماء المتخرجين من كبريات المدارس العصرية آنذاك، كما ذكره في كتابه الرحلة المكية قائلا : واجتمعنا عنده بالأديب ذي اللسانين، الفصيح المترجم الشريف سيدي عمر الخطيب الجزائري، وهو من أصهار سيادة الصدر المذكور. إهـ..

[2]- محمد أزرقان، أحد أبرز رجالات حرب الريف التحريرية، من مواليد أجدير قرب الحسيمة عام 1310هـ وتعرف عائلتهم بأولاد الحاج، أول من اشتهر بأزرقان منهم جده الشيخ محمد بن عبد الكريم من أيت علي وعيسى القاطنين بأجدير، ولهم نسبة للولي الصالح سيدي الحاج يحي الإدريسي دفين مدشر تيغانمين من قبيلة بقيوة، وتصدر محمد أزرقان للمشيخة في قبيلة بني ورياغل بعد وفاة عمه الشيخ علي بن أزرقان، ولما اندلعت حرب الريف التحريرية عينه البطل المجاهد سيدي محمد بن عبد الكريم الخطابي وزيرا للخارجية في حكومة المجاهدين. انظر ترجمته في الظل الوريف في محاربة الريف، للعلامة سكيرج ص 87.

[3]- يقع الجرف الأصفر على ساحل المحيط الأطلسي، على بعد 20 كيلومترا جنوب شرق مدينة الجديدة. وسمي هذا الجرف بهذا الإسم لاصطباغ أحجاره وصخوره ومغاراته باللون الأصفر

[4]- تقع تيط على الساحل الأطلسي بمنطقة دكالة، بعيدا عن مدينة الجديدة بحوالي أحد عشر كيلومترا، على الطريق الساحلية المؤدية لمدينة الوليدية. وتعرف اليوم تيط بمركز مولاي عبد الله، وتعتبر هذه الحاضرة من المراكز العمرانية القديمة بالمغرب.

ودلت الآثار المكتشفة في المنطقة على أن هذه البلدة عمرت في عهود مبكرة، كما افترضت الأبحاث أن الميناء المسمى في الأدبيات القديمة باسم رتوبيس كان يوجد على الأرجح في المكان الذي شغلته تيط، وهذا يعني أن تيط من المدن القديمة في المغرب. ثم بعد الفتح الإسلامي صارت تحمل اسما جديدا في المصادر العربية الإسلامية هو "تيطنفطر" و يقال اختصارا "تيط".

وَبِهَا بَنُو أَمْغَارٍ[1] شِيدَ ضَرِيحُهُمْ * فِي الجَانِبِ البَحْرِيِّ وَسْطَ مَبَانِي

عَظُمَتْ كَرَامَتُهُمْ وَجَلَّ مَقَامُهُمْ * فِي النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ مُنْذُ زَمَانِ

كَمْ مِنْ مَنَاظِرَ قَدْ تَجَلَّتْ فِي بَهَا * هَا قَدْ جَلَوْنَاهَا مَعَ اسْتِحْسَانِ

وَمِنَ الَّذِينَ بِنَا اعْتَنَوْا فِي ثَغْرِهَا الـ * ـمَوْلَى الرِّضَى إِدْرِيسُ[2] ذُو العِرْفَانِ

وَهُوَ المُقَدَّمُ فِي الطَّرِيقَةِ وَهُوَ شَا * بٌّ جَامِعٌ لِلْفَضْلِ فِي الأَقْرَانِ

مِنْ صَفْوَةِ المُخْتَارِ بَيْنَ ذَوِي العُلَا * وَلِأَمْرِهِ الإِخْوَانُ فِي إِذْعَانِ

وَلَقَدْ سُرِرْنَا بِالَّذِي مِنْهُ شَهِدْ * نَا مِنْ قِيَامٍ فِي الطَّرِيقِ السَّانِي

لِلَّهِ مِنْ زَاوِيَةٍ قَدْ حَلَّهَا * لِلذِّكْرِ وَالذِّكْرَى مَدَا الأَحْيَانِ

وَلَقَدْ دَعَانَا لِلْعِشَاءِ لَدَيْهِ وَاسْتَـ * ـدْعَى سُرَاةَ الفَضْلِ فِي الأَعْيَانِ

---

[1]- للشرفاء الأمغاريين مكانة بارزة في التصوف المغربي، فسند مولاي عبد الله أمغار هو امتداد لسند الولي الصالح أبي شعيب أيوب سعيد (السارية)، إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي بواسطة أبي يعزى وأبي مدين الغوث والقطب ابن مشيش. و قد اشتهر الشيخ مولاي عبد الله بغزارة علمه و سعة اطلاعه، وكانت تتوافد عليه الوفود برباط تيط من كل حدب وصوب لاستشارته والتزود بنصائحه، وأغلب الأولياء والصالحين بساحل دكالة من تلامذته أو تلامذة أولاده وأحفاده.

[2]- إدريس بن المختار، فقيه صوفي جليل، مقدم الطريقة التجانية بمدينة الجديدة، وقفت له على كنانيش وتقاييد ورسائل كثيرة، توفي في عقد الستينات من القرن الميلادي الماضي، قال عنه العلامة سيدي إدريس العراقي في كتابه الفيض الرباني فيما تدور عليه التربية عند الشيخ التجاني، وأصحابه الكمل أهل الفضل والتهاني : ومنهم العالم العلامة المقدم الشريف البركة، ذو التآليف العديدة، والتقاييد المفيدة، مولاي إدريس بن المختار التاشفيتي، وقد تخرج عالما بفاس على يد العلامة المحقق، المقدم البركة المشارك المدقق، سيدي محمد بن عبد القادر بناني، إمام مسجد الديوان بفاس، وانتفع على يده في الجديدة عدد كثير من الطلبة والإخوان، وشاهدوا له مناقب وفتوحات، وقد أجازه في الطريقة عدد كثير، منهم والدنا سيدي محمد العابد العراقي

فِـي الـصَّدْرِ مِنْهُمْ قَـدْ تَجَلَّى الرَّافِعِيُّ[1] * بَـدْرُ الـعُلَى الـعَالِي الـرَّفِيعُ الـشَّانِ
إِنْ تَـفْـخَـرِ الأَزْمَـانُ بِـالـحُفَّاظِ فِـي * أَوْقَـاتِـهِـمْ فِـيـهِ افْـتِـخَارُ زَمَانِـي
حِـفْـظٌ بِـإِتْـقَـانٍ وَفَـهْـمٍ ثَـاقِـبٍ * وَكَـمَـالِ فَـتْـحٍ فِـيـهِ بِـالإِيـقَانِ
لِـلَّـهِ مَـا أَحْـلَـى عِـبَـارَتُـهُ الَّـتِـي * وَفَّـتْ عَـنِ الـمَقْصُودِ فِـي تِـبْيَانِ
لَا لَا أُرَاجِـعُ مَـا يَـقُـولُ لِأَنَّـهُ * عِـنْـدِي الـصَّدُوقُ الـعَالِمُ الـرَّبَّانِـي
وَإِذَا تَـكَـلَّمَ لَـمْ يَـدَعْ لِـسِوَاهُ قَـوْ * لًا كُـلَّـمَا قَـدْ جَـالَ فِـي مَـيْدَانِ
وَأَرَاهُ يَـحْـتَـرِمُ الـجَـنَـابَ الأَحْـمَـدِيَّ * وَعَـلَـى عِـدَاهُ يَـقُـومُ بِـالـنُّكْرَانِ
وَيُـرِيـهِـمْ مَـالَا يَـرَوْنَ مِـنَ الـهُـدَى * فَـيَـرَوْا تَـقَـوُّلَـهُـمْ مِـنَ الـهَـذَيَانِ
لِـلَّـهِ مِـنْ صَـدْرٍ تَـكَـامَلَ قَـدْرُهُ * بِـتَـبَـتُّـلٍ فِـي طَـاعَـةِ الـرَّحْـمَانِ

---

[1]- العلامة الكبير، والمحدث الأصولي الشهير، سيدي محمد بن العلامة الأستاذ سيدي أحمد بن عبد الله الفاضل الرافعي الدكالي، ولد بأزمور قرب مدينة الجديدة عام 1306هـ وبها حفظ القرآن الكريم على يد جده لأمه سيدي الحسن بن الفاطمي الأزموري، والفقيه سيدي محمد بن الحاج الطيب الرافعي، والفقيه الحاج محمد بن عبد الرزاق الأزموري، والفقيه السيد إسماعيل الحسيني،

ثم بعد ذلك تعاطى لطلب العلوم النافعة، فأخذ عن عدة شيوخ منهم : العلامة سيدي محمد بن محمد السكتيوي التطواني، والفقيه أبو النعائم الحاج بوشعيب الأزموري، والعلامة القاضي السيد أبو شعيب بن محمد الهلالي الأزموري، والفقيه السيد أحمد بن محمد الفرجي وغيرهم.

ويذكر عن والده سيدي أحمد الرافعي أنه كان عالما أستاذا جليلا، مقدما في الطريقة المختارية، يلقن أورادها لمن طلبها منه، وقد توفي عام 1308هـ ـ 1891م، ودفن بضريح سيدي أبي شعيب بمدينة أزمور، وترك ابنه المترجم له صغيراً دون السنتين من عمره،

أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها رحمه الله عن جماعة من أكابر أعلامها، منهم المقدم الفاضل سيدي محمد بن إسماعيل الأزموري المتوفي عام 1340هـ ـ 1922م، أحد تلامذة العلامة الولي الشهير سيدي العربي العلمي اللحياني، ثم أخذها بعد ذلك أيضا على المقدم السيد الحاج الحسين بن أحمد النتاجي الصديقي السوسي، ثم على المقدم الشهير سيدي أحمد محمود دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، ثم على المقدم العارف بالله سيدي محمد النظيفي، ثم على المقدم البركة القطب الحاج الحسين الإفراني وغيرهم،

توفي بمدينة الجديدة يوم الجمعة 24 رجب عام 1360هـ ـ 17 غشت 1941م، ودفن بروضة الشيخ النخل، أنظر ترجمته في رياض السلوان، فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 129. إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 488، موسوعة أعلام المغرب 8 : 3082 ـ 3083

مَــعَــهُ تَــلَاقَــيْــنَــا بِــعَــبْــدِ الــقَــادِرِ الــ * ـأَرْضَــى الــمُــحِــبِّ الــبَــرْدَعِــي الــتِّــجَــانِــي[1]
رَجُــلِ الــمُــرُوءَةِ وَالــعَــفَــافِ مَــعَ الــتُّــقَــى * وَخُــمُــولِ ذِكْــرٍ مَــعَ عُــلُــوِّ مَــكَــانِ
حَــصَــلَــتْ لَــنَــا مَــعْــهُــمْ مُــذَاكَــرَةٌ بِــهَــا * ثُــمَّ انْــتِــفَــاعُ الــكُــلِّ دُونَ تَــعَــانِ
وَالــعِــلْــمُ مُــتَّــسِــعُ الــمَــجَــالِ وَفِــيــهِ قَــدْ * جُــلْــنَــا بِــإِنْــصَــافٍ مَــعَ الإِذْعَــانِ
ثُــمَّ انْــثَــنَــيْــنَــا لِــلْــمَــبِــيــتِ بِــرَوْضَــةِ الــ * ـجَــبَّــاصِ[2] فِــي أَمْــنٍ مَــعَ اطْــمِــئْــنَــانِ
وَلَــقَــدْ تَــلَــقَّــانَــا بِــكُــلِّ تَــرَحُّــبٍ * صِــهْــرَاهُ أَهْــلُ الــفَــضْــلِ وَالإِحْــسَــانِ

{الــسَّــفَــرُ إِلَــى آسَــفِــي}

ثُــمَّ ارْتَــحَــلْــنَــا قَــاصِــدِيــنَ لِآسَــفِــي[3] * وَمَــعِــي الــمُــقَــدَّمُ صُــحْــبَــةَ الــتُّــكَّــانِــي
وَجَــرَتْ مُــذَاكَــرَةٌ لَــنَــا فِــي أَصْــلِ تُــ * ـكَّــانِــي وَنِــسْــبَــةِ شَــيْــخِــنَــا الــتِّــجَــانِــي
لَا بِــدْعَ أَنْ يَــكُ أَصْــلُــهُ تُــكَّــانَــةٌ[4] * وَلَــهَــا أَشَــارَ جَــمَــاعَــةٌ بِــبَــنَــانِ
وَظَــنَــنْــتُ قَــبْــلَ الــيَــوْمِ أَنَّ الأَصْــلَ مِــنْ * تِــجِّــيــنَــةٍ[5] مِــنْ هَــذِهِ الأَوْطَــانِ

---

[1]- سيدي عبد القادر البردعي، قال عنه العلامة سيدي إدريس العراقي في كتابه الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية : ومنهم الفقيه النزيه، العلامة الجليل النبيه، الذكر الورع الناسك الأجل التالي لكتاب الله، الحافظ لعدد كبير من المصنفات، كالشيخ خليل وألفية ابن مالك ولاميته وغير ذلك، سيدي الحاج عبد القادر بن الحاج التهامي البردعي، ومن أشياخه الشريف العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وله مقطعات شعرية ومؤلفات جليلة، وحج وزار وجال في بلدان، والتقى برجال عظام، وله القدم الراسخة في الطريقة الأحمدية، تمسك بها من صغره، توفي رحمه في جمادى الأولى عام 1358هـ ـ 3 يوليو 1939م، ودفن خارج باب الفتوح بفاس.

[2]- سبق التعريف به في ص 49

[3]- مدينة آسفي : هي واحدة من المدن المغربية التي تطل على المحيط الاطلسي، غنية بالثروات البحرية، لاسيما السردين، كما لها شهرة بالصناعات الخزفية، تبعد عن مدينة الدارالبيضاء بحوالي 200 كلم، وعن مدينة مراكش بحوالي 160 كلم.

[4]- تكانة : قبيلة بربرية مشهورة، تقع في منطقة حوز مراكش

[5]- تجينة : قبيلة صغيرة، ضمن قبيلة بني حسن، إحدى أكبر التجمعات القبلية بمنطقة الغرب بالمغرب الأقصى

هِـيَ فِـي بَنِـي حَسَـنٍ وَقَـدْ زُرْنَـا بِـهَا * مَـعَ سَيِّـدِي المَحْمُودِ[1] خَـيْـرَ مَـكَـانِ

لِـي رِحْـلَـةٌ مَـعَـهُ وَقَـدْ سَـمَّيْتُـهَا * بِـبُـلُـوغِ مَـقْـصُـودِ[2] الـمُـحِـبِّ الـفَـانِـي

أَكْـرِمْ بِـمَـحْـمُودِ الـخِـصَـالِ حَـفِـيـدِ سَـ * يِّـدِنَـا الـتِّـجَـانِـي مَـنْـبَـعِ الـعِـرْفَـانِ

لَـمْ أَنْـسَ أَيَّـامًـا مَـضَـتْ مَـعَـهُ لَـنَـا * قَـدْ طَـابَ فِـيـهَـا الأُنْـسُ فِـي أَزْمَـانِـي

---

[1]- سيدي محمود بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه، توفي بالأغواط ليلة الأحد 14 محرم الحرام فاتح سنة 1353 هـ - 29 أبريل 1934م، ونقل إلى قرية عين ماضي. ودفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب التجاني، وقد وقفت على رسالة للسلطان السبق المولى عبد الحفيظ بعثها للعلامة سكيرج، يسأله فيها عن مرتبة الشريف سيدي محمود ومنزلته ومقامه في عالم الولاية،

فأجابه العلامة سكيرج بعد كلام طويل في هذا الموضوع بقوله : كان رضي الله عنه ملامتيا في الطريقة، وأحوال الملامتية لا توزن بميزان، إلى ان قال له : ولقد شاهدنا من أحوال سيدنا محمود رحمة الله عليه ما لا يصبر عليه إلا من استسلم وسلم لأهل الله في أحوالهم

أنظر ترجمته أيضا في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 56. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الزرابي المبثوثة، للمؤلف نفسه 87 (مخطوط خاص). النفحات الربانية، في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 54_57. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 262_264. أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 12 (مخطوط خاص). نيل المراد، في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 90. إتحاف أهل المراتب العرفانية، بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للمؤلف نفسه 1: 80 (مخطوط). التعريف بالبلدة التنانية، ذات المواهب الربانية، لأحمد بن علي الكشطي التناني (مخطوط).

[2]- غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود، من أهم مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج، تطرق فيه لذكر وقائع وأحداث كثيرة، وملأها كعادته بالفوائد والفرائد والأخبار والمعلومات، كما ترجم فيها لعلماء وأدباء كبار من مدينتي فاس ومكناس وزرهون، ووصف المناطق التي مرت بها رحلته عن طريق قبائل الغرب والشراردة وبني حسن والقنيطرة وسلا والرباط، كما توسع في ذكر القصائد والأدبيات التي قيلت في مدح الشريف سيدي محمود التجاني، مع العلم أن هذه الرحلة استغرقت مدة أربعة أشهر، انطلاقا من يوم الإثنين 14 ذي القعدة الحرام عام 1329 ـ 6 نونبر 1911م، وانتهت في مدينة الرباط، وقد قرظها العلامة الأديب سيدي محمد بن المدني الحسني بقصيدة قال في مطلعها :

أعجب لهذا الدفتر * وما حوى من خبر

أفادنا من همة * دون علاها المشتري

كأنه نجم سنا * أضاء في ذي الأعصر

هَــذَا وَمِــنْ سُـوقِ الـثُّلَاثَا[1] فِـي طَـرِيـ * ـقِ مُـرُورِنَـا عُـجْـنَـا عَـلَـى الـخِـلَّانِ

وَأَخُـصُّ مِنْـهُمْ صَاحِبَ الـوِدِّ الـقَـدِ * يـمِ مُـحِـبَّـنَـا الـقَـاضِـي مَـحَـلَّ أَمَـانِـي

مَـحْـبُـوبَـنَـا الـصَّـحْـرَاوِيَ الـدُّكَّـالِـيَ[2] الـ * ـمَـرْفُـوعَ مَـنْـصِـبُـهُ عَـلَـى الأَقْـرَانِ

إِنَّـا لَـنَـشْـكُـرُهُ عَـلَـى إِكْـرَامِـهِ * فِـي الـحِـسِّ وَالـمَـعْـنَـى مَـدَا الأَحْـيَـانِ

ثُـمَّ انْـثَـنَـيْـنَـا مِـنْـهُ لِـلْـغَـرْبِـيَّـةِ[3] الـ * ـمَـقْـصُـودِ فِـيـهَـا صِـهْـرُنَـا الـرَّبَّـانِـي

وَبِـهَـا ابْـنَـتُ الأَخِ زَوْجُـهَـا مُـسْـتَـوْطِـنٌ * مَـعَـهُ أُخُـوهُ الـسَّـيِّـدُ الـجِـيـلَانِـي

لِـلَّـهِ دَرُّهُـمَـا وَدَرُّ أَبِـيـهِـمَـا * فَـهُـمْ بَـنُـو الـتُّـومِـي رَفِـيـعِ الـشَّـانِ

شَـرُفَـتْ بِـهِـمْ دُكَّـالَـةٌ فَـلَـهَـا بِـهِـمْ * فَـخْـرٌ عَـظِـيـمٌ مِـنْ قَـدِيـمِ زَمَـانِ

أَكْـرِمْ بِـهِـمْ نَـاسًـا هُـمُ أَصْـهَـارُنَـا * فَـاقُـوا سِـوَاهُـمْ مِـنْ ذَوِي الإِحْـسَـانِ

وَأَتَـتْ إِلَـيْـنَـا زُمْـرَةٌ مِـنْ أَهْـلِـهِـمْ * مَـنْـشُـورَةٌ أَعْـلَامُـهُـمْ لِـتَـهَـانِ

فَـرِحُـوا بِـنَـا فَـرَحًـا شَـدِيـدًا لَـمْ نُـطِـقْ * شُـكْـرًا لَـهُـمْ فِـي الـسِّـرِّ وَالإِعْـلَانِ

جَـازَاهُـمُ الـمَـوْلَـى الـكَـرِيـمُ بِـفَـضْـلِـهِ * وَأَثَـابَـهُـمْ بِـبُـلُـوغِ كُـلِّ أَمَـانِ

ثُـمَّ ارْتَـحَـلْـنَـا عَـنْـهُـمُ وَغَـدَتْ بِـنَـا * تِـلْـكَ الـسَّـيَّـارَةُ وَهِـيَ فِـي طَـيَـرَانِ

حَـتَّـى وَصَـلْـنَـا آسَـفِـي وَبِـهَـا حَـلَـلْ * ـنَـا عِـنْـدَ قَـاضِـيـهَـا حُـلُـولَ أَمَـانِـي

وَهُـوَ الـرِّضَـى ابْـنُ أَبِـي الـمَـكَـارِمِ بَـلْ أَخِـي الـ * ـمَـحْـبُـوبُ لِـي وَهُـوَ الـحَـبِـيـبُ الـثَّـانِـي

---

[1]- إشارة لسوق ثلاثاء سيدي بنور، وهو أكبر الأسواق الفلاحية وأبرزها على الصعيد الوطني، وتعتبر هذه الناحية من أغنى المناطق بالبلاد، حيث المنتوجات الفلاحية والحيوانية وخصوبة التربة وتوفر المياه وجودة المحصول ووفرته

[2]ـ العلامة القاضي عبد الوهاب الصحراوي الدكالي، وقفت بالخزانة السكيرجية على رسائل كثيرة بينه وبين المؤلف، والذي يبدو من رسائله أنه كان أديبا بارعا، وشاعرا وديعا، كما كان يكتب بخط مغربي جميل، توفي عام 1383هـ ـ 1963م

[3]- اثنين الغربية : قرية تقع على الطريق الرابط بين مدينتي الجديدة وآسفي، على مقربة من مدينة خميس الزمامرة، وكلا هذه الجهات تابعة لمنطقة دكالة

نِعْمَ الحَبِيبُ ابْنُ الفَقِيهِ مُحَمَّدٌ * مِنْ صَفْوَةِ العُبَّادِ[1] فِي أَوْطَانِي
وَلَدَيْهِ كَانَ الاعْتِنَاءُ بِنَا عَلَى * وِفْقِ الظُّنُونِ بِهِ بِطُولِ زَمَانِي
وَلَقَدْ تَفَسَّحْنَا بِهَذَا الثَّغْرِ مَا * بَيْنَ ارْتِفَاعٍ وَانْخِفَاضِ مَكَانِ
فَدَخَلْتُ زَاوِيَةَ التِّجَانِي وَهِيَ فِي * سَعَةٍ وَحُسْنٍ مِثْلُ قَصْرِ جِنَانِ
وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِبَعْضِ إِخْوَانِي بِهَا * وَيُجَلُّ قَدْرُ المَرْءِ بِالإِخْوَانِ
وَنَصَحْتُهُمْ وَالنُّصْحُ مِنْ شِيَمِي عَلَى * مِقْدَارِ مَا فِي طَاقَةِ الإِمْكَانِ
فِي بَابِهَا صَادَفْتُ سِبْطَ عَلِي التَّمَا * سِينِي العَلِي بْنِ العِيدِ ذِي العِرْفَانِ
وَلَقَدْ تَبَرَّكْنَا بِهِ وَدَعَا لَنَا * وَدُعَاءُ أَهْلِ الفَضْلِ فِيهِ أَمَانِي
وَبَنُو عَلِي[2] وَبَنُو التِّجَانِي كُلُّهُمْ * مُتَتَوَّجُونَ بِأَنْفَسِ التِّيجَانِ
إِنِّي لَمُنْتَسِبٌ لَهُمْ وَمُعَظِّمٌ * لِلْمُنْتَمِي لَهُمُ مَدَا أَحْيَانِي
مَنْ مُبَلِّغٌ آلَ التَّمَاسِينِي عَلِي * أَنِّي خَدِيمُهُمُ المُحِبُّ الفَانِي
أَوْ مُبَلِّغٌ لِبَنِي التِّجَانِي أَنَّنِي * مَمْلُوكُهُمْ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ
أَوْ يُبْلِغُ الإِخْوَانَ إِنِّي نَاصِرٌ * لَهُمُ وَنَاشِرُ رَايَةَ التِّجَانِي
وَأُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يُعِينُونَا عَلَى * مَنْ قَامَ يُوذِي النَّاسَ بِالنُّكْرَانِ
لَسْنَا بِمَعْصُومِينَ مِنْ خَطَأٍ وَلَا * أَنْ لَا نُتَابِعَ خُطْوَةَ الشَّيْطَانِ
لَكِنْ يَضُرُّ بِنَا ادِّعَاءُ مَرَاتِبٍ * لَا لَا يَفُوزُ بِهَا ذَوُو العِصْيَانِ

---

[1]- المراد به العلامة القاضي محمد بن محمد العبادي، كان يشغل حين هذه الرحلة قاضيا بمدينة آسفي، وهو من مواليد فاس صبيحة يوم الخميس 13 جمادى الأولى عام 1306هـ، وبها أخذ العلم بجامع القرويين، ويعد العلامة سيدي أحمد سكيرج من جملة شيوخه الذين تتلمذ عليهم، قرأ عليه الأجرومية بشرح الأزهري، وقد تقلد بعد تخرجه مناصب قضائية سامية، ولا ننسى أنه كان بارعا في علم التوقيت والفلك وأحكام النجوم، كما كان له اطلاع كبير في علم السيميا وسر الحرف،

وله مؤلفات كثيرة، من بينها كتابه : إرشاد الوزير، وهو انتقاد لبعض النقط الواردة في إحدى محاضرات وزير العدل الأستاذ عبد الكريم بن جلون التويمي فيما يتعلق بالقضاء الإسلامي وتشريعه، توفي رحمه الله بمستشفى ابن سينا بالرباط ليلة السبت 23 ربيع الثاني عام 1385هـ ـ 21 غشت 1965م، ثم نقل إلى مسقط رأسه فاس، وبها دفن في اليوم الموالي بزاوية الشيخ ماء العينين الواقعة بدرب السراج من حي الطالعة الصغيرة، أنظر ترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين بترجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي السلمي 230 ـ 235

[2]- المراد بهم أبناء القطب الشهير سيدي الحاج علي التماسيني

وَبِـنَـا يَـضُـرُّ الـمَـاسِـكُونَ يَـدَ الـخَـنَـا * وَهُــمْ بَـنُـو الـسَّـادَاتِ وَالأَعْـيَـانِ
لَا يَـنْـبَـغِـي حَـلْـقُ الـلِّـحَى مِـنْـهُـمْ وَلَا * لَـبْـسُ الـطَّـوِيـلِ وَهُـمْ ذَوُو إِيـمَـانِ
أَوَلَا يَـضُـرُّ بِـهِـمْ جُلُـوسُـهُـمُ عَـلَـى * هِـنْـدَامِ قَـوْمٍ مِـنْ ذَوِي الـخِـذْلَانِ
وَبِـنَـا يَـضُـرُّ وُقُـوفُـهُـمْ فِـي مَـوْقِـفِ الـ * ـتُّـهَـمِ الَّـتِـي تُـفْـضِـي إِلَـى شَـنَـآنِ
مِـثْـلَ الـجُـلُوسِ عَلَى الـكَرَاسِي فِي الـمَقَا * هِـي فِـي مَقَاعِدِ شَارِبِي الـكِيسَانِ
وَتَـجَـاهُـرٌ مِـنْـهُـمْ بِـمَـا لَا يَـنْـبَـغِـي * وَتَـنَـاوُلُ الـصَّـهْـبَـا وَشُـرْبُ دُخَّـانِ
وَتَـدَاخُـلٌ مَـعَ ذِي فُـضُـولٍ فِـي الـمَـلَا * وَدُخُـولُـهُـمْ لِـمَـرَاسِـحِ الـنِّـسْـوَانِ
وَبِـنَـا يَـضُـرُّ تَـحَـدُّثٌ بِـمَـنَـاقِـبٍ * مَـنْـسُـوبَـةٍ لِـلـشَّـيْـخِ بِـالـبُـهْـتَانِ
وَبِـنَـا يَـضُـرُّ مُـلَـقِّـنٌ لِـطَـرِيـقِـنَـا * أَوْ أَيِّ ذِكْـرٍ دُونَ مَـا اسْـتِـيـذَانِ
لَا سِـيَـمَـا مَـنْ لَـيْـسَ إِذْنٌ عِـنْـدَهُ * مِـنْ مُـدَّعِـي الـتَّـقْـدِيمِ فِـي الإِخْـوَانِ
كَـمْ مُـدَّعٍ فِـي الـنَّـاسِ لِلتَّـقْـدِيمِ لِـلـ * ـتَّـلْـقِـينِ وَهُـوَ عَـلَـى الـطَّـرِيـقَـةِ جَـانِـي
مَـا كُـلُّ مَـنْ آبَـاؤُهُـمْ مُـتَـقَـدِّمُـو * نَ مُـقَـدَّمُـونَ وَلَا ذَوُو عِـرْفَـانِ
بَـلْ مِـنْـهُـمْ أَهْـلُ الـدَّعَـاوِي وَالـدَّعَـا * وِي أَهْـلُـهَـا فِـي مِـحْـنَـةٍ وَتَـعَـانِ
وَبِـنَـا يَـضُـرُّ تَـهَـاوُنٌ مِـنْـهُـمْ بِـمَـا * هُـوَ مِـنْـهُـمُ الـمَـطْـلُـوبُ دُونَ تَـوَانِ
لَا يُـخْـرِجُـونَ صَـلَاتَـهُـمْ عَـنْ وَقْـتِـهَـا * وَلْـيَـذْكُـرُوا الأَوْرَادَ بِـالإِتْـقَـانِ
وَلْـيَـحْـضُـرُوا الـذِّكْـرَ الـشَّـرِيـفَ مَـعَ الـوَظِـيـ * ـفَـةِ فِـي الـجَـمَـاعَـةِ وَقْـتَـهَـا الـمُـتَـدَانِـي
أَوَ لَـيْـسَ هَـذَا وَاجِـبًـا فِـي حَـقِّ مُـطْـ * ـلَـقِ دَاخِـلٍ فِـي نَـهْـجِـنَـا الـحَـقَّـانِـي
لَاسِـيَـمَـا أَهْـلُ الـخُـصُـوصِـيَـةِ الَّـتِـي * ظَـفِـرُوا بِـهَـا بِـالـسِّـرِّ فِـي الـسَّـرَيَـانِ
فَـهُـمْ أَحَـقُّ بِـالاعْـتِـنَـا مِـنْ غَـيْـرِهِـمْ * بِـدِيَـانَـةٍ تَـعْـلُـو عَـلَـى الأَدْيَـانِ
مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ مُـتَـحَـفِّـظًـا فِـي دِيـنِـهِ * فَـمُـضَـيِّـعٌ لِـسِـوَاهُ بِـالإِيـقَـانِ
هَـذَا وَقَـدْ شَـاهَـدْتُ خَـارِجَ آسَـفِـي * مَـرْسَـى أَبِـي زَيْـدٍ أَبِـي الـعِـرْفَـانِ
وَعَـنِ الـيَـسَـارِ تَـطُـلُّ أَجْـرَافٌ عَـلَـى الـ * ـبَـحْـرِ الـمُـحِـيـطِ قَـرِيـبَـةُ الـحِـيـطَـانِ
وَأَتَـيْـتُ رَوْضَ أَبِـي مُـحَـمَّـدٍ صَـالِـحٍ[1] * فَـوَجَـدْتُ فِـيـهِ الـنُّـورَ فِـي لَـمَـعَـانِ

---

[1]- الشيخ العارف الواصل أبو محمد صالح، أحد أعلام الصوفية في عهد الدولة الموحدية بالمغرب، جمع الكثير من أخباره ومناقبه العلامة الصوفي أحمد بن إبراهيم في كتاب سماه : المنهج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح. طبع بمصر عام 1352 هـ، وكانت وفاته رحمه الله في أواخر القرن السابع الهجري، وضريحه بمدينة آسفي مشهور يتبرك به.

وَعَلَيْهِ أَسْرَارٌ تَلُوحُ لِنَاظِرٍ * وَلَدَيْهِ فَضْلٌ شَاعَ فِي الأَوْطَانِ

وَلَقَدْ دَخَلْتُ إِلَيْهِ صَاحِبَ نِيَّةٍ * مَحْمُودَةٍ لَمْ يَأْبَهَا تِجَانِي

مَا فِي دُخُولِي قَدْ قَصَدْتُ تَعَلُّقًا * لاَ لاَ وَلاَ اسْتِمْدَادَ سِرٍّ سَانِي

إِنَّ الزِّيَارَةَ عِنْدَنَا مَمْنُوعَةٌ * إِنْ كَانَ عِنْدَ مُرِيدِهَا هَذَانِ[1]

وَالسِّرُّ فِي مَنْعِ الزِّيَارَةِ عِنْدَنَا * هُوَ أَنْ تُرَى لِلشَّيْخِ ذَا إِذْعَانِ

حَتَّى تَسِيرَ مَعَ الَّذِي رَبَّاكَ مِنْ * غَيْرِ الْتِفَاتٍ طَالِبًا رَبَّانِي

لِلشَّيْخِ فِي أَهْلِ الإِرَادَةِ غَيْرَةٌ * مِنْهُ عَلَيْهِمْ ذَوْقُهَا وِجْدَانِي

وَلِصَحْبِهِ فَضْلُ الزِّيَارَةِ ثَابِتٌ * قَدْ حَصَّلُوهُ جَمِيعُهُمْ بِضَمَانِ

أَمَرَ النَّبِيُّ بِمَنْعِهَا فِي حَقِّهِمْ * فَالمَنْعُ مِنْهُ لاَ مِنَ التِّجَانِي

وَدَخَلْتُ مَسْجِدَهَا الكَبِيرَ وَقَدْ نَشَـ * ـطْتُ لِمَا بِهِ يُتْلَى مِنَ القُرْآنِ

وَبِهِ رَأَيْتُ تَعَدُّدَ الأَحْزَابِ فِي * مِحْرَابِهِ وَبِبَابِهِ الفَوْقَانِي

لَوْ كَانَ فِيهِ الحِزْبُ مُتَّحِدًا لَهُمْ * مَا كَانَ تَشْوِيشٌ عَلَى الآذَانِ

وَلأَنْ جَرَى العَمَلُ القَدِيمُ بِهِ لَهُ * ذَا الوَقْتِ فَالتَّوْحِيدُ فِيهِ مَعَانِي

لاَ سِيَمَا بِالقُرْبِ مِمَّنْ يَقْرَؤُ * نَ وَيَذْكُرُونَ جَمَاعَةً فِي آنِ

فَالأَلْيَقُ المَحْمُودُ جَمْعُ تِلاَوَةٍ * أَوْ لاَ فَيَقْرَأُ أَوَّلُونَ فَثَانِي

إِنِّي لَيُعْجِبُنِي سُكُونُ جَمِيعِهِمْ * وَسُكُونُهُمْ لِجَلاَلَةِ الفُرْقَانِ

وَبِبَابِهِ فِي السُّوقِ طَيَّبَنَا امْرُؤٌ * مَدَنِي يَبِيعُ الطِّيبَ فِي دُكَّانِ

نَاوَلْتُهُ مِمَّا بِهِ قَدْ طَابَ نَفْـ * ـسًا مِثْلَ مَا قَدْ طِبْتُ بِاسْتِحْسَانِ

وَالطِّيبُ يَحْمَدُهُ المُسَافِرُ عِنْدَمَا * يُجْلِي بِهِ الأَدْرَانَ فِي الأَرْدَانِ

يَسْتَبْدِلُ العَرَقَ الكَرِيهَ بِعَرْفِهِ * وَبِهِ انْتِعَاشُ الرُّوحِ فِي الأَبْدَانِ

وَلَقَدْ دَخَلْنَا السُّوقَ حَالَ مُرُورِنَا * وَبِهِ مَآثِرُ حَمْلَةِ الوِيدَانِ

قَدْ قِيلَ لِي إِنَّ المِيَاهَ طَغَتْ بِهِ * مِنْ قَبْلِ هَذَا العَامِ كَالطُّوفَانِ

وَصَلَتْ عُلُوَّ مَنَازِلٍ بِمَيَاطِرٍ * فَانْهَدَّ مِنْهَا شَامِخُ البُنْيَانِ

وَالآنَ بِالإِصْلاَحِ قَدْ أُمِنَتْ فَلاَ * يَأْتِي لَهَا الوَادِي سِوَى بِأَمَانِ

وَإِذَا الحُكُومَةُ وَجَّهَتْ نَظَرًا إِلَى الـ * ـإِصْلاَحِ قَرَّتْ بِالمُنَى العَيْنَانِ

---

[1]- يعني بهذان التعلق والإستمداد

وَهُنَاكَ قَدْ زُرْتُ الْمُرَاقَبَةَ الَّتِي * مِنْ سَطْحِهَا شَاهَدْتُ حُسْنَ مَبَانِي
وَتَجَلَّتِ الْمَرْسَى لَنَا فِي مَنْظَرٍ * بَهِجٍ هُنَاكَ يَزِيدُ فِي اسْتِحْسَانِ
ثُمَّ انْثَنَيْنَا قَاصِدِينَ أَخَا الْعُلَا الْ * قَاضِي فَنِلْنَا مِنْهُ كُلَّ أَمَانِي
قَدْ قَامَ بِالإِكْرَامِ طِبْقَ الْمُبْتَغَى * أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَالِمٍ حَقَّانِي
وَقَدِ اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ بِالْقَائِدِ الْ * حَاجِي حَمِيدَةَ[1] سَيِّدِ الأَقْرَانِ
قَدْ كَانَ يَعْرِفُنَا سَمَاعًا وَهُوَ مِنْ * إِخْوَانِنَا فِي الْمَنْهَجِ التِّجَانِي
وَعَلَى الْمُرُورِ عَلَيْهِ أَكَّدَ طَالِبًا * مِنَّا زِيَارَتَهُ بِمَا أَرْضَانِي
فَدَعَوْتُهُ وَوَفَيْتُ بِالْوَعْدِ الَّذِي * مَا كُنْتُ أُخْلِفُهُ مَدَا أَزْمَانِي
سِرْنَا إِلَيْهِ مَعَ الطَّرِيقِ إِلَى بَنِي الْ * حَاجٍّ[2] الَّذِينَ حَبَاهُمُ بِأَمَانِ
هُوَ فِي الشَّيَاظِمَةِ ارْتَقَى لِمَكَانَةٍ * فِي الْعِزِّ حَلَّ بِهَا عَزِيزَ مَكَانِ
هُوَ قَائِدٌ فِيهَا وَنِعْمَ الْقَائِدُ الأَرْ * ضَى مَحَلُّ الْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
وَلَدَيْهِ شَاهَدْنَا الْفَضِيلَةَ جُسِّدَتْ * فِي ذَاتِ فَضْلٍ شَامِخِ الأَرْكَانِ
إِنِّي لَأَشْكُرُهُ وَأَشْكُرُ نَجْلَهُ * وَأَخَاهُ ذَا الْقَدْرِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
فَأَخُوهُ إِدْرِيسُ الرِّضَى نِعْمَ الْخَلِيـ * ـفَةُ عَنْهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
وَسَلِيلُهُ الْمَحْمُودُ عَبْدُ اللَّهِ فِي * آدَابِهِ قَدْ فَاقَ فِي الأَقْرَانِ
وَالْكَاتِبُ الأَحْظَى الأَدِيبُ الْمُرْتَضَى * الْمَحْجُوبُ أَفْضَلُ كَاتِبٍ لَاقَانِي
وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمُ مَا سَرَّنَا * فَلَهُمْ عَلَيْنَا دَائِمُ الشُّكْرَانِ

{السَّفَرُ إِلَى الصَّوِيرَةِ}

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا لِلصَّوِيرَةِ فِي هَنَا * وَقَصَدْتُ بَاشَاهَا مَحَلَّ أَمَانِي

---

[1]- حميدة الحاجي، الملقب بالقائد الحاجي الصغير، قائد قبائل الشياظمة وما ولاها، عاصر ظهور الحركة الوطنية، فكان من كبار المؤيدين لها، وهو من مريدي الطريقة التجانية، توفي سنة 1372هـ ـ 1952م، أنظر ترجمته في معلمة المغرب 10 : 3262

[2]- أولاد الحاج : ينتسبون إلى الحاج بن دميس بن عبد الوهاب بن عبد المنعم بن سيدي عمارة بن إبراهيم بن اعمر بن عامر الهامل المكنى بأبي السباع. ويتواجد أحفاده بإقليم (شيشاوة) بالمغرب، ضمن القرية المعروفة باسم (دوار أولاد الحاج) قرب قرية سيدي المختار، مقر الزاوية السباعية الكبرى

الْقَائِدَ الْمَجْبُودَ حَامِلَ رَايَةِ الْـ * ـفَضْلِ الَّذِي قَدْ زَادَ فِي رُجْحَانِ

قَدْ كَانَ لِي نِعْمَ الْمُحِبَّ وَلَمْ يَزَلْ * وَأَنَا الْمُحِبُّ لَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

رَافَقْتُهُ فِي خِدْمَتِي فِي طَنْجَةٍ * وَرَأَيْتُ مِنْهُ كُلَّ مَا يَرْضَانِي

وَلَقَدْ تَلَقَّانَا بِكُلِّ كَرَامَةٍ * وَأَطَالَ فِي الْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانِ

وَلَقَدْ تَلَقَّانَا خَلِيفَتُهُ السَّمِي * بِبَشَاشَةٍ وَتَوَدُّدٍ وَتَهَانِي

أَكْرِمْ بِهِ فَهُوَ الرِّضَى ابْنُ الْهَاشِمِي * فَلَقَدْ تَرَفَّعَ فِي رَفِيعِ مَكَانِ

وَلَدَيْهِ حُسْنُ تَأَدُّبٍ وَتَوَاضُعٍ * دَخَلَا بِهِ لِحَظِيرَةِ الْعِرْفَانِ

وَقَدِ اجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ بِأَفَاضِلٍ * هُمْ فِي الصَّوِيرَةِ سَادَةُ الْأَعْيَانِ

مِنْهُمْ مَحَلُّ الْفَضْلِ قَائِدُ حَاحَةٍ * نَجْلُ السَّعِيدِ مُبَارَكِ التِّجَانِي

أَعْنِي بِهِ النَّكْنَافِيَّ[1] الرَّاقِي إِلَى * رُتَبٍ بِهِ تَعْلُو عَلَى كِيوَانِ

هُوَ حَاتِمٌ فِي جُودِهِ وَنَوَالِهِ * أُثْنِي عَلَيْهِ بِمَنْطِقِي وَجَنَانِي

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ قَائِدٍ مَا مِثْلُهُ * لَاقَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنْ أَعْيَانِ

وَلَقَدْ دَعَانَا لِلْعِشَاءِ بِرَبْعِهِ * وَبِرَبْعِهِ الْأَنْوَارُ فِي لَمَعَانِ

مِنْ طَبْعِ نَفْسِي شُكْرُ مَنْ أَسْدَى إِلَـ * ـيَّ جَمِيلَهُ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

لَا لَا أَكُونُ بِجَاحِدٍ أَوْ كَافِرٍ * نَعْمَاءَ مُسْدِيهَا مَدَا أَحْيَانِي

فَاللَّهُ يُكْرِمُهُ بِنَيْلِ مُرَادِهِ * بِأَمَانِهِ فِي نَيْلِ كُلِّ أَمَانِ

وَمَبِيتُنَا قَدْ كَانَ عِنْدَ مُحِبِّنَا الْـ * ـمَجْبُودِ فِي أَمْنٍ مَعَ اطْمِئْنَانِ

وَرَأَيْتُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بِتْنَا بِهِ * كُتُبًا يُطَالِعُهَا ابْنُهُ الْحَقَّانِي

لِلَّهِ دَرُّ أَبِيهِ فَهُوَ لَهُ بِهَا * نِعْمَ الْمُرَبِّي فِي ذَوِي الْإِيمَانِ

وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِهِ فَأَعْجَبَنِي بِمَا * يَحْوِيهِ مِنْ أَدَبٍ وَمِنْ عِرْفَانِ

وَإِذَا شَبَابُ الْعَصْرِ كَانُوا مِثْلَهُ * فَلْيَحْيَا مَعْهُ سَائِرُ الشُّبَّانِ

وَدَخَلْتُ زَاوِيَةَ التِّجَانِي هَاهُنَا * وَلَقِيتُ فِيهَا الْبَعْضَ مِنْ إِخْوَانِي

وَلَقَدْ حَضَرْتُ وَظِيفَةً قُرِئَتْ بِهَا * فَغَدَتْ مِنَ التَّمْطِيطِ فِي اسْتِهْجَانِ

مِنْ بَعْدِ خَتْمِهِمُ لَهَا قَامَتْ بِهَا * فِئَةٌ بِذِكْرٍ زَادَ فِي نُكْرَانِي

---

[1]- الفقيه السيد سعيد بن مبارك النكنافي، قائد منطقة حاحة، كان عالما فاضلا متواضعا، من مريدي الطريقة التجانية، التقى بكثير من أكابر أعلامها فأخذ عنهم وتبرك بهم، كالعلامة سيدي محمد[فتحا] كنون، وسيدي محمد النظيفي، وسيدي أحمد المحمود الرحماني، وسيدي محمد[فتحا] التلضي، وآخرين.

وَإِذَا الطَّرِيقَةُ زِيدَ فِيهَا مِثْلُهُ * ذَهَبَتْ ضَحَايَا الزَّيْدِ وَالنُّقْصَانِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُهُمْ فَلَمْ يَتَلَفَّتُوا * لِلنُّصْحِ فِي سِرٍّ وَلَا إِعْلَانِ
قَدْ قَالَ لِي بَعْضُ الأَفَاضِلِ إِنَّهُمْ * لَا يَقْبَلُونَ النُّصْحَ مِنْ إِنْسَانِ
فَتَرَكْتُهُمْ فِي جَهْلِهِمْ مُتَخَبِّطِ * ينَ وَذُو الجَهَالَةِ بِالجَهَالَةِ عَانِي
مَا لِلْمُقَدَّمِ سَاكِتٌ عَنْ فِعْلِهِمْ * وَعَلَى المُقَدَّمِ عُهْدَةُ الإِخْوَانِ
إِنْ لَمْ يَقُمْ فِيهِمْ بِحَقِّ طَرِيقَةٍ * فَهُوَ المُؤَخَّرُ فِي ذَوِي الإِيقَانِ
فَالمُحْدَثَاتُ طَرِيقَةً وَشَرِيعَةً * مَرْدُودَةٌ حَتَّى عَلَى الأَعْيَانِ
وَقَدِ اجْتَمَعْتُ هُنَا بِأَهْلِ مَوَدَّةٍ * أَسْكَنْتُهُمْ مِنِّي صَمِيمَ جَنَانِي
مِنْهُمْ مُحِبِّي الصَّوْمَعِي العَرْبِي[1] الرِّضَى الـ * ـأُسْتَاذُ حَامِلُ رَايَةِ العِرْفَانِ
ذَاكَرْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مِمَّنْ إِذَا * ذَكَرُوا يُشَارُ لَهُمْ بِكُلِّ بَنَانِ
وَمَعَ الخُمُولِ المُسْتَظِلِّ بِظِلِّهِ * لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الفَضْلِ فِيهِ اثْنَانِ
أَبْدَى مِنَ المُسْتَمْلَحَاتِ لَطَائِفًا * مَا زِلْتُ أُجْرِيهَا عَلَى أَذْهَانِي
مَا جِئْتُهُ بِعَجِيبَةٍ إِلَّا وَجَا * ءَ بِأَعْجَبٍ مِنْهَا مَعَ اسْتِحْسَانِ
هُوَ فِي الصَّوِيرَةِ شَمْسُ أُفْقِ زَمَانِهِ * لَكِنَّهُ خَافٍ عَنِ الأَعْيَانِ
وَجَرَتْ لَنَا مَعَهُ مُذَاكَرَةٌ وَقَدْ * حَضَرَ التِّهْرَّاوِي السَّمِي المِلْسَانِ
هَلْ فِيهِ مِنْ بَأْسٍ فَقُلْتُ مُوَافِقًا * لَهُمَا وَلَسْتُ أَمِيلُ لِلنُّكْرَانِ
فَعَلَى شَيَاظِمَ جَمْعُ شَيْظَمَ عِنْدَنَا * فَهُمُ الشَّيَاظِمُ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ
وَسُئِلْتُ عَنْ رَجْرَاجَةَ وَرِجَالِهَا * وَقُبُورِ مَا فِيهَا مِنَ الصُّحْبَانِ
فَذَكَرْتُ مَا عِنْدِي بِمَا حَقَّقْتُهُ * مِنْ قَبْلُ مَعَ بَدْرِ الدُّجَى الكَتَّانِي[2]
لَا بِدْعَ إِنْ دُفِنَ الصَّحَابَةُ هَاهُنَا * فِي المَغْرِبِ الأَقْصَى وَلَا فِي الدَّانِي
بَلَغُوا هُنَاكَ مَعَ الصَّحَابِي عُقْبَةٍ * حَتَّى إِلَى نَفِيسَ بِاطْمِئْنَانِ

---

[1]- العربي بن عبد السلام الصومعي، عالم أستاذ جليل، من مريدي الطريقة التجانية، بل من أبرز أعلامها بمدينة الصويرة ونواحيها، كان له اتصال وثيق بالعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، وكثيرا ما كان يفد عليه إلى مدينة سطات، وبين الرجلين رسائل كثيرة وأشعار ومقطعات

[2]- إشارة للعلامة محمد عبد الحي الكتاني

وَالبُعْدُ كُلُّ البُعْدِ لَمْ يَمُتِ امْرُؤٌ * مِنْهُمْ وَكَمْ فَتَحُوا مِنَ البُلْدَانِ[1]

لَكِنَّ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ * سَبْعٌ أَتَوْا لِلْمُصْطَفَى العَدْنَانِي

فَتَكَلَّمُوا وَأَجَابَهُمْ بِلُغَاتِهِمْ * قَوْلٌ مِنَ الأَقْوَالِ لَا يَرْضَانِي

مَا صَحَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ وَصَلُوا لَهُ * كَلَّا وَلَا عَنْهُمْ رَوَى ابْنُ فُلَانِ

لَوْ كَانَ لِي وَقْتٌ لَزُرْتُ مَقَامَهُمْ * وَلَوْ أَنَّنِي فِي مَذْهَبِي تِجَانِي

فَزِيَارَةُ الأَصْحَابِ جَائِزَةٌ وَلَمْ * أَمْنَعْ زِيَارَتَهُمْ عَلَى إِخْوَانِي

وَهُنَا اجْتَمَعْنَا بِالكَبِيرِ مُحَمَّدِ الـ * ـقَشَّاشِ[2] وَهُوَ مُنَوِّرُ الأَذْهَانِ

بِأَبِيهِ فِي حُسْنِ السُّلُوكِ قَدِ اقْتَدَى * فَغَدَا رَفِيعَ القَدْرِ فِي الأَقْرَانِ

وَرَأَيْتُهُ أَهْلًا لِكُلِّ كَرَامَةٍ * فَأَجَزْتُهُ بِطَرِيقَةِ التِّجَانِي

قَدَّمْتُهُ لِيُلَقِّنَ النَّاسَ الطَّـ * ـرِيقَ بِشَرْطِهَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ

وَلَدَيْهِ إِذْنٌ مِنْ سِوَايَ وَإِنَّمَا * إِذْنِي لَهُ فِيمَا إِلَيْهِ دَعَانِي

إِنِّي لَأَمْنَحُ مُسْتَحِقَّ السِّرِّ بِالـ * ـسِّرِّ الَّذِي يُرْقِيهِ خَيْرَ مَكَانِ

وَأَرَاهُ عِنْدِي مُسْتَحِقًّا لِلَّذِي * قَدَّمْتُهُ فِيهِ بِغَيْرِ تَوَانِ

---

[1]- قال العلامة سكيرج في كتابه ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون، ناظما أسامي هؤلاء الصحابة السبعة، المعروفين بأهل رجراجة :

وَقَدِّمْ بأقصى العرب سبعاً أجلةً * لهم رتبةٌ عليا على أهل ذا القطرِ

بصحبة خير الخلق خصوا وقدموا * بمغربنا طرّا على كل ذي قدْر

فذاك ابن شمّاس وَنجله صالح * بُرَسمينَ عبد الله أدناسُ ذو السرّ

بُخابيّةٍ عيسى وَيعلى بن وَاطِلٍ * سعيد بن يَبْقى في الملا طيب الذكر

بهم فخرت رجراجة وهم الأُلى * أتو مصطفى الرحمان في صحبه الغر

فرد سلام القوم باللغة التي * بها سلموا والسر منه لهم يسري

تأدب بتقديم الصحابة واغتنم * زيارتهم تحظى بمأدُبة الأجر

وَأهدي صلاة للحبيب محمد * تلاها سلام عرفه طيب النشر

[2]- محمد الكبير القشاش، من خيرة مقدمي الطريقة التجانية بمدينة الصويرة، كان والده هو الآخر مقدما في هذه الطريقة، كما كانت له صلة وطيدة بالعارف بالله سيدي الحاج الحسين الإفراني، وهو الذي وضع عليه الأسئلة المشهورة التي أجاب عنها العارف بالله المذكور بكتابه الخواتيم الذهبية في الأجوبة القشاشية،

وَجَبَرْتُ خَاطِرَهُ فَزُرْتُ مَحَلَّهُ * وَمَعِي الحَبِيبُ[1] أَخُوهُ وَهُوَ الثَّانِي
قَامَا بِإِجْلَالِي وَإِعْظَامِي وَإِكْـ * ـرَامِي وَإِتْحَافِي بِمَا أَرْضَانِي
وَأَرَدْتُ لَوْمَهُمَا عَلَى إِغْلَاقِ بَا * بِ الدَّارِ إِذْ خَرَجَا مَعِي فِي الآنِ
لَكِنْ أَقَامَا بِاعْتِذَارٍ حُجَّةً * تَقْضِي بِمَنْعِ الدَّارِ لِلْجِيرَانِ
وَالمَرْءُ إِنْ يَسْكُنْ بِدَارٍ وَحْدَهُ * لَا شَكَّ نَالَ كَرَامَةَ الرَّحْمَانِ
فَالشَّيْخُ كَانَ يَسُدُّ بَيْتَ إِمَائِهِ * لِيَبِيتَ حَالَ النَّوْمِ فِي اطْمِئْنَانِ[2]
إِنْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ * فَالآنَ أَحْرَى مِنْ ذَوِي الإِيمَانِ
فَالخَلْقُ قَدْ فَسَدَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُهُمْ * فَمِنَ الخَلِيقِ الغَلْقُ لِلْبِيبَانِ
لَكِنَّ أُمِّي قَبْلَ هَذَا العَصْرِ قَدْ * كَانَتْ تُوَصِّينِي عَلَى النِّسْوَانِ
وَتَقُولُ لِي لَا لَا تُضَيِّقْ بِالنِّسَا * إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ
فَمَتَى رَأَيْنَكَ فِي الأُمُورِ مُشَدِّدًا * رُمِيَتْ أُمُورُكَ كُلُّهَا بِهَوَانِ
لَا لَا تُعَلِّمْهُنَّ مَا يَفْعَلْنَ مِـ * ـمَّا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرْ عَلَى الأَذْهَانِ
خُذْهُنَّ بِالإِحْسَانِ لَا بِسِوَاهُ فِي * مَا رُمْتَهُ فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ
يَا رُبَّ سُوقٍ فِيهِ جَيِّدَةٌ غَدَتْ * وَخَبِيئَةُ الصُّنْدُوقِ فِي اسْتِهْجَانِ
وَاللَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُنَا بِهِ * حَتَّى يَنَالَ الكُلُّ كُلَّ أَمَانِ

---

[1]- المراد به السيد محمد الحبيب القشاش، شقيق المقدم سيدي محمد الكبير، كان هو الآخر من مريدي الطريقة التجانية، وكانت لهما معا محبة عظيمة في جناب المؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج، وقد وقفت على بعض من رسائلهما ضمن محتويات الخزانة السكيرجية

[2]- كان الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه يقف بنفسه في مهمات خدامه، و لا يتغافل عنهم فيما لا يرضاه الشرع ، حتى أنه كان لا ينام حتى يسد البيوت على عبيده كلهم، ويجعل مفاتيح البيوت عنده في صندوق، وفي الصبح يقوم بنفسه لحلها، كل ذلك حرصا على أداء حقوق المملوك على مالكه .
و كذلك رضي الله عنه كان يفعل مع نجليه الكريمين رضي الله عنهما ، فكان يسد عليهما البيت الذي هما فيه عند نومهما إلى طلوع الفجر، قال البركة المقدم سيدي الطيب السفياني في إفادته : حين أراد سيدنا رضي الله عنه تزويج ولديه رضي الله عنهما، أمر بإصلاح بيتين من الدار واستعمال قفلين عليهما جيدين، وأمر باستعمال صندوق ليستعمل فيه مفاتيح البيتين حين يسدهما على ولديه وأزواجهما من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، ويفتح عليهما كما هي عادته الكريمة مع خدامه كل يوم يسد عليهم مع الخدم من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، ويقف إلى أن يخرجوا ليصلوا، كل ذلك حزم منه رضي الله عنه .

{السَّفَرُ إِلَى أَكَادِيرَ وَالمُرُورُ عَلَى تَمَانَرْتَ}

ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى أَكَادِيرَ[1] الَّتِي * لَمْ تُبْقِ مِنْ كَدَرٍ وَلَا أَحْزَانِ

سِرْنَا وَصَيَّرْنَا الأَمِيرَ عَلَى الأُمُو * رِ هُنَا المُقَدَّمَ مُدَّةَ الجَوَلَانِ

وَغَدَا بِنَا مِنْ حَيْثُ يَجْلُبُ لِي السُّرُو * رَ عَلَى تَمَانَرْتٍ[2] بِغَيْرِ تَوَانِ

وَبِهَا سَيَّارَتُنَا تَمُرُّ فَقَادَنَا * فِيهَا لِقَائِدِهَا أَخِي العِرْفَانِ

القَائِدِ الأَرْضَى السَّعِيدِ بْنِ الرِّضَى الـ * ـحَسَنِ التَّمَارِي صَاحِبِ الإِحْسَانِ

وَهُنَاكَ كَاتِبُهُ الأَجَلُّ النَّاصِرِ * يُّ طَرِيقَةً بِالوِدِّ قَدْ لَاقَانِي

وَقَدِ اسْتَرَحْنَا عِنْدَهُ فِي سَاعَةٍ * مِنْ أَسْعَدِ السَّاعَاتِ مِنْ أَزْمَانِي

وَلَدَيْهِ كَانَ فُطُورُنَا وَسُرُورُنَا * يَزْدَادُ مِنْهُ لَنَا مَعَ اطْمِئْنَانِ

وَإِلَى المُرَاقَبَةِ الَّتِي بِالقُرْبِ مِنْـ * ـهُ قَصَدْتُ حَاكِمَهَا لِنَيْلِ أَمَانِ

فَاوَضْتُهُ فِيمَا أُرِيدُ بِسَفْرَتِي * هَذِي وَمَا أَبْغِيهِ مِنْ جَوَلَانِي

فَاسْتَحْسَنَ الرَّأْيَ الَّذِي أَطْلَعْتُهُ * مِنِّي عَلَيْهِ بِكَامِلِ اسْتِحْسَانِ

ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فِي ارْتِيَاحٍ زَائِدٍ * حَتَّى وَصَلْنَا فِي أَتَمِّ أَمَانِي

وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي الطَّرِيقِ مَنَاظِرًا * خُلِقَتْ طَبِيعَتُهَا عَلَى أَلْوَانِ

لَمْ أَنْسَهَا حَتَّى مَرَرْتُ بِأَطْلَسٍ * فَإِذَا بِهِ عَنْ جُرْفِهَا أَنْسَانِي

حُطَّتْ أَكَادِيرُ القَدِيمَةُ فِي ذُرَى * جَبَلٍ كَصَرْحِ المُعْتَدِي هَامَانِ

---

[1]- أكادير : هي عاصمة جهة سوس ماسة درعة بجنوب غرب المملكة المغربية، وهي ثاني مدينة سياحية بعد مراكش، اعتبارا لشواطئها الجذابة وسمائها الصافية. وتتميز هذه المدينة بخاصية فريدة من بين المدن المغربية الآخرى، وهي توفرها على طبيعية جغرافية تجمع ما بين الماء و الصحراء، أي بين مياه المحيط الاطلسي وكثبان الصحراء القريبة , وهذا ما يجعل منها بوابة الصحراء جنوبا , ونافذة مشرعة على المحيط الاطلسي من جهة الغرب، يبلغ عدد سكانها حسب آخر الإحصائيات ما يناهز 700000 نسمة

[2]- مدينة تمنار : تقع على بعد سبعين كلم جنوب مدينة الصويرة، ويبلغ عدد سكانها حسب آخر الإحصائيات حوالى 10000 نسمة، وهي مقصودة من طرف السياح الأروبيين، لاسيما لشاطئها الذائع الصيت، المعروف بشاطئ أمسوان،

لَوْلَا السَّمِيُّ ابْنُ الْمُبَارَكِ[1] ذِي الْعُلَا * لَمْ نَرْقَهَا لِنَرَاهُ فِي إِخْوَانِ
قَدْ زُرْتُهُ فِي اللَّهِ حَيْثُ عَرَفْتُهُ * فِي ظَهْرِ غَيْبٍ مِنْ ذَوِي الْعِرْفَانِ
وَلَقَدْ تَعَرَّفَ بِي بِوَاسِطَةِ السَّمِي الـ * ـكَشْطِي فَجِئْتُ إِلَيْهِ فِي اطْمِئْنَانِ
فَوَجَدْتُهُ مُتَشَوِّقًا مُتَشَوِّفًا * لِلْجَمْعِ بِي مُذْ كُنْتُ فِي مَزَكَانِ[2]
قَدْ زَارَنِي فِيهَا وَلَمْ يَتَأَتَّ لِي * جَمْعٌ بِهِ فَغَدَا مَعَ الْوِجْدَانِ
وَالْجَمْعُ كَانَ مُقَدَّرًا لِي عِنْدَهُ * وَلَقَدْ جَرَتْ بِدُمُوعِنَا الْعَيْنَانِ
وَلَقَدْ أَسِفْتُ لِمَا أُصِيبُ بِهِ عَلَى * كِبَرٍ وَقَدْ قُدَّتْ لَهُ الْفَخْذَانِ
قَدْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ إِصَابَةِ رَاكِبٍ * نَفَرَ الْحِصَانُ بِهِ فَأَصْبَحَ جَانِي
وَأَتَى لَهُ الْجَانِي لِيَنْظُرَ مَا بِهِ * فَأَشَارَ أَنْ سِرْ فِي سَبِيلِ أَمَانِ
فَأَنَا الْمُسَامِحُ وَالْقَضَاءُ قَضَى بِمَا * صَادَفْتُهُ فَاهْرُبْ مِنَ الْأَعْوَانِ
فَغَدَا مُصَادِمُهُ لِحَالِ سَبِيلِهِ * وَغَدَا الْفَقِيهُ ضَحِيَّةً بِحِصَانِ
لِلَّهِ مَا لَاقَاهُ وَهُوَ بِحَالَةٍ * يُرْثَى لَهَا فِي الصَّبْرِ وَالشُّكْرَانِ
قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِاصْطِبَارِ الْأَوْلِيَا * حَتَّى تَجَلَّى فِيهِ بِالْإِيقَانِ
فَهُوَ الَّذِي لِي قَدْ حَكَى مَا قُلْتُهُ * وَاللَّهُ يُشْفِي ضُرَّهُ الْجِسْمَانِي
فَارَقْتُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عِنْدَهُ * أَوْدَعْتُهُ فَغَدَوْتُ دُونَ جَنَانِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ لِمَا حَوَالَيْ دَارِهِ * فَإِذَا التَّلَاشِي حَلَّ فِي الْبُنْيَانِ[3]
سَيَصِيرُ هَذَا الثَّغْرُ حِصْنًا عِنْدَمَا * يَخْلُو مِنَ الْآثَارِ بَعْدَ عِيَانِ

---

[1] - المراد به العلامة المقدم سيدي أحمد بن مبارك أوتن همو الشتوكي، فقيه جليل، من أبرز مقدمي الطريقة التجانية بسوس، أخذها عن العلامة القطب الشهير سيدي الحاج الحسين الإفراني، وعليه أخذها جم غفير من كبار أعلام المنطقة كالفقيه الحاج عبد الرحمان المستغفر الإنزكاني وغيره، توفي رحمه الله ضحى يوم الجمعة 28 جمادى الثانية عام 1362هـ ـ فاتح شهر يوليوز 1943م

[2] - مزكان : إشارة لمدينة الجديدة، وهو الإسم الذي كانت تعرف به هذه المدينة لدى احتلال البرتغال لها قبل خمسة قرون من هذا التاريخ

[3] - من ينظر لهذا البيت ويتأمله يعلم من خلالها أنه من عداد كرامات المؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج، إذ كأنه اطلع على ما ستتعرض له هذه المدينة من هزة أرضية عنيفة عام 1380هـ ـ 1960م، أي بعد 24 سنة من هذا التاريخ، حيث أودت هذه الهزة بحياة الآلاف من سكان هذه المدينة، وغيرت كافة معالمها الحية، فبنيت مدينة جديدة على أنقاض المدينة القديمة التي محا معالمها الزلزال المذكور

وَهُنَاكَ زَاوِيَةُ التِّجَانِي قَدْ غَدَتْ * مُحْتَاجَةً مُنْشَقَّةَ الجُدْرَانِ

وَلِذَاكَ أَبْدَلَهَا الرِّضَى البَاشَا بِأُخْـ * ـرَى حَاطَهَا بِمُشَيَّدِ الأَرْكَانِ

قَدْ قِيلَ لِي هُو قَدْ أَشَادَ بِنَاءَهَا * أَكْرِمْ بِهِ إِنْ كَانَ هُوَ البَانِي

إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يُتَمِّمَ صُنْعَهَا * لِيَنَالَ أَجْرًا رَاجِحَ الأَوْزَانِ

فَالمَرْءُ إِنْ لِلَّهِ يَبْنِي مَسْجِدًا * يَبْنِي لَهُ بَيْتًا بِخَيْرِ جِنَانِ[1]

وَلَقَدْ أَتَيْنَا رَبْعَهُ بِمُرُورِنَا * تَبَعًا لِأَمْرِ أَمِيرِنَا الرَّبَّانِي

فَإِذَا بِهِ صَلَّى بِجَامِعِ جُمْعَةٍ * وَغَدَا لِجَمْعٍ كَانَ فِي تَمَنَانِ

إِنَّا لَنَعْذِرُهُ وَلَكِنْ لَوْ دَرَى * أَنَّا لَدَيْهِ لَجَاءَنَا فِي الآنِ

وَالمَرْءُ يَعْذِرُهُ أَخُوهُ وَإِنَّمَا * عَيْبٌ عَلَيْهِ مَتَى يَكُنْ مُتَوَانِي

ثُمَّ انْعَطَفْنَا لِلْكَسِيمَاتِ[2] الَّتِي * شَرُفَتْ بِمَنْ قَطَنُوا بِإِنْزَكَانِ[3]

وَلَقَدْ تَلَقَّانَا بِهَا الحَاجُّ المُبَا * رَكُ مَعَ أَخِيهِ بِغَايَةِ الإِحْسَانِ

وَبِنَجْلِ أُخْتِهِمَا اجْتَمَعْنَا وَابْنَ عَـ * ـمِّهِمَا وَكُلُّهُمْ مِنَ الأَعْيَانِ

قَامُوا بِحَقِّ ضِيَافَةٍ بِعِنَايَةٍ * لَازِلْتُ أَشْكُرُهَا بِكُلِّ لِسَانِ

لَمْ يَسْتَعِيرُوا الفَضْلَ وَالإِحْسَانَ بَلْ * هُمْ أَهْلُ فَضْلٍ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ

---

[1] ـ إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عُبَيْدَ اللَّهِ الْخَوْلَانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ بَنَى مَسْجِدًا، قَالَ بُكَيْرٌ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ. صحيح البخاري [كتاب الصلاة] بَاب مَنْ بَنَى مَسْجِدًا، رقم الحديث 431

[2] - قبيلة كسيمة : قبيلة سوسية، من أبرز مدنها وقراها مدينة إنزكان، وحول هذه القبيلة يقول العلامة الجليل سيدي الحاج عبد الرحمان المستغفر الإنزكاني لدى مقدم الشريف سيدي الطيب بن علال بن سيدي أحمد عمار التجاني :

نعم الكسيمة والكسيمة قطبها * إنزكها فلتهنه البأواء

إذ نجل قطب العارفين نزيله * نعم النزيل المنة الحلواء

إنزك هل تدري الذين ضممتهم * فشذاهم فاحت به الأنحاء

إنزك حزت مفاخرا ما حازها * شام ولا مصر ولا الزوراء

[3] - إنزكان : إحدى العمالات المغربية الحديثة، وهي محادية لمدينة أكادير من الجهة الجنوبية، يبلغ عدد سكانها حسب آخر الإحصائيات 112753 نسمة، وتقع إلى جانبها عدة مدن صغيرة آخرى كالدشيرة وآيت ملول وتكيوين وغيرها

وَقَصَدْتُ مَدْرَسَةً بِأَلْمَا[1] أَبْتَغِي الـ * ـكَشْطِي[2] سَمِيَّ صَاحِبَ العِرْفَانِ
فِي مَسْلَكٍ صَعْبٍ وَطُولِ مَسَافَةٍ * حَتَّى وَصَلْنَاهَا بِكُلِّ تَعَانِ
وَرَجَعْتُ حَيْثُ وَجَدْتُهُ مُتَغَيِّبًا * لَكِنْ أَتَى فِي حَالَةِ العَجْلَانِ
مَا كَانَ يَحْلُمُ أَنْ نَحُلَّ مَحَلَّهُ * وَإِلَيْهِ سِرْتُ بِسَائِقِ الوِجْدَانِ
قَدَّمْتُهُ لَمَّا اسْتَحَقَّ تَقَدُّمًا * فِي فَضْلِهِ فِي مَجْمَعِ الإِخْوَانِ
هُوَ مِنْ أَحِبَّائِي الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ * وَمَحَبَّتِي بُنِيَتْ عَلَى رِضْوَانِ
مَعَنَا أَقَامَ إِلَى الزَّوَالِ وَبَعْدَهُ * سِرْنَا لِزَاوِيَةٍ بِهَا إِخْوَانِي
مِنْ كُلِّ ذِي أَدَبٍ وَحُبٍّ صَادِقٍ * فِينَا وَكُلِّ مُنَوَّرٍ تِجَانِي
وَعَلَيْهِمْ أَلْقَى بِلَهْجَتِهِ بِلَا * خَطَأٍ خِطَابًا كَانَ ذَا اسْتِحْسَانِ
لَمْ أَدْرِ مِنْهُ سِوَى تَأَثُّرِ جَمْعِهِمْ * وَبِهِ هُمْ قَامُوا بِرِفْعَةِ شَانِي
فَنَصَحْتُ جَمْعَهُمْ بِحِفْظِ عُهُودِهِمْ * وَتَحَفُّظٍ مِنْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ
وَوَجَدْتُ مِنْهُمْ قَابِلِيَّةَ مُذْعِنٍ * وَالنُّصْحُ مَحْمُودٌ لِذِي إِذْعَانِ
وَعَلَيْهِمْ أَمْسَى يُوَزِّعُ بَعْضَ مَا * أَلَّفْتُهُ فِيهِمْ بِلَا أَثْمَانِ[3]
وَتَخَاطَفُوهُ وَبِالقَوْمِي مَا أُحَيْـ * ـلَى الشَّيْءِ جَاءَ بِغَيْرِ شَيْءٍ ثَانِ

---

[1]- مدرسة ألما : هي واحدة من المدارس الأربع المشهورة بتدريس القراءات والعلوم الدينية واللغوية بقبيلة إفسفاسن إداوتنان، أنظر المزيد من التعريف بها وبأعلامها في كتاب : التعريف بالبلدة التنانية، ذات المواهب الربانية، للعلامة سيدي أحمد بن علي الكشطي

[2]- الحاج أحمد بن الحاج علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد فتحا بن علي بن همو التناني الفسفاسي الكشطي، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بسوس، ولد عام 1310هـ وتوفي ليلة الأحد 25 صفر الخير عام 1374هـ ـ 22 أكتوبر 1954م، وله مؤلفات منها : التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية، وبلوغ السول في جواز دفع الزكاة لمن له الأصول، وتحفة النبيل بالصلاة إيماء في طامويبل، ومورد الظمآن في نسب خير ولد عدنان، وغيرهم. أنظر سوس العالمة للمختار السوسي ص 208. وفي كتابنا رسائل العلامة سيدي محمد أكنسوس ج1ص 13 و119.

[3]- اصطحب العلامة سكيرج معه في هذه الرحلة كميات مختلفة من مؤلفاته، وقد وزعها مجانا في كثير من محطات هذه الرحلة، ولا زال بعض المسنين من مريدي الطريقة التجانية ممن عايشوا هذه الرحلة يحتفظون ببعض هذه المؤلفات، كالنفحة العنبرية، وسبيل الرشاد، في المحاورة بين ذوي الإنتقاد وذوي الإعتقاد، والصراط المستقيم، في الرد على مؤلف النهج القويم، والإيمان الصحيح، في الرد على مؤلف الجواب الصريح وغيرها.

مَـــا أَحْـسَـنَ الأَشْـيَـا تَـحُـلُّ مَـحَـلَّـهَـا * فِــــي حَـالَـةِ الـوِجْـدَانِ وَالـفُـقْـدَانِ
وَالــشَّــيْءُ مَـجَّـانًـا يَـكُــونُ لِـنُـكْـتَـةٍ * رَجَـحَـتْ بِـمَـا قَــدْ مَـجَّ فِـي الـمِـيزَانِ
وَعَـلَـيْـهِ فَـالـمَـمْنُوحُ كَـانَ لَـهُـمْ بِـلَا * شَــيْءٍ وَلَـكِـنْ عَـنْ رِضَـى الـرَّحْـمَانِ
فَـاعْـرِفْ بِـحَـقٍّ مُـحِـبِّـيَ الـكَـشْـطِي[1] فَـقَـدْ * بَـلَـغَ الـمُـنَى مِـنْ صُـحْـبَـةِ الـتِّـجَانِي

{الــسَّــفَــرُ إِلَـــــى تِــزْنِــيــتَ}

ثُـــمَّ افْـتَـرَقْـنَـا عَــنْ كَـمَـالِ مَـسَـرَّةٍ * وَحَـلَـلْـتُ فِـــي تِـزْنِـيتَ[2] دُونَ تَـعَـانِ
وَقَـصَـدْتُ بَـاشَـاهَـا الأَدِيـبَ الـفَـاطِمِي * نَـجْـلَ الـسَّـمِـيِّ الأَحْـمَـدِي الـرَّحْـمَانِي
وَلَــقَــدْ تَـلَـقَّـانَـا بِــكُـلِّ مَـبَـرَّةٍ * مَــا كُـنْـتُ أَعْـهَـدُهَـا مِـنَ الـشُّـبَّـانِ

[1] ـ كان العلامة سيدي أحمد بن علي الكشطي شديد المحبة في ناظم هذه الرحلة العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، وتحت يدي العديد من قصائده التي مدحه بها ضمن مناسبابت مختلفة، كما بين يَدَيَّ أيضا العشرات من رسائله التي بعثها إليه بمقر استيطانه بمدينة سطات، وكان يعظمه فيها أشد تعظيم، وينعته بما هو جدير به من علم وأدب ونزاهة وعدل واستقامة وصلاح.

وقد قال في مطلع إحداها : حضرة والدي، وشفاء كبدي، من إليه رغبتي، وهو وسيلتي إلى ربي، أبو المحاسن، خليفة شيخنا، ومنفذ أسراره دون نزاع، والدي الحاج أحمد بن سيدي الحاج العياشي سكيرج جعلنا الله تحت ظلكم دنيا وأخرى، وأدى عنا من خزائن فضله حقوقكم آمين،

وقال في مطلع رسالة آخرى : حضرة والدي الشفوق، وطبيب أمراضي الناصح الصدوق، شيخي ووسيلتي إلى ربي، أبي الفيوضات، ومنبع المسرات، شيخي سيدي الحاج أحمد نجل الحاج العياشي سكيرج أدام الله علينا سحائب بركاته.

[2]- تزنيت : مدينة مغربية تقع على بعد 80 كلم جنوب مدينة أكادير، ضمن جهة سوس ماسة درعة، بناها السلطان المولى الحسن الأول، وهي مشهورة بالصناعة التقليدية، خصوصا منها صناعة الفضة

وَوَعَـدْتُـهُ نَـأْتِـي لَـهُ عِـنْـدَ الـعِـشَـا * وَدَخَـلْـتُ زَاوِيَـةَ الـرِّضَـى الإِفْـرَانِـي[1]

وَهُـنَـاكَ زُرْنَـا قَـبْـرَهُ مِـنْ بَـعْـدِ مَـا * خَـرَجَ الَّـذِيـنَ هُـنَـاكَ مِـنْ إِخْـوَانِـي

وَهُـنَـاكَ كَـلَّـمْـتُ ابْـنَـهُ فَـعَـرَاهُ مِـنْ * صَـبْـغِ الـحَـيَـا فِـي وَجْـهِـهِ لَـوْنَـانِ

فَـاصْـفَـرَّ ثُـمَّ احْـمَـرَّ ثُـمَّ أَجَـابَـنِـي اعْـ * ـذُرْنِـي فَـإِنِّـي هَـاهُـنَـا وَحْـدَانِـي

وَالـقَـوْمُ حَـالَـتُـهُـمْ كَـمَـا شَـاهَـدْتَـهَـا * مَـا بَـيْـنَ آفَـاقِـي وَبَـيْـنَ مُـعَـانِـي

فَـسَـأَلْـتُـهُ عَـمَّـا اقْـتَـنَـاهُ أَبُـوهُ مِـنْ * كُـتُـبٍ وَمَـا أَبْـدَاهُ مِـنْ عِـرْفَـانِ

فَـوَجَـدْتُـهُ خَـالِـي الـوِعَـا مِـمَّـا وَعَـا * هُ سِـوَاهُ عَـنْـهُ وَذَاكَ شَـرٌّ ثَـانِـي

---

[1]- العلامة العارف بربه أبو علي سيدي الحاج الحسين بن الحاج أحمد بن بلقاسم بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الكريم بن علي بن عمارة الإفراني الحسني الإدريسي، فقيه، محدث، أديب، صوفي، أحد أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بتانكرت بمنطقة سوس عام 1248 هـ، وبها أخذ مبادئ الفقه والحديث واللغة ، ثم انتقل لفاس ومراكش فأخذ بهما عن جماعة من أكابر الفقهاء ، ثم رجع لمنطقة سوس فأقبل بها على الإفتاء والتدريس في مدارسها العتيقة ، خصوصا بتازروالت وأيت رخا وسيدي بو عبدلي ، وكانت تحت يده كتب نفيسة نادرة لا وجود لها بالمنطقة وقتذاك ، ونظرا لأهميتها قامت جماعة من اللصوص بمهاجمة داره بقرية السوق (تانكرت) ، فنهبوا منها نحو 1600 كتاب ، فكان ذلك سببا لانتقاله لمدينة تزنيت حيث أقطعته الحكومة المخزنية دارا أمضى فيها ما بقي من حياته ، كما أنشأ بجوارها مقرا للزاوية الأحمدية التجانية .

وله رحمه الله مؤلفات عديدة منها : ترياق القلوب في أدواء الغلفة والذنوب وكشف الغطا فيمن تكلم في الشيخ التجاني بالخطا، وإظهار الحق والصواب، والخواتيم الذهبية على الأجوبة القشاشية و مصب الرحمات على طلاب المسرات، وقمع المعارض المفتري الفتان فيمن نسب ما لا ينبغي لأهل الفضل من البهتان، وتحفة الأكياس فيما ينسب لسيد الناس، وكتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن الفقيه العلامة أكنسوس عام 1292 هـ ثم أجازه فيها الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عام 1304 هـ وأجازه فيها كذلك العلامة المقدم سيدي أحمد بناني كلا الفاسي، وتوفي رحمه الله ضحوة يوم السبت 4 شوال عام 1328 هـ وتولى الصلاة عليه العلامة الجليل سيدي مصطفى ماء العينين ، ودفن بالزاوية التجانية بمدينة تزنيت

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 112، وفي المعسول للمختار السوسي ج 4 ص 26-83. وفي سوس العالمة لنفس المؤلف ص 203، وفي رجالات العلم العربي في سوس لنفس المؤلف كذلك ص 182، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 232، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 8 ص 2860. وفي تأليفنا المسك الفائح في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح، وخصصه بالترجمة العلامة الحاج علي الإيسيكي وهو من جملة تلامذته الآخذين عنه.ولتلميذه العلامة محمد (فتحا) بن عبد الله السملالي هو الآخر تقييد في ترجمته

إنَّ الـرَّزِيَّـةَ كُـلَّـهَـا لَا شَـكَّ فِـي * جَـهْـلِ الـبَـنِـيـنِ لِـمَـا دَرَى الأَبَـوَانِ
عَـرَّفْـتُـهُ أَنِّـي عَـرَفْـتُ الـبَـعْـضَ مِـنْـ * ـهَـا وَهِـيَ شِـبْـهُ قَـلَائِـدِ الـعُـقْـيَـانِ
قَـدْ نُـظِّـمَـتْ فِـيـهَـا الـجَـوَاهِـرُ مِـنْ مَـعَـا * نٍ وَهِـيَ أَغْـلَـى الـدُّرِّ فِـي الـتِّـيـجَـانِ
فَـتَـهَـلَّـلَـتْ وَجَـنَـاتُـهُ مِـمَّـا بِـهِ * أَخْـبَـرْتُـهُ وَغَـدَا بِـلَا اسْـتِـيـذَانِ
مِـنْ بَـعْـدِ مَـا وَافَـى بِـآنِـيَـةِ الـشَّـرَا * بِ الـحُـلْـوِ يُـطْـفِـي غُـلَّـةَ الـظَّـمْـآنِ
وَكَـأَنَّـهُ مُـسْـتَـعْـجِـلٌ مِـثْـلُ الَّـذِ * يـنَ هُـنَـاكَ قَـدْ خَـرَجُـوا مِـنَ الـبِـيـبَـانِ
خَـرَجُـوا وَلَـمْ يُـقْـبِـلْ عَـلَـيْـنَـا وَاحِـدٌ * مِـنْـهُـمْ كَـأَنَّـا لَـسْـنَـا بِـالـضِّـيـفَـانِ
فَـعَـجِـبْـتُ مِـنْ أَحْـوَالِـهِـمْ لَـكِـنْ عَـذَرْ * تُـهُـمْ لِـمَـا يُـخْـشَـى مِـنَ الـحَـدَثَـانِ
فَـلَـرُبَّـمَـا كَـانَـتْ عَـلَـيْـهِـمْ عُـهْـدَةٌ * مِـمَّـنْ يَـزُورُهُـمُ مِـنَ الـبُـلْـدَانِ
وَعَـلَـيْـهِـمْ اشْـتَـدَّتْ مُـرَاقَـبَـةُ الـبِـلَا * دِ لِأَجْـلِ كُـلِّ مُـقَـاوِمٍ فَـتَّـانِ
اتَّـخَـذُوا احْـتِـيَـاطًـا مِـنْـهُـمُ لِـنُـفُـوسِـهِـمْ * إِذْ أَعْـرَضُـوا عَـنَّـا بِـدُونِ تَـوَانِ
وَهُـنَـاكَ وَافَـانَـا بِـكُـلِّ مَـسَـرَّةٍ * فِـيـهَـا الـمُـحِـبُّ مُـحَـمَّـدُ الـوَجَـانِـي[1]
وَلَـقَـدْ دَعَـانَـا لِـلْـحُـلُـولِ بِـرَبْـعِـهِ * لَا زَالَ مَـعْـمُـورًا مَـدَا الأَزْمَـانِ
وَلَـهُ اعْـتَـذَرْنَـا بِـالـمُـوَاعَـدَةِ الَّـتِـي * فِـيـهَـا الـرِّضَـى الـبَـاشَـا غَـدَا يَـرْعَـانِـي
قَـدْ سَـاءَهُ مَـا قَـدْ رَآهُ مِـنَ الـتَّـهَـا * وُنِ بِـالـحُـقُـوقِ هُـنَـاكَ مِـنْ إِخْـوَانِـي
قُـرِنَـتْ مَـحَـبَّـتُـهُ لَـنَـا مَـعَ الاعْـتِـنَـا * وَبِـالاعْـتِـنَـاءِ تَـفُـوقُ فِـي الأَقْـرَانِ
وَلَـعَـلَّ مَـا قَـدْ قُـلْـتُـهُ الـسَّـبَـبَ الَّـذِي * عَـنْ هَـؤُلَاءِ الـقَـوْمِ قَـدْ أَقْـصَـانِـي
إِنِّـي وَجَـدْتُ الـتُّـرْجُـمَـانَ بِـبَـابِـهَـا * لِـي فِـي انْـتِـظَـارٍ لَـيْـسَ فِـي حُـسْـبَـانِـي
قَـدْ قَـالَ لِـي إِنَّ الـمُـرَاقِـبَ فِـي انْـتِـظَـا * رِكَ فَـأْتِـهِ لِـمَـحَـلِّـهِ فِـي الآنِ
فَـأَتَـيْـتُـهُ وَبِـي انْـقِـبَـاضٌ زَائِـدٌ * مِـنْ أَجْـلِ جَـهْـلِـي مَـا إِلَـيْـهِ دَعَـانِـي
لَاقَـيْـتُـهُ بِـتَـلَـطُّـفٍ فَـوَجَـدْتُـهُ * مُـتَـأَدِّبًـا فَـسَـكَـنْـتُ مِـنْ غَـلَـيَـانِـي
عَـرَّفْـتُـهُ مِـنِّـي بِـنَـفْـسِـي وَالَّـذِي * قَـدْ كَـانَ مِـثْـلِـي لَـمْ يَـكُـنْ بِـالـجَـانِـي
وَوَجَـدْتُ مَـعْـهُ سِـيَـادَةَ الـبَـاشَـا الَّـذِي * بِـتْـنَـا لَـدَيْـهِ عَـلَـى أَتَـمِّ أَمَـانِـي
وَهُـوَ الـمُـتَـرْجِـمُ بَـيْـنَـنَـا بِـلَـطَـافَـةٍ * حَـتَّـى خَـرَجْـتُ بِـحَـالَـةِ اطْـمِـئْـنَـانِ
مِـنْ بَـعْـدِ مَـا قَـدْ كَـانَ أَخْـبَـرَنِـي بِـأَ * نَّ الـحَـاكِـمَ الأَعْـلَـى قَـدِ اسْـتَـدْعَـانِـي

---

[1]- نسبة لقبيلة بني وجان بسوس

وَلَــــهُ الــمُــقَـامُ بِـآكَـدِيـرَ لِآتِــــهِ * عِـنْـدَ الـصَّـبَاحِ هُـنَـاكَ دُونَ تَـــوَانِ
فَأَجَبْتُهُ مُسْتَعْجِلًا فِـي يَوْمِنَا الـ * ـأَحَـدِ الَّـذِي قَـدْ نِـلْتُ فِـيهِ أَمَانِـي
فَـوَجَدْتُـهُ رَجُـلًا لَطِيفًا قَـالَ لِـي * أَهُـنَـا تَـمُـرُّ وَلَـمْ تَـكُـنْ تَلْقَانِـي
وَقَـدِ اعْـتَـذَرْتُ لَـهُ فَـقَـامَ مُـوَدِّعًـا * لِـي بَـعْـدَ مَـعْـرِفَـةٍ بِـهَـا اسْـتَـرْضَانِي
وَعَـرَفْـتُ بَـعْـدَئِـذٍ بِـأَنَّ مُـعَـرِّفِـي * بِـي عِـنْـدَهُ التَّـعْـلِيقُ لِلنِّيشَانِ[1]
وَالـلَّـهُ سَـلَّـمَ حَـيْـثُ لَـمْ أَعْـمَـلْ بِـمَا * أُوصِـي بِـهِ الأَحْـبَابَ فِـي الـجَـوَلَانِ
مِـنْ أَخْـذِهِمْ تَسْرِيحَهُمْ مَـعَـهُمْ لَـدَى * سَـفَـرٍ أَرَادُوهُ إِلَـى الأَوْطَـانِ
لَا لَا أُخَـالِـفُ بَـعْـدَ هَـذَا ضَـابِـطًا * فَـلْـيَـرْعَ هَـذَا مَـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ
فَـالـقَـوْمُ إِتَّـخَـذُوا احْـتِـيَـاطًا دَائِـمًـا * وَلَـهُـمْ تَـطَـوُّعُ بِـالتَّـجَـسُّسِ عَـانِ
أَوْ كُـلُّ مَـنْ لَاقَـيْـتُـهُ مُـتَـجَـسِّسٌ * عَـنِّـي وَهَـذَا الأَمْـرُ قَـدْ أَعْـيَـانِـي
فَـمَـتَـى حَـلَـلْـتُ بِـمَـوْضِـعٍ أَوْ بَـلْـدَةٍ * أَلْـفَـيْـتُ مُـنْـتَـظِـرًا مِـنَ الأَعْـوَانِ
فَـكَـأَنَّ مُـخْـبِـرُهُـمْ بِـنَـا جَـاسُـوسٌ أَوْ * جَـاسُـوسُ إِنْـسٍ جَـانِـبِـي أَوْ جَـانِ
وَقَـدِ اضْـطُـرِرْتُ بِـأَنْ أُخَـبِّـرَ بِـالَّـذِي * أَبْـغِـيـهِ كُـلَّ مُـرَاقِـبٍ لَاقَـانِـي
فَـلْـيَـتَّـخِـذْ مَـنْ رَامَ رَاحَـةَ نَـفْـسِـهِ * تَـسْـرِيـحَـهُ فِـي حَـالَـةِ الـجَـوَلَانِ
وَيَـكُـونَ ذَا بَـالٍ بِـأَنَّ جَـلِـيـسَـهُ * فِـي غَـالِـبٍ عَـيْـنٌ مِـنَ الأَعْـيَـانِ
فَـيَـقُـولَ خَـيْـرًا أَوْ يَـرَى مَـا لَا يَـرَا * هُ غَـيْـرَ مُـمْـتَـحِـنٍ بِـذِي الأَوْطَـانِ
وَلَـقَـدْ تَـعَـذَّرَ لِـي بِـتِـزْنِـيـتَ الـتَّـفَـ * ـسُّـحُ بِـالَّـذِي فِـي الـيَـوْمِ عَـنْـهُ دَهَـانِـي
وَالـتُّـرْجُـمَـانُ هُـنَـاكَ كَـانَ مُـلَازِمِـي * وَلَـعَـلَّـهُ بِـالأَمْـرِ مِـنِّـي دَعَـانِـي
مِـنْ آلِ وَجْـدَةَ[2] فِـيـهِ نَـجْـدَةُ مُـعْـتَـنٍ * بِـالأَمْـرِ حَـتَّـى لَـمْ أُصَـبْ بِـتَـعَـانِ
وَمَـعِـي تَـعَـشَّـى عِـنْـدَ بَـاشَـاهَا الـرِّضَـا * وَمَـعِـي تَـفَـسَّـحَ خَـارِجَ الـحِـيـطَـانِ
وَرَأَيْـتُ مَـنْـبَـعَ مَـائِـهَـا الـمُـنْـصَـبَّ فِـي * صِـهْـرِيـجِـهِ فِـي دَاخِـلِ الـبُـسْـتَـانِ
بَـلَـدٌ عَـلَـيْـهَـا رَوْنَـقُ الأَثَـرِ الـقَـدِ * يـمِ وَلَـيْـسَ فِـيـهَـا مِـنْ حَـدِيـثِ مَـبَـانِ
وَبِـبَـابِ مِـشْـوَرِ دَارِ مَـخْـزَنِـهَـا غَـدَا * فِـيـهَـا الـمَـجَـالُ لِـمَـلْـعَـبِ الـفُـرْسَـانِ
وَلَـقَـدْ وَقَـفْـتُ هُـنَـاكَ وَقْـفَـةَ نَـاظِـرٍ * مُـسْـتَـعْـجِـبٍ فِـي ذَلِـكَ الـمَـيْـدَانِ

---

[1]- النيشان : الأوسمة

[2]- مدينة وجدة : هي عاصمة الجهة الشرقية من المملكة المغربية.

رَاجَعْتُ مَاضِيَهَا وَحَاضِرَهَا فَكَا * نَ زَمَانُهَا فِي الأَمْنِ خَيْرَ زَمَانِ
لَوْلَا الأَمَانُ لَمَا وَصَلْتُ إِلَى هُنَا * وَإِلَاهُنَا الْقَاضِي هُنَا بِأَمَانِ

{السَّفَرُ إِلَى رُودَانَةَ}

ثُمَّ انْثَنَيْنَا قَاصِدِي رُودَانَةٍ * حَتَّى حَلَلْنَاهَا مَعَ اطْمِئْنَانِ
وَقَصَدْتُ مَحْبُوبِي بِهَا البَاشَا الرِّضَى الْ * بِيضَاوِي الشَّنْجِيطِي التِّجَانِي[1]
فَارْتَاحَ لَمَّا نَحْنُ جِئْنَا عِنْدَهُ * مُسْتَبْشِرًا بِبُلُوغِ كُلِّ أَمَانِ
وَأَتَاهُ أَنْ سِرْ لِلْمَنَابِهَةِ[2] الَّتِي * لَكَ قَدْ أُضِيفَ فِي كَمَالِ تَهَانِي
وَلَقَدْ سُرِرْنَا حَيْثُ سَارَ وَصَارَ مُـ * تَّسِعَ الحُكُومَةِ فِي كَمَالِ أَمَانِ
مَا كَانَ أَقْدَرَهُ عَلَى الأَحْكَامِ فِي * أَحْكَامِهِ فِي هَذِهِ الأَوْطَانِ
وَإِلَيْهِ آوَيْنَا كَمَا نَأْوِي إِلَى * الأَهْلِينَ لَكِنْ فِيهِمُ نَسَّانِي
لَوْلَا تَزَايُدُ بِرِّهِ بِي عِنْدَهُ * لَظَنَنْتُهُ هُوَ زَائِرِي بِمَكَانِي
وَبِنَا اعْتَنَى مَعَ شُغْلِ بَالٍ مِنْهُ فِي * تَنْظِيمِ أَشْغَالٍ لَهُ بِتَعَانِ
يَقْضِي وَيَمْضِي عَنْ ثَبَاتِ عَزِيمَةٍ * فِيمَا يُرِيدُ بِوَارِدٍ حَقَّانِي
مَا زَالَ يُرْضِي الحَقَّ فِي أَحْكَامِهِ * وَبِمَا قَضَى يَرْضَى بِهِ الخَصْمَانِ

---

[1]- العلامة الأديب سيدي محمد بن عبد الله الشنجيطي البيضاوي، نسبة لناحية ببلاد شنجيط تسمى بالبيضاء، وهو من المتقيدين بعهد الطريقة الأحمدية التجانية وله اليد الطولى في علوم العربية والأدب، مع حافظه قوية لأشعار العرب، كالمعلقات وما إليها، كان عدلا بطنجة ومدرسا لمادة اللغة العربية بإحدى مدارسها، ثم عين كاتبا بالمراقبة ببني ملال، ثم كاتبا مع رئيس التحرير لجريدة السعادة، اللسان الرسمي للحكومة بالرباط، ثم قاضيا ببني عمير بسوق أربعاء الفقيه بن صالح، ناحية بني ملال، ثم قاضيا بوادي زم ودائرته، ثم باشا بتارودانت، إلى أن توفي على ذلك هناك في 11 محرم الحرام عام 1365هـ، ونقل إلى مراكش، ودفن بها بمقبرة باب أغمات.

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 65، وفي مواكب النصر لمحمد بن عبد الصمد كنون ص 100، وفي علماء المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 431

[2]- المنابهة : قبيلة سوسية، تقع بدائرة مدينة تارودانت، وتنقسم إلى سبعة بطون وهي : الدير، والمخاتير، وأولاد عبد الله، وأولاد برحيل، والطالعة، وويكلي، وتامازت

وَجَـرَتْ لَـنَـا مَـعَـهُ مُـذَاكَـرَةٌ وَلِـي * فِـي ذِكْـرِهَـا قَـصْـدَانِ مُـخْـتَـلِفَانِ
قَـصْـدُ انْـتِفَاعِ ذَوِي اعْـتِقَادٍ فِـي وَقَـصْـ * ـدُ فِـيـهِ عِـنْـدِي الـرَّدُّ لِـلـنُّـكْرَانِ
قَـدْ قَـالَ لِـي قَـالُـوا بِـأَنَّـكَ قَـدْ تَـرَكْـ * ـتَ حُـضُـورَ مَـجْـلِسِ مَـجْـمَعِ الإِخْـوَانِ
وَجَـعَـلْـتَ دَرْسَـــكَ لِـلْـعُـلُومِ بِـغَـيْـرِ زَا * وِيَـــةِ الـتِّـجَانِـي سَـائِـرَ الأَحْـيَــانِ
وَالـخَـيْـرُ كُـلُّ الـخَـيْـرِ فِـي تَـعْـمِيرِهَا * بِـالـذِّكْـرِ وَالـتِّـذْكَـارِ كُــلَّ أَوَانِ
فَـأَجَـبْـتُـهُ أَنِّـــي تَـرَكْـتُـهُـمْ لِـتَـرْ * كِ سَـمَـاعِـهِـمْ لِـنَصَائِحِي وَغُـلُوُّهُمْ آذَانِـي
غَـلَـبَ الـهَـوَى فِـي الـنَّـاسِ غَـالِـبُـهُـمْ هَـوَى * فَـكَـأَنَّـهُـمْ خُـلِـقُـوا بِــلَا آذَانِ
أَمَّـــا ذَوُو ا الأَغْـــرَاضِ مِـنْـهُـمْ لَا تَـسَـلْ * عَـنْـهُـمْ فَـهُـمْ صَـارُوا عَـلَـى أَلْـوَانِ
كَـمْ مُـدَّعٍ قَـدْ صَـارَ وَاسِـطَـةً لَـدَى * أَهْـلِ الـدَّعَـاوِي عِـنْـدَمَا يَـلْـقَانِـي
مَـا هَـمُّـهُ إِلَّا الـقَـضَـاءُ عَـلَـى الـقَـضَا * مِـنْ أَجْـلِ مَـا يُـعْـطُوهُ مِـنْ حِـلْـوَانِ
فَـيَـقُـولُ هَـاتُـوا مَـا لَـدَيْـكُـمْ إِنَّ قَـا * ضِـي الـحُـكْـمِ مِـنْ إِخْـوَانِـنَا تِـجَانِـي
أَمَّـا إِذَا اخْـتَـصَـمَ امْـرَءَانِ فَـلَا تَـسَـلْ * عَـمَّـا أُلَاقِـي حِـيـنَ يَـجْـتَـمِـعَانِ
وَالـشَّـرْعُ يَـأْبَـى أَنْ أَكُـونَ مُـلَاطِـفًا * فِـي الـحُـكْـمِ أُرْضِـي بِـالـهَوَى إِخْـوَانِـي
إِنِّــي تِـجَانِـي فِـي الـطَّـرِيـقِ مُـقَـدَّمٌ * لَـكِـنْ مَـعَ الأَغْـرَاضِ غَـيْـرُ تِـجَانِـي
دَعْـنِـي فَـإِخْـوَانُ الـزَّمَـانِ سَـبَـرْتُـهُـمْ * فَـوَجَـدْتُ غَـالِـبَـهُـمْ ذَوِي عُـدْوَانِ
لَـمْ آلَـفْ مِـنْـهُـمْ غَـيْـرَ صَـاحِـبِ حَـاجَـةٍ * إِلَّا الـقَـلِـيـلَ أَرَاهُ كَـالـسُّـفْـيَانِـي
الـطَّـيِّـبِ بْـنِ الـطَّـيِّـبِ الأَسْـمَـى الـسَّـمِـي * ابْـنِ الـطَّـيِّـبِ الـمُـتَـنَـوِّرِ الـرَّبَّـانِـي
وَأَخُـو الـحَـوَائِـجِ دَائِـمًـا فِـيـهَـا غَـدَا * أَعْـمَـى وَمَـنْ لَـمْ يَـقْـضِـهَا لَـهُ جَـانِـي
وَلَـكَـمْ تَـقَـوَّلَ حَـاسِـدٌ عَـنِّـي تَـقَـ * ـوُّلَ ذِي هَـوًى بِـالـسُّـوءِ قَـدْ نَـاوَانِـي
مَـنْ مُـنْـصِـفِي مِـنْـهُـمْ وَإِنِّـي مِـنْـهُـمُ * حَـذِرٌ وَكَـمْ فِـيـهِـمْ بِـحُـبِّـي فَـانِـي
الـحُـبُّ شَـيْءٌ وَالـطَّـرِيـقَـةُ عِـنْـدَنَـا * شَـيْءٌ وَفِـي الـشَّـيْـئَـيْـنِ لِـي حَـقَّـانِ
حَـقٌّ عَـلَـى الأَحْـبَـابِ سَـمْـعُ نَـصِـيحَتِي * وَعَـلَـيَّ حَـقٌّ لَـيْـسَ لِـلْـمُـتَـوَانِـي
وَأَنَـا عَـلَـى نَـفْـسِـي الـبَـصِـيرَةِ عَـارِفٌ * بِـطَـرِيـقَـتِـي فِـي الـسِّـرِّ وَالإِعْـلَانِ
قُـلْ لِـلَّـذِيـنَ إِلَـيَّ قَـدْ نَـسَـبُـوا الـتَّـهَا * وُنَ إِنَّـنِـي مُـتَـهَـاوِنٌ مُـتَـوَانِـي
مَـنْ شَـاءَ يَـقْـبَـلُـنِي عَـلَـى مَـا فِـي وَإِلَّا * فَـلْـيَـدَعْـنِـي إِنَّـنِـي تِـجَـانِـي
وَجَـرَتْ مُـذَاكَـرَةٌ فَـقَـالَ مَـقَـالَـةً * لَا شَـكَّ وَسْـوَسَـةٌ مِـنَ الـشَّـيْـطَانِ
أَيَـنَـالُ فِـي الـجَـنَّـاتِ لُـوطِـي شَـهْـوَةً * كَـانَـتْ لَـهُ فِـي أَمْـلَـحِ الـمُـرْدَانِ

وَالشَّخْصُ فِي الأُخْرَى لَهُ مَا يَشْتَهِي * مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دَاخِلَ الإِمْكَانِ
وَيَطُوفُ وِلْدَانٌ عَلَيْهِ شَاهِدُ * بِتَمَتُّعِ اللُّوَّاطِ بِالوِلْدَانِ
فَأَجَبْتُهُ لَا لَا لِلوَاطَ بِهَا وَمَنْ * قَدْ كَانَ لُوطِي سِيقَ لِلنِّيرَانِ
وَلِذَاكَ يُقْتَلُ حَيْثُ يَثْبُتُ فِعْلُهُ * يَا قُبْحَ فِعْلٍ فَاقَ فِعْلَ الزَّانِي
وَالحَدُّ تَطْهِيرٌ لِذَاتِ مُوَحِّدٍ * مَهْمَا أُقِيمَ عَلَيْهِ لِلْعِصْيَانِ
وَإِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدٌّ أَوْ غَدَا * ذَا تَوْبَةٍ يُعْمَى عَنِ الغِلْمَانِ
مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يُعَدُّ مُحَرَّمًا * فَبِجَنَّةٍ لَمْ يَجْرِ فِي الأَذْهَانِ
فَاحْتَاجَ فِي هَذَا المَقَالِ لِشَاهِدٍ * لِيَكُونَ مُسْتَنِدًا إِلَى بُرْهَانِ
فَأَجَبْتُهُ أَنَّ اللِّوَاطَ تَفَاحُشٌ * مِنْ أَخْبَثِ الأَفْعَالِ فِي الإِنْسَانِ
وَالفُحْشُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الأُخْرَى هُوَ * الأَمْرُ الشَّنِيعُ وَأَخْبَثُ الأَنْتَانِ
وَالجَنَّةُ احْتَفَّتْ بِكُلِّ تَجِلَّةٍ * مِنْ كُلِّ نَتْنٍ عِنْدَ ذِي الإِيمَانِ
فَلِذَلِكَ لَا يُلْفَى اللِّوَاطُ بِهَا وَلَا * مَيْلٌ عَنِ النِّسْوَانِ لِلذُّكْرَانِ
فَاهْتَزَّ مِنْ طَرَبٍ لِمَا قَدْ قُلْتُهُ * إِذْ قَالَهُ شَيْخٌ لَهُ رَبَّانِي
لَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ لِوُرُودِ مَا * لَمْ يَأْبَهُ نَصٌّ مِنَ القُرْآنِ
وَالخَمْرُ قَدْ صَارَتْ مُحَرَّمَةً وَفِي الـ * ـجَنَّاتِ تَرْشُفُ مِنْ فَمِ الكِيزَانِ
فَأَجَبْتُهُ مَا شُرْبُ تِلْكَ الخَمْرِ شَا * بَهَ فِعْلَ هَذَا الشَّخْصِ فِي إِعْلَانِ
بَلْ ذَاكَ تَمْثِيلٌ لِكُلِّ مَلَذَّةٍ * لَا الفِعْلُ مِنْ لُوطِي وَلَا مِنْ زَانِ
هَذَا الَّذِي عِنْدِي وَفِيهِ كِفَايَةٌ * لِمُرِيدِ حَقٍّ سَاطِعِ البُرْهَانِ
لَا سِيَمَا وَالقَوْمُ قَالُوا لَمْ يَكُنْ * فِي جَنَّةٍ دُبُرٌ لَدَى إِنْسَانِ
ثُمَّ اسْتَرَحْنَا عِنْدَهُ وَبِشَوْقِنَا * قُمْنَا إِلَى القَاضِي أَبِي عِمْرَانِ[1]
فَخْرِ القُضَاةِ بِذَلِكَ القُطْرِ الَّذِي * تَمْتَدُّ فِيهِ خَرَائِطُ العُمْرَانِ
أَدَبٌ وَفَضْلٌ عِنْدَهُ اجْتَمَعَا مَعًا * وَعَلَاؤُهُ وَعُلَاهُ مُرْتَفِعَانِ
وَغَدَا مُلَازِمَنَا مُلَاطِفَنَا مَعًا * وَلَنَا المُنَى بَيْنَ المَلَا بِتَهَانِي
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ سَنَدٍ غَدَتْ * أَعْوَانُهُ مِنْ سَادَةِ الأَعْوَانِ

[1]- المراد العلامة القاضي سيدي موسى بن العربي الروداني، أنظر ترجمته في نفس هذه الصفحة أو الصفحة التي تليها

مِنْـهُـمْ أَبُـو اسْـحَـاقَ[1] ذُو الـوَجْـهِ الـجَمِيـ * ـلِ وَصَـاحِـبُ الـصَّـدْرِ الـسَّـلِيمِ الـسَّـانِي
وَلَـقَـدْ حَـلَـلْـتُ بِـدَارِهِ وَكَـأَنَّـنِـي * **قَـدْ صِـرْتُ فِـيـهَا صَاحِبَ اسْتِيطَانِ**
وَكَـأَنَّـنِـي فِـيـهَـا غَـدَوْتُ مُـهَـنْدِسًا * يُـبْـدِي لَـهُ الآرَاءَ فِـي الـبُـنْـيَانِ
حَـتَّـى كَـأَنَّ الـدَّارَ وَهِـيَ جَـدِيـدَةٌ * تَـحْـتَـاجُ فِـي الـبُـنْـيَانِ لِـلْـبِـيبَانِ
وَلَـقَـدْ تَـحَـمَّـلَ مِـنْ مُـبَاسَطَـتِي لَـهُ * مَـا لَـيْـسَ يَـحْـمِـلُـهُ مِـنَ الأَقْـرَانِ
وَأَنَـا إِذَا بَـاسَـطْـتُ شَـخْـصًا لَـمْ يَـكُـنْ * بَـسْـطِـي لَـهُ إِلَّا مَـعَ اسْـتِـحْـسَانِ
وَأَنَـا الَّـذِي فِـي الـقَـوْمِ لَـسْـتُ بِـمُـعْـتَدٍ * مَـا احْـتَـاجَ فِـي قَـوْلٍ إِلَـى اسْـتِـيذَانِ
لِـلَّـهِ دَرُّ أَبِـي الـهُـدَى مُـوسَـى الـرِّضَـى[2] * فَـعَـلَـيَّ غَـيْـرُ مُـعَـلَّـقِ الـمِـيـزَانِ
وَلَـرُبَّـمَـا حَـكَـمُـوا عَـلَـيَّ بِـأَنَّـنِـي * فِـيـمَـا فَـعَـلْـتُ مَـلَامِـتِـي رَبَّـانِـي
وَقَـدِ اجْـتَـمَـعْـنَـا بِـالـغَـنِـيِّ الـتَّـاجِـرِ الأَ * رْضَـى الأَجَـلِّ مُـبَـارَك الـرُّودَانِـي[3]
مَـلَـكَ الـقُـلُـوبَ بِـلُـطْـفِـهِ وَتَـوَدُّدٍ * وَتَـحَـبُّـبٍ لِـذَوِي الـعُـلَا وَتَـدَانِـي
رَجُـلُ الـمُـرُوءَةِ وَابْـنُـهَـا وَكَـفِـيـلُـهَا * وَأَبُـو الـكَـرَامَـةِ مِـنْ ذَوِي الإِحْـسَـانِ
وَلَـقَـدْ تَـعَـشَّـيْـنَـا لَـدَيْـهِ وَعِـنْـدَهُ * بِـتْـنَـا عَـلَـى فُـرُشِ الـهَـنَا بِـأَمَـانِ
وَبِـبَـابِـهِ لَاقَـيْـتُ قَـاضِـيَ الـعُـرْفِ بَـنْـ * ـيـسَ الـسَّـعَـيْـدِي[4] حَـامِـلَ الـنِّـيـشَـانِ
أَنْـشَـدْتُـهُ بَـيْـتَـيْـنِ فِـي عَـمَـلٍ بِـعُـرْ * فِ الـنَّـاسِ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ كُـلَّ زَمَـانِ
فَـرَوَاهُـمَـا عَـنِّـي وَقُـلْـتُ مُـضَـمِّـنًا * لَـهُـمَـا هُـنَـا فِـي كَـامِـلِ الأَوْزَانِ

---

[1]- إبراهيم الروداني. فقيه أديب، نائب القاضي وأحد أهم أعوانه

[2]- موسى بن العربي الروداني. فقيه أديب قاض. من أعلام ناحية سوس. أخذ عن جماعة من فقهاء بلده. لاسيما منهم الفقيه محمد بن عبد الله الكلفاني. وهو عمدته في سائر ما كرعه من علوم وآداب. ولمترجمنا حس أدبي رفيع. وذوق بلاغي بديع. وقد وصفه بالنجابة في هذا المجال غير واحد من علماء جيله. من ذلك قول صاحب كتاب رجالات العلم العربي في سوس: وكان فقيها جيدا. محصلا نبيها. ولوعا بالآداب. فله أشعار لطيفة. وهو اليوم زينة تلك المدينة. وله هيأة تأخذ بالأبصار. وشارة مرموقة. وانحياش إلى أهل الخير. وله مركز كبير وتورع. إهـ..
ولا يفوتنا أن نشير على أنه ممن تولوا خطة القضاء بمدينة تارودانت. توفي بتاريخ 2 شوال عام 1362هـ 2 أكتوبر-1943م. أنظر ترجمته في رجالات العلم العربي في سوس ص 240.

[3]- السيد مبارك الروداني، أحد كبار أغنياء جهة تارودانت وقتئذ، كانت له أملاك واسعة وكثيرة

[4]- المراد به قاضي العرف العلامة الأديب بنيس السعيدي، وهو أحد أشهر العلماء بسوس حينذاك

لِـلـنَّـاسِ عَــادَاتٌ وَقَـــدْ أَلِـفُـوا بِـهَـا * يَـرْعَـوْنَـهَـا فِـــي سَـائِـرِ الأَوْطَـــانِ
مَـنْ لَـمْ يُعَاشِرْهُمْ عَـلَـى عَـمَـلٍ بِـهَـا * فَـهُـوَ الـثَّـقِـيـلُ لَـدَيْـهِـمْ وَالـجَـانِـي
وَبِـحُـومَـةِ الـبَـارُودِ[1] بَـــلْ فِـــي دَارِهِ * قَـــدْ قَـــامَ صَـاحِـبُـهَـا بِـمَـا أَرْضَـانِـي
قَـــدْ قَـــامَ مُـحْـتَـفِـلًا بِـنَـا بِـتَـوَدُّدٍ * لَـــمْ تَـمْـحُـهُ مِـنَّـا يَـــدُ الـنِّـسْـيَـانِ
نِـعْـمَ الـفَـتَـى الـدُّكَّـالِـيُّ الأَرْضَـى الـحُـسَـيْـ * ـنُ[2] أَخُـــو الـبَـشَـاشَـةِ صَـاحِـبُ الإِحْـسَـانِ
فِـــي هَـــذِهِ الـــدَّارِ الـبَـدِيـعِ صَـنِـيـعُـهَـا * يَـــجِـــدُ الـشَّـجِـيُّ سَـجِـيَّـةَ الـسُّـلْـوَانِ
دَارٌ وَمَـــا أَدْرَاكَ مَـــا دَارٌ بِـــهَـــا * قَـــدْ أَبْـــدَعَ الـفَـنَّـانُ حُـسْـنَ مَـبَـانِ
وَرِيَـاضُـهَـا فِـــي مَـنْـظَـرٍ بَـهِـجٍ بِـهَـا الـ * ـأَزْهَـــارُ قَـــدْ ضَـحِـكَـتْ عَـلَـى الأَفْـنَـانِ
وَتَـنَـوَّعَـتْ أَشْـجَـارُهَـا وَتَـجَـاوَبَـتْ * أَطْـيَـارُهَـا مِـــنْ يَـانِـعِ الأَغْـصَـانِ
وَقَـــدِ اجْـتَـمَـعْـنَـا بِـالـشَّـرِيـفِ الـنَّـاظِـرِ الـ * ـبَـلْـغِـيـثِـي[3] الأَرْضَـــى الـرَّفِـيـعِ الـشَّـانِ
مِـــمَّـــنْ إِذَا ذُكِـــرَ الـفَـخَـارُ وَأَهْـلُـهُ * كَـــانَ الـمُـقَـدَّمَ رَغْـــمَ أَنْـــفِ الـشَّـانِـي
وَلَـــقَـــدْ دَعَـــانَـــا لِـلْـغَـدَاءِ بِـــرَوْضِـــهِ * مَـــعَ زُمْـــرَةٍ مِـــنْ أَفْـضَـلِ الأَعْـيَـانِ
مَـــعَـــهُ تَـذَاكَـرْنَـا مُـذَاكَـرَةً سَـمَـتْ * قَـــدْ جَـــالَ فِـيـهَـا وَاسِـــعَ الـمَـيْـدَانِ
وَتَـسَـابَـقَـتْ حَـلَـبَـاتُـهُ فِـيـهَـا إِلَـــى * إِحْـــرَازِهِ قَـصَـبَـاتِ كُـــلٌّ رِهَـــانِ
وَالـــجِـــدُّ لَـــمْ يَـتْـرُكْـهُ يُـهْـمِـلُ شُـغْـلَـهُ * بَـــلْ شُـغْـلُـهُ فِـــي غَـايَـةِ الإِتْـقَـانِ
عَـــزْمٌ وَحَـــزْمٌ فِـيـهِ قَـــدْ سَـلَـكَـا بِـــهِ * نَـــهْـــجًـا سَـوِيًّـا مُـفْـضِـيًـا لِـجِـنَـانِ
وَإِذَا أَحَـــبَّ الـلَّـــهُ عَـبْـدًا صَـــارَ قَـ * ـيِّـــمَ مَـسْـجِـدٍ لِـعِـبَـادَةِ الـدَّيَّـانِ

---

[1]- حومة البارود : من أهم حومات مدينة تارودانت، وبها دار البارود، وهي أحد أهم معالم المدينة المذكورة، والمعروف عن هذه المدينة أنها اشتهرت بصناعة البارود وما إلى ذلك من أنواع الأسلحة، وقد عرفت بهذا المجال طويلا بين القبائل الأمازيغية المحيطة بها

[2]- السيد الحسين الدكالي : تاجر كبير، من كبار الملاكين بمدينة تارودانت

[3]- محمد البلغيثي : ناظر الأوقاف بمدينة تارودانت آنذاك، كان فقيها جليلا، أديبا شاعرا، توفي عام 1393هـ- 1973م

وَلَدَيْهِ جَاءَ السَّيِّدُ الشَّرْفِي الرِّضَى الـ * ـعَبَّاسُ[1] حَامِلُ رَايَةِ العِرْفَانِ
الكَاتِبُ المَخْصُوصُ بِالإِبْدَاعِ فِي * إِبْدَاءِ نَظْمِ جَوَاهِرِ التِّيجَانِ
يُنْشِي وَيُنْشِدُ مَا سَبَى أُولِي النُّهَى * فَاعْجَبْ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ فَنَّانِ
وَالنَّاسُ إِنْ شَدُّوا الرِّحَالَ لِمِثْلِهِ * فِيهِ أَتَاهُمْ سَائِقُ الأَظْعَانِ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَفْعَ عَبِيدِهِ * انْتَفَعُوا بِشَيْءٍ لَيْسَ فِي الحُسْبَانِ
نِعْمَ المُذَكِّرُ وَالمُذَاكِرُ عَنْ سَلَا * مَةِ صَدْرِهِ وَالذَّاكِرُ الرَّبَّانِي
وَقَدِ اجْتَمَعْتُ هُنَاكَ بِابْنِ مُحِبِّنَا الـ * ـقَاضِي الهُوَّارِي أَحْمَدَ الأَقْرَانِ
وَلَقَدْ تَجَسَّدَتِ اللَّطَافَةُ فِيهِ حَـ * ـتَّى كَادَ يَسْتَخْفِي عَنِ الأَعْيَانِ
لَكِنْ مَعَارِفُهُ الجَلِيلَةَ أَظْهَرَتْـ * ـهُ فَصَارَ شَمْسًا مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ
لِلَّهِ دَرُّ أَبِيهِ فَهُوَ بِهِ اعْتَنَى * حَتَّى بِهِ قَرَّتْ لَهُ العَيْنَانِ
وَالابْنُ سِرُّ أَبِيهِ فِي عِرْفَانِهِ * رَجَحَتْ بِهِ الحَسَنَاتُ فِي المِيزَانِ
إِنِّي لَيُعْجِبُنِي بِحِسٍّ وَقَارِهِ * وَجَمِيلِ سِيرَتِهِ وَطِيبِ لِسَانِ
فَلْيَقْتَدِي مَنْ رَامَ تَحْقِيقًا بِهِ * لِيَكُونَ مَحْمُودًا مِنَ الشُّبَّانِ
وَبِجَوْلَةٍ جُلْنَا مَعَ البَاشَا إِلَى * أَنْ مَالَ بِي لِزِيَارَةِ القُبْطَانِ

---

[1]- العباس بن عبد الرحمان الشرفي الأندلسي. ولد بفاس حوالي عام 1290هـ. وبها نشأ وتعلم. فأخذ عن زمرة من علماء القرويين. كمحمد (فتحا) كنون. وأحمد بن الخياط. وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وعبد المالك العلوي الضرير. وعبد السلام الهواري وآخرين.

أما وظائفه فقد تولى الكتابة بدار المخزن السعيد في عهد السلطانين المولى عبد العزيز. وأخيه المولى عبد الحفيظ. ثم بعد ذلك رئيسا لمجلس الجنايات بالرباط. وذلك في عهد السلطان المولى يوسف. كما عين في نفس العهد وزيرا للأوقاف. ثم نائبا للصدر الأعظم فيما بعد.

وهو أديب وشاعر فذ. له قصائد ومقطعات رائعة. تتوزع حسب الموضوعات الرائجة في عهده. وهي ذات نكهة خاصة وإبداع فائق. من ذلك قوله في مطلع قصيدة بائية في مدح السلطان المولى يوسف :

لولاك كان الذي فوق الثرى سربا * يا من بطلعته اهتز العلى طربا
أصبحت بين ملوك الأرض مشتملا * ثوب الفخامة بل أزكاهم نسبا

توفي بمدينة الرباط بتاريخ يوم الخميس 11 جمادى الأولى عام 1359هـ - 17 يونيه1940م. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8 : 3075 - 3076. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا 2 : 363 - 365. معلمة المغرب 16 : 5339. اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي 1 : 37 - 40.

وَبِــهِ تَـعَرَّفْـنَـا وَكَـــانَ لَــــهُ بِـنَـا * نَـبَـأٌ تَـقَـدَّمَ قَـبْـلَ أَنْ يَـلْـقَـانِـي
وَخَـرَجْـتُ وَهْـــوَ مُـوَدِّعِـي بِـلَـطَـافَـةٍ * حَـلَّـتْ لَـدَيَّ مَـوَاقِـعَ اسْتِحْسَانِ
وَدَخَـلْـتُ جَـامِـعَـهَا الْـكَـبِـيرَ فَـهَالَـنِي * لَـمَّـا رَأَيْـتُ دَعَـائِـمَ الْـحِـيطَانِ
وَتَـشَابُـكَ الْـخَـشَبِ الَّـتِـي بِـسُقُـوفِـهِ * وَشُـقُـوقَـهُ مِـنْ سَـائِـرِ الأَرْكَـانِ
قَـدْ غَـيَّـرَتْـهُ يَـدُ تَـظُـنُّ بِـأَنَّـهَا * قَـدْ أَصْـلَـحَتْ مَـا فِـيـهِ مِـنْ بُـنْـيَانِ
يَـالَـيْتَهَا هَـدَمَـتْـهُ حَـتَّـى لَـمْ يُـضَـعْ * مَـالٌ بِـهِ صَـرَفَـتْـهُ فِـي خُـسْـرَانِ
لَا سِـيَـمَا وَقَـدِ اسْـتَـحَـالَ لِـصُـورَةٍ * شَـوْهَـاءَ بَـعْـدَ جَـمَـالِـهَا الْـفَـتَّـانِ
لَا لَا أَرَى أَحَـــدًا يَـــرِقُّ لِـحَـالِـهِ * فِـي حَـالِـهِ الْـحَـالِي سِـوَى السُّلْطَانِ
مَـــنْ مُـبَـلِّـغٌ لِـلْـحَـضْـرَةِ الْـعَـلَـوِيَّـةِ الْـ * شَّـمَّـاءِ حَـالَ الْـمَـسْـجِـدِ الـرُّودَانِـي
فَـقَـدِ اسْـتَـحَـالَ لِـحَـالَـةٍ يُـرْثَـى لَـهَـا * مِـنْ بَـعْـدِ مَـا قَـدْ كَـانَ فِـي اسْتِحْسَانِ
وَدَخَـلْـتُ زَاوِيَـةَ الـتِّـجَـانِي وَهِـيَ مِـنْ * بُـنْـيَـانِـهَا فِـي غَـايَـةِ الإِتْـقَـانِ
وَوَجَـدْتُ فِـيـهَـا قُـبَّـتَـيْـنِ وَأَهْـلُـهَـا * يَـتْـلُـونَ ذِكْـرَ وَظِـيـفَـةٍ بِـبَـيَـانِ
وَلَـقَـدْ فَـرِحْـتُ بِـمَـا رَأَيْـتُ وَحُـقَّ لِـي * فَـرَحٌ بِـأَهْـلِ الـدِّيـنِ وَالإِيـمَـانِ
وَقَـدِ اجْـتَـمَـعْـنَـا بِـالرِّضَـى الـشَّـهْمِ الْـهُمَا * مِ الْـقَـائِـدِ الـتَّـيُّـوتِـي الـتِّـجَـانِـي
فَـوَجَـدْتُـهُ بَـدْرًا تَـسَـامَـى قَـدْرُهُ * ذُو هِـمَّـةٍ جُـبِـلَـتْ عَـلَـى الإِحْـسَـانِ
وَإِذَا الـرِّجَـالُ ذَوُوا الـشَّـجَـاعَـةِ عُـدِّدُوا * كَـانَ الْـمُـقَـدَّمَ أَوَّلَ الـشُّـجْـعَـانِ
وَقَـدِ اكْـتَـسَـى ثَـوْبَ الْـوَقَـارِ مَـعَ انْـشِرَا * حِ الـصَّـدْرِ وَهْـوَ مَـحَـلُّ كُـلِّ أَمَـانِ
وَلَـقَـدْ دَعَـانَـا لِـلْـمَـبِـيتِ لَـدَيْـهِ فِـي * تَـيُّـوتَ حَـيْـثُ مَـنَـاظِـرُ الأَفْـنَـانِ
فَـأَجَـبْـتُـهُ مَـعَ مَـنْ مَـعِـي وَدَلِـيـلُـنَـا * فِـي الـسَّـيْـرِ كَـانَ مُـحِـبُّـنَـا الـرُّودَانِـي
وَبِـهِ قَـطَـعْـنَـا الْـغَـابَـةَ الْـكُـبْـرَى مِـنَ الْـ * زَّيْـتُـونِ وَهِـيَ فَـسِـيـحَـةُ الْـمَـيْـدَانِ
كَـادَتْ تُـعَـادِلُ مَـا شَـهِـدْنَـا فِـي تَـجَـ * ـوُّلِـنَـا مِـنَ الْـغَـابَـاتِ مِـنْ أَرْكَـانِ
وَكَـأَنَّـهُ الـزَّيْـتُـونُ فِـي أَغْـصَـانِـهِ * وَالـشَّـوْكُ فِـيـهَـا بَـارِزُ الأَسْـنَـانِ
وَالْـحُـكْـمُ فِـي أَرْكَـانَ عِـنْـدِي فِـي الـزَّكَـا * ةِ هُـوَ الْـوُجُـوبُ بِـسَـاطِـعِ الْـبُـرْهَـانِ
إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ أَرْكَـانُ زَيْـتُـونًا فَـقَـدْ * كَـانَـتْ لَـهُ زَيْـتُ بِـذِي الأَوْطَـانِ
وَيَـرَوْنَـهُ مِـنْ أَنْـفَـسِ الـزَّيْـتِ الَّـذِي * عَـصَـرُوهُ مِـنْ زَيْـتُـونَـةِ الْـعِـيـدَانِ
وَالْـقَـائِـلُـونَ بِـتَـرْكِـهَـا إِمَّـا لِـحَـصْـ * ـرِهِـمُ الْـمُـزَكَّـى أَوْ لِأَمْـرٍ ثَـانِـي
وَكَـأَنَّـهُـمْ نَـظَـرُوا لِـكَـوْنِ حُـبُـوبِـهِ * مَـجْـمُـوعَـةً مِـنْ جَـرَّةِ الْـحَـيَـوَانِ

وَأَتَى بِهِ الحَيَوَانُ مِنْ غَابَاتِهِ * فِي رَعْيِهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَدَّانِ

وَلِذَاكَ لَا تَجِبُ الزَّكَاةُ لَدَيْهِمُ * فِيهِ وَفِي هَذَا لَنَا نَظَرَانِ

فَالحَصْرُ فِي العِشْرِينَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ * وَالجَمْعُ لِلْحَبِّ انْتَفَى لِمَعَانِ

لِلْقَوْمِ أَمْلَاكٌ بِهَا أَرْكَانُهُمْ * وَالكُلُّ مَمْلُوكٌ بِلَا نُكْرَانِ

فَبَهَائِمُ المُلَّاكِ فِيهَا إِنْ رَعَتْ * فَوُجُوبُهَا مَا فِيهِ مُخْتَلِفَانِ

لَا لَا الْتِفَاتَ لِأَنْ يُقَالَ رَعَتْ سِوَى الـ * ـمَمْلُوك مِنْ أَرْكَانَ بِالجَوَلَانِ

لَاهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الرَّعْيُ مِنْ * ثَمْرٍ سِوَى المَمْلُوكِ مِنْ أَرْكَانِ

فَهُنَاكَ لَمْ يَكُنْ ابْنُ مَحْسُودٍ عَلَى * مَا قَالَ مَحْسُودًا لَدَا الأَعْيَانِ

لَا لَا زَكَاةَ عَلَى مَنْ الْتَقَطُوهُ مِنْ * مَرْعَى وَلَا شَارِيهِ بِالأَثْمَانِ

إِلَّا إِذَا حَالَ النِّصَابُ وَحَانَ وَقْـ * ـتُ زَكَاتِهِ فَلَدَيْهِ حُكْمٌ ثَانِي

وَهُوَ الزَّكَاةُ بِلَا خِلَافٍ عِنْدَنَا * لِوُجُودِ عَرْضٍ حَالَ بِالإِيقَانِ

وَهُنَا بِالاسْتِطْرَادِ أَذْكُرُ حُكْمَ أَوْ * رَاقِ البُنُوكِ وَكَرْطَةِ السُّودَانِ

فَالحُكْمُ فِي وَرَقِ البُنُوكِ هُوَ الزَّكَا * ةُ بِقَدْرِ صَرْفِ الوَقْتِ دُونَ تَوَانِ

هَبْ أَنَّ نَقْدَ العَيْنِ مَفْقُودٌ أَمَا * قَامَتْ مَقَامَ النَّقْدِ فِي الرَّوَجَانِ

وَالدِّرْهَمُ الشَّرْعِيُّ فِيهَا وَزْنُهُ * فِيمَا تُسَاوِيهِ لَدَى الخُزَّانِ

وَالقَائِلُونَ بِحُكْمِ تَرْكِ زَكَاتِهَا * جَنَحُوا لِهَدْمِ مُشَيَّدِ الأَرْكَانِ

إِمَّا لِأَغْرَاضٍ وَإِمَّا عَنْ تَجَا * هُلِ عَارِفٍ أَوْ مِنْ جَهَالَةِ عَانِي

وَالحُكْمُ فِي كَرْثٍ لَدَا السُّودَانِ وَهْـ * ـيَ الكَوْكَوُ المَعْرُوفُ فِي أَوْطَانِي

حُكْمُ المُزَكَّى مِنْ ذَوَاتِ الزَّيْتِ وَهْـ * ـوَ زَكَاتُهُ مِنْهَا لَدَا الأَعْيَانِ

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ قُلْتُ بِغَيْرِهِ * بِإِفَادَةِ الحُرَّاثِ عَنْ بُرْهَانِ[1]

---

[1]- إفادة أهل الحرث، بعدم وجوب الزكاة في الحب المعروف في المغرب بكوكو وفي السودان بكرث، يقع في 24 صفحة، غير أنه رجع عن القول بنفي الزكاة فيه، وكتب رحمه الله على ظهر غلاف مخطوطه ما نصه : قال مؤلفه عفا الله عنه : بعدما قيدت هذا التويلف كاتبني محبنا العلامة الخليفة السيد الحاج محمد انياس من مدينة كولخ مبرهنا على وجوب الزكاة في زيت هذا الحب بما أملاه من نصوص تقتضي بعدم حصر ذوات الزيوت، فترجح لدي ما أفتى به، وإن الرجوع إلى الحق حق، فرجعت إلى القول بوجوب الزكاة فيه طبق ما ذكرت ذلك في نظمنا تاج الرؤوس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وَالْـيَـوْمَ أَرْجِـــعُ لِـلـصَّـوَابِ فَـرَيْـثُـهُ * فِـيـهَـا الـزَّكَـاةُ وَذَاكَ عَـــنْ إِيـقَـانِ

فِـيـهِ اقْـتِـيَـاتٌ وَهُـــوَ مُـدَّخَـرٌ لَـهُـمْ * وَعَـلَـيْـهِ فَـالـشَّـرْطَـانِ مَـوْجُـودَانِ

لَا شَـــكَّ عِـنْـدِي فِـي وُجُـوبِ زَكَـاتِـهِ * مِـنْ بَـعْـدِمَـا لِـي قَـدْ بَـدَا الـشَّـرْطَانِ

مَـا فِـي الـرُّجُـوعِ لِـنَـهْـجِ حَـقٍّ مِـنْ خَـطَـا * إِنَّ الـخَـطَـا لَـمُـؤَيِّـدُ الـبُـطْـلَانِ

وَبِـمِـثْـلِ هَـذَا الـقَـوْلِ قَـالَ مُـحِـبُّـنَـا * انْـيَـاسٌ[1] مَـعْ قَـوْمٍ مِـنَ الـبِـيـضَـانِ

---

[1]- سيدي محمد بن عبد الله انياس الكولخي. من أكابر أعلام الطريقة التجانية بسنغال. ولد عند ظهر يوم الجمعة 2 رمضان عام 1297هـ - 9 غشت 1880م بمدينة كولخ. وبها نشأ وترعرع. فحفظ القرآن حفظا متقنا في سن مبكرة من عمره. ثم أخذ العلم عن جماعة من فقهاء بلده. في مقدمتهم والده العلامة المقدم الكبير سيدي عبد الله انياس. وهو الذي لقنه الطريقة الأحمدية التجانية. وذلك قبل سن العاشرة من عمره. ثم قدمه بعد ذلك. وصرح له بالخلافة حسب نص إجازته له المؤرخة يوم الثلاثاء 19 رجب الفرد الحرام عام 1329هـ - 16يوليوز1911م.

ثم أجازه بعد ذلك العلامة الحاج أحمد سكيرج. وكتب له في الإجازة بعد كلام : وقد كتب لنا والدك بأنه صيرك خليفة عنه لكونك مستحقا لذلك. وقد وافقناه على ذلك وصيرناك أيضا خليفة عنا. وقد أذناك إذنا عاما كما لدينا في الأسرار الخصوصية والأذكار العمومية. غير أننا نؤكد عليك بالوقوف على ساق الجد في الطريق.

ثم أجازه أيضا بعد ذلك جماعة من الأفاضل. منهم الشريف البركة سيدي محمود التجاني. وأخوه سيدي محمد الكبير التجاني. ثم العلامة الشريف سيدي العربي المحب العلوي.

وفي حقه يقول العلامة سكيرج في كتابه الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية :

وهـنـا يـقـول مـحـبـنـا الـمـولـى مـحـمـ * ـد الـرضـى انـيـاس ذو الـعـرفـان

نـال الـخـلافـة فـي الـطـريـقـة عـن أبيـ * ـه عـن الإمـام الـعـارف الـتـجـانـي

فـسـقـى أحـبـتـه بـتـحـقـيـق مـن الـ * ـسـر الـمـصـون بـأكـبـر الـكـيـران

وبه غدا السنكال كعبة قاصدي الخيـ * ـر الـكـثـيـر وطـالـبـي الاحـسـان

أنـوراه قـد أشـرقـت فـي أفـقـه * وبـه اسـتـضـاءت ظـلـمـة الأذهـان

لـلـه مـن شـيـخ تـكـامـل فـضـلـه * قـد حـل مـن قـبـلـي رفـيـع مـكـان

فـاعـرف بـه فـهـو الـمـعـظـم والـمـقـ * ـدم بـيـن أهـل الـفـضـل والأعـيـان

وللخليفة سيدي محمد بن عبد الله انياس مؤلفات كثيرة منها : طريق الجنان، في مدح سيد بني عدنان. والمواهب الإلاهية في الغزوات النبوية. ومرآة الصفا، في سيرة النبي المصطفى. ونيل المرام، في مدح خير الأنام. وذخيرة العطايا، في الوفود والسرايا. ومرشد الإخوان. وهو نظم لوصايا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. ونصيحة الإخوان عن دعوى الولاية بالبتهان. ومفتاح الفتح والوصول إلى حضرة شيخنا ابن الرسول. وغير ذلك من التصانيف الكثيرة الأخرى. أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 154 .

أَكْــــرِمْ بِــــهِ مِــــنْ كَـوْلَـخِـيٍّ عَــالِـمٍ * مُـتَـبَـحِّـرٍ فِــي الـعِـلْـمِ فِــي الـسُّــودَانِ

نِـعْـمَ الـخَـلِـيفَـةُ فِــي طَـرِيـقَـةِ شَـيْـخِـنَـا * عَـنَّـا وَعَـمَّـنْ قَـبْـلُ مِــنْ أَعْـيَـانِ

قَـدْ فَـاقَ فِـي عِـلْـمِ الـشَّـرِيـعَـةِ وَالـحَـقِيـ * ـقَـةِ غَـيْـرَهُ بِـالـحَـقِّ لَا الـبُـهْـتَـانِ

وَأَنَـــا أُبَـجِّـلُـهُ وَأَشْـــكُـرُهُ وَأَشْـ * ـكُـرُ كُــلَّ إِخْـوَتِـهِ ذَوِي الـعِـرْفَـانِ

مِـنْـهُـمْ أَبُـــو اسْـحَـاقَ إِبْـرَاهِـيـمُ[1] مَـنْ * أَسْـكَـنْـتُـهُ قَـلْـبِـي مَـدَا أَحْـيَـانِـي

وَلَــوْ أَنَّــهُ مِــنْ شِـدَّةِ الـحُـبِّ الَّـذِي * لِــي فِـيـهِـمُ قَــدْ كَــادَ أَنْ يَـنْـسَـانِـي

أَكْـرِمْ بِـهِـمْ مِــنْ سَـادَةٍ قَـدْ أَرْشَـدُوا * لِـلْـحَـقِّ فِــي سِــرٍّ وَفِــي إِعْـلَانِ

عَـرَفُـوا الطَّـرِيـقَـةَ فَـاسْـتَـقَـامُوا فِـي الـسُّلُـ * ـوكِ بِــهَــا إِلَــى الـرِّضْـوَانِ وَالـغُـفْـرَانِ

غَـرَفُـوا مِــنَ الأَسْـرَارِ مَـا عَـرَفُـوا بِـهِ * كَـيْـفَ الـوُصُـولُ لِـنَـيْـلِ كُــلِّ أَمَــانِ

[1]- سيدي ابراهيم انياس الكولخي. المقدم الفاضل العلامة الشهير. صاحب الفيضة. أحد أكابر أعلام بلاد سنغال. له دور فعال في نشر الإسلام والطريقة بربوع القارة الإفريقية. وهو من أعيان المتصدرين لتلقين الطريقة التجانية هناك. وله مؤلفات كثيرة في مواضيع شتى. أكثرها في التصوف. منها جواهر الرسائل، الحاوي بعض علوم وسيلة الوسائل، طيب الأنفاس، في مدح شيخنا أبي العباس، كاشف الإلباس، عن فيضة الختم أبي العباس، المرهفات القطع، إلى محمد الخضر أخي التنطع، وغيرها، وقد طبع العديد منها. وانتفع بها الناس من كل ناحية وصوب.

وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على الكثير من رسائله المبعوثة لمقدمه العلامة الحاج أحمد سكيرج. وتمتاز هذه الرسائل بالتلقائية. مع الأدب والمودة وحسن التعبير. ومما خاطبه به العلامة المذكور في إحدى هذه الرسائل :

شهدت لكم فتحا مبينا بما لكم * به الحق من بين البرية قد خصا

ورثت عن الشيخ التجاني خلافة * وإني لكم فيها أنص لكم نصا

وإني أرى الشيخ التجاني خاتما * وأنت الذي قد صرت في الخاتم الفصا

وما قلت هذا عن الهوى وتبجح * ولا كان عن شطح رقصت به رقصا

ولكنه عن وارد جاء ناشرا * لواء سرور منه حاسدكم غصا

وكم طائر فخرا يعد مزاحما * لكم في المعالي والجناح له قصا

وللمترجم عدة أسانيد في الطريقة الأحمدية التجانية. غير أنه كان يفضل ويعتمد فيها سنده على العلامة سكيرج. ويسميه بالسلسلة الذهبية.

توفي سنة 1395هـ- 1975م بعد حياة حافلة بالعطاء والمنجزات الكبيرة. أنظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1 : 64.

وَأَبُوهُمُ الْمَرْحُومُ عَبْدُاللَّهِ[1] لِي * كَانَ الأَبَرَّ الْبِرَّ مِنْ إِخْوَانِي
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي أَبًا فِي سِرِّهِ * وَعَلَيَّ فِي السِّنِكَالِ مِنْهُ يَدَانِ
فَيَدٌ بِهَا عَاهَدْتُهُ وَأَجَزْتُهُ * بِإِجَازَةِ الإِطْلَاقِ بِالإِيقَانِ
وَيَدٌ بِهَا صَافَحْتُ أَهْلَ مَوَدَّتِي * فِي غَيْبَتِي بِتَعَارُفٍ رَبَّانِي
إِنِّي لأَشْكُرُهُ وَأَشْكُرُ مَالِكِي * فِي قُطْرِهِ بِتَزَايُدِ الإِحْسَانِ

1- العلامة الفقيه العارف بالله المقدم الحاج عبد الله بن السيد محمد بن مدنب بن أبي بكر، ويقال بكر بن محمد الأمين بن صاجر بن صنب بن الرضى. قال العلامة أحمد بن محمد المختار الحنفي العلوي في كتابه حضيرة المطايا إلى دخيرة العطايا، وهي شرح على منظومة للعلامة الخليفة سيدي محمد بن عبد الله انياس : والرضى هذا عربي أتى إلى السودان من المشرق، وهو من ملوك العرب، وله كنانة فيها أسهم ذهب إلخ ...

حفظ رحمه الله القرآن الكريم على يد والده سيدي محمد، وأخذ عنه كذلك رسالة ابن أبي زيد القيرواني، باستثناء باب الفرائض فإنه لم يقرأه على أحد مع براعته التامة فيه، أما النحو فقد قرأه على خاله الشيخ إبراهيم المعروف بالشيخ كلل، ثم على الشيخ المختار فاجاي، وعليه أخذ علم التفسير وجزءا من مختصر خليل، أما غير هذا من العلوم الأخرى فقد حدث عن نفسه قائلا : وما بقي من الفنون ما قرأته على أحد، ككتب اللغة والحديث والبيان والمنطق والعروض والحساب العددي وجميع ما أقرؤه، فلم تقرئني شيئا منها إلا بركة الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه، وأما علم الطريقة فما علمني منه أحد شيئا ولو مسألة واحدة.

ومن ورعه أنه مكث زمانا يصوم ويفطر على الماء الذي فيه الحمض، وهو يجد اللبن ولايشربه، قال لأن أهل ذلك البلد يشترونه بالطعام نسيئة، ولهذا ترك شرب اللبن رغم وجوده خوفا من الوقوع في الربا، وذلك شأن الأورع، لأنهم قالوا : إن الورع من يترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، والأورع من يجتنب بعض المباحات خوفا من الوقوع في الشبهات.

وله رحمه الله تآليف كثيرة أشهرها كتابه : تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس، والأجوبة المفحمة في الصدقة للميت والدلائل المحكمة، وكان رحمه الله لا يذخر من الدنيا إلا الكتب وحدها، لا غيرها من جميع زينة الحياة الدنيا من ذهب وورق وحلي وثياب، بل كل ذلك يفرقه في وجوه البر في ذات الله تعالى، ولا يلبس غالبا من الثياب إلا ما لا قدر له.

ومن محبته في جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعدما سمى أبناءه بأسماء أولاده صلى الله عليه وسلم صار يسمي دوابه على دوابه كالخيول والحمير وغير ذلك من الماشية.

وله رحمة الله عليه عدة أسانيد في الطريقة الأحمدية التجانية منها سنده المباشر عن العارف بالله البركة سيدي أحمد العبدلاوي، والعلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج، والفقيه البركة الشريف سيدي العربي المحب، والبركة المقدم سيدي الطيب السفياني، والفقيه الذاكر المقدم سيدي محمد جلو الفوتجلي.

الحَاجّ مَالِكَ بْنَ عُثْمَانَ[1] الرِّضَى * سِي فَهْوَ مَعَهُ لَدَا الثَّنَا سَيَّانِ

وَبَنُوهُ أَنْظُرْهُمْ بِعَيْنِ عِنَايَةٍ * وَشَمَلْتُهُمْ بِرِدَا الرِّضَى النُّورَانِي

وَهُنَا تَذَكَّرْتُ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِي * الخَرْطَالِ مِمَّا قُلْتُ فِي أَوْزَانِي

فَوُجُوبُهَا لَا شَكَّ فِيهِ لَدَيَّ وَهُـ * ـوَ الهُرْطُمَانُ أَرَاهُ بِالإِيقَانِ

وَيُقَالُ فِيهِ هُوَ الشُّقَّالِيَّةُ الَّتِي * هِيَ خَيْرُ نَوْعِ العَلْفِ لِلْحَيَوَانِ

وَعَلَيْهِ أَيْضًا قَدْ تَنَزَّلَ وَصْفُهُمْ * عَلَسًا وَفِيهِ وُجُوبُهَا الحَقَّانِي

لَا لَا الْتِفَاتَ لِغَيْرِ هَذَا القَوْلِ عِنْـ * ـدَ مُرِيدِ حَقٍّ جَاءَ عَنْ بُرْهَانِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَهُوَ يَعْلَمُ صِدْقَ مَا * قَدْ قُلْتُهُ فِي وَاضِحِ التِّبْيَانِ

هَذَا وَقَدْ غَابَتْ وَنَحْنُ فِي المَسِيـ * ـرِ الشَّمْسُ نَمْشِي فِي مَنِيعِ مَكَانِ

حَتَّى وَصَلْنَا قَصْرَهُ فَإِذَا بِهِ * قَصْرٌ مَشِيدٌ مُتْقَنُ البُنْيَانِ

فَكَأَنَّهُ النَّاظُورُ طَلَّ بِهِ عَلَى * مَا حَوْلَهُ مِنْ غَابَةٍ وَمَبَانِي

يَمْتَدُّ نَاظِرُ مِنْ عُلَاهُ إِلَى مَنَا * ظِرَ لَا تُرَى إِلَّا لَدَى الطَّيَرَانِ

وَلَنَا أَعَدَّ مِنَ الكَرَامَةِ مَا بِهِ * صِرْنَا كَأَنَّا فِي نَعِيمِ جِنَانِ

بِتْنَا لَدَيْهِ فِي ارْتِيَاحٍ زَائِدٍ * قَدْ أَنْعَشَ الأَرْوَاحَ فِي الأَبْدَانِ

وَبِحَيِّهِ أَحْيَا الأَذَانَ بَوَاعِثُ الـ * ـصَّلَوَاتِ يَسْمَعُهُ ذَوُو الأَذَانِ

إِنَّ الصَّلَاةَ قَدِ اسْتَقَامَتْ عِنْدَهُ * فِي وَقْتِهَا فِي غَايَةِ الإِتْقَانِ

وَقِيَامُهُ بِالذِّكْرِ مَعَ إِخْوَانِهِ * أَضْحَوْا بِهِ مِنْ أَفْضَلِ الإِخْوَانِ

وَإِذَا الصَّلَاةُ أَقَامَهَا قَوْمٌ فَهُمْ * أَهْلُ السَّعَادَةِ مِنْ ذَوِي الإِيمَانِ

لَا خَيْرَ فِيمَنْ ضَيَّعُوهَا إِنَّهُمْ * هَدَمُوا عِمَادَ الدِّينِ فِي الأَدْيَانِ

مَعَنَا هُنَالِكَ بَاتَ بَعْضُ أَفَاضِلٍ * مِنْهُمْ غَدَا القَاضِي أَبُو عِمْرَانِ

---

[1]- المقدم العلامة الحاج مالك بن عثمان بن محمد بن معاذ بن محمد بن علي بن يوسف، من أعيان الطريقة الأحمدية التجانية بسنغال، ولد رحمه الله في حدود عام 1274هـ. وتعاطى لطلب العلم ببلده بسنغال، فبلغ فيه الغاية، وله تآليف جليلة منها : خلاصة الذهب على سيرة خير العرب، وقنطرة المريد، والكوكب المنير، وري الضمآن بمولد سيد بني عدنان، وفاكهة الطلاب، ووسيلة المقربين، وتبشير الإخوان، وزجر القلوب، ورسالة في ثبوت الصوم بالتلغراف، ورسالة في الرد على منكر الأسقم، وغيرها.

توفي رحمه الله في يوم السبت 5 ذي القعدة الحرام عام 1340هـ انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 113. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 367.

وَجَمَاعَةٌ مِمَّنْ لَهُمْ لِلْقَائِدِ الـ * أَرْضَى انْتِسَابٌ مِنْ بَنِي الأَعْيَانِ
مِنْهُمْ أَخُصُّ هُنَا خَلِيفَتَهُ الرِّضَى * أَكْرِمْ بِهِ فِي مَجْمَعِ الإِخْوَانِ
وَقَدِ اجْتَمَعْتُ هُنَاكَ أَيْضًا بِالرَّشِـ * ـيدِ رَشِيدِنَا ابْنِ مُبَارَك الرُّودَانِي[1]
حِلْفِ الْمُرُوءَةِ وَالعَفَافِ وَطَالِبِ الـ * ـعِلْمِ الْمُنِيفِ مُتَوَّجِ التِّيجَانِ
وَقَدِ اسْتَجَازَ إِجَازَةً مِنِّي يَتِـ * ـمُّ بِهَا مُنَاهُ وَبِالدُّعَا جَازَانِي
فَأَجَبْتُهُ طِبْقَ الَّذِي يَرْجُوهُ بِالـ * ـشَّرْطِ الَّذِي شَرَطَتْهُ أُولُو الشَّانِ
فَلْيَرْوِ عَنِّي كُلَّ مَا أَحْرَزْتُهُ * أَوْ قُلْتُهُ فِي كُلِّ مَا دِيوَانِ
وَاللَّهُ يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُ كُلَّ مَنْ * عَنْهُ رَوَى سِرًّا وَفِي إِعْلَانِ

السَّفَرُ إِلَى مُرَّاكُشَ عَلَى طَرِيقِ الجَبَلِ الأَطْلَسِ وَهُوَ جَبَلٌ دَرْنٌ مُسْتَطِيلٌ

وَلَقَدْ تَوَادَعْنَا وَسِرْنَا فِي هَنَا * حَتَّى وَصَلْنَا مُفْرَدَ الأَدْرَانِ

---

[1]- العلامة القاضي سيدي رشيد بن الحاج مبارك بن سعيد بن علي المصلوت، أحد أبرز علماء سوس في عصره، وهو من مواليد سنة 1328هـ ـ 1909م، درس العلم بجامع القرويين بفاس، ومن شيوخه بها العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، وعبد الله بن إدريس الفضيلي، والعباس بن أبي بكر بناني، وسيدي أحمد بن مامون البلغيثي، والطائع بن الحاج السلمي، وعبد الرحمان بن عبد الهادي الشفشاوني، وسيدي محمد بن عبد المجيد أقصبي، وسيدي المدني بن الحسني الرباطي،وغيرهم

وتقلد مناصب قضائية سامية، من مؤلفاته الفهرس العلمي، في أربعة أجزاء، وإتحاف المعاصر والتالي، بجمع ترجمة الشيخ الهلالي، وفتح العلي المتعالي، بشرح نصيحة الهلالي، ونزهة الخاطر، وتحفة الناظر، بشرح قصيدة ابن جابر، وهو شرح لقصيدة ابن جابر المشهورة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى مجموعة ضخمة من الإجتهادات والأحكام التي قررها مدة اشتغاله بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام، وفي حقه يقول العلامة محمد بن بوبكر الصويري رحمه الله :

علوت على الأقران يا ابن مبارك * ففزت وحزت الفضل من سر ما اشتهر
وذلك يا ابن الصالحين طريقكم * ومن سار سير الوالدين فقد خبر
سموت وأنت ابن الكرام ومن زكت * أصول له نال المكارم في البشر

توفي رحمه الله عام 1422هـ ـ 2001م

دَرْنَــا[1] وَمَــا أَدْرَاكَ مِــنْ جَـبَـلٍ سَـمَـا * دَرْنَــا بِــهِ كَـالـمُـرْتَـقِي الـجُـدْرَانِ
سِـرْنَـا وَصِـرْنَـا فِـيـهِ نَـخْـتَـرِقُ الـفَـضَا * وَكَـأَنَّـنَـا فِـي حَـالَـةِ الـطَّـيَرَانِ
حَـتَّـى حَـلَـلْـنَـا قِـمَّـةً تَـعْـلُو عَـلَـى * بَـحْـرٍ يَـمِـيـلُ فَـوْقَـهُ مَـيَـلَانِ
وَكَـأَنَّ صَـاعِـدَهُ تَـطَـلَّـبَ حَـاجَـةً * فِـي الأُفُـقِ يَـصْـعَدُ وَهُـوَ فِـي خَـفَقَانِ
وَالـلَّـهُ سَـلَّـمَ فِـي الـصُّعُـودِ وَفِـي الْهُبو * طِ بِــهِ كَـأَنَّـا رَاكِـبُـوا الـرَّيَـلَانِ
وَلَـقَـدْ تَـفَـنَّـنَتِ الـطَّـبِيعَةُ فِـي مَـنَـا * ظِـرِهَـا بِــهِ وَلَـنَـا بَـدَتْ لِـعَـيَانِ
مَـا أَدْهَـشَ الـمَـارِّينَ فِـيـهِ لِـمَا يَـرَوْا * فِـي نَـهْـجِـهِ الـمُـمْـتَدِّ فِـي دَوَرَانِ
عَـجَـبًا لِـمَـنْ خَـطُّـوهُ بَـلْ خَـطُّوا بِـهِ * رِجْـلًا وَخَـاطُـوهُ مِـنَ الـعُـدْوَانِ
ضَـرَبَ الأَمَـانُ بِـحَـيِّـهِ أَطْـنَـابَـهُ * وَالـنَّـاسُ فِـيـهِ تَـسِـيـرُ فِـي اطْـمِـئْـنَانِ
وَلَـقَـدْ سَـلَـكْـنَا فِـيـهِ دُونَ تَـخَـوُّفٍ * لَـمْ نَـخْـشَ فِـيـهِ طَـوَارِئَ الـحَـدَثَانِ
سِـرْنَـا بِـهِ حَـتَّـى انْـتَـهَـيْـنَا لِـلْـبَسِيـ * طَـةِ مِـنْ عُـلُـوٍّ فِـي كَـمَالٍ تَـهَانِي
وَلَـقَـدْ تَـسَابَـقَـتِ الـسَّـيَّارَةُ غَـيْـرَهَا * حَـتَّـى حَـلَـلْـنَـا أَرْضَـنَـا بِـأَمَـانِ
وَصَـلَـتْ إِلَـى مُـرَّاكُـشٍ قَـبْـلَ الـزَّوَا * لِ فَـزَالَ عَـنَّـا فِـيـهِ كُـلُّ تَـعَـانِ
مُـرَّاكُـشَ الـحَـمْـرَا وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا * مُـرَّاكُـشٍ ذَاتِ الـبَـهَـا الـفَـتَّـانِ
هِـيَ بَـهْـجَـةُ الـدُّنْـيَا بِـمَغْـرِبِـنَا الَّـذِي * يُـنْـمَـى لَـهَـا فِـي سَـائِـرِ الأَوْطَـانِ
وَعَـلَـى أَبِـي سَـتَّـه حَـطَـطْـنَا رَحْـلَـنَا * فَـأَضَـافَـنَا وَأَطَـالَ فِـي الإِحْـسَـانِ
إِنْ لَـمْ نَـجِدْ فِـيـهَا الـسَّـمِيَّ فَـعَـمُّهُ الـ * ـمَـحْـمُـودُ عَـبْـدُ الـخَالِـقِ اسْـتَـرْضَانِي
أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ فَـاضِـلٍ فِـي فَـضْـلِهِ الـ * ـمَـوْرُوثِ مُـرْتَـفِـعٌ عَـلَـى الأَقْـرَانِ
وَلَـدَيْـهِ بِـتْـنَا فِـي الـكَـرَامَةِ فِـي هَـنَـا * حَـتَّـى ظَـنَـنْـتُ بِـأَنَّـنِي بِـمَـكَـانِ
وَعَـلَـى الـصَّـبَاحِ وَيَـوْمُـنَا يَـوْمُ الـخَمِيـ * ـسِ نَـظَـرْتُ لِـلْـحَـمْـرَاءِ فِـي اسْـتِحْسَانِ

---

[1] - جبل درن : من أعالي جبال الأطلس الكبير، وشهرته تغني عن التعريف

[1]- العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، أحد مشاهير رجالات الطريقة التجانية، ولد بسوس عام 1211 هـ ـ 1796م، وتوفي بمراكش بتاريخ ليلة الثلاثاء 28 محرم عام 1294 هـ ـ 12 فبراير 1877م، ودفن خارج باب الرب، قرب ضريح الشيخ أبي القاسم السهيلي، من مؤلفاته : الجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي الجلماسي، والجواب المسكت، في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا تثبت، والحلل الزنجفورية، في الجواب عن الأسئلة الطيفورية، ودوحة المجد والتمكين، في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين، والبديع في علم التعديل، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية وغيرها،
أنظر ترجمته في الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى 9: 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 8 -17 رقم 852. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2656. الأعلام للزركلي 6: 19. آداب اللغة العربية 2: 21-22. إيضاح المكنون 1: 418. بروكلمان 2: 884- 885. رسائل معلمة معالم سوس، سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، تحقيق حفيده العلامة أحمد الكنسوسي. تاريخ الشعر والشعراء بفاس، للنميشي 36. تاريخ المكتبة الإسلامية ومن ألف في الكتب، للعلامة عبد الحي الكتاني 89. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 431- 444. حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرغيني (مخطوط خاص) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1: 38- 145 165-205 -207-260 و2: 379 - 391- 427- 454- 272. ذكريات مشاهير رجال المغرب، لعبد الله كنون، العدد الرابع. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 202. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 25. رجالات العلم العربي في سوس 207. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 111- 139. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت 2: 417- 418 رقم الترجمة 304 . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1: 577 رقم رقم 1630، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 328-334. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 43 . فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان 7: 40. فهرس المخطوطات العربية 2: 75، الكتابة والكتاب، للرندي 25، معلمة المغرب2: 632 -634. معجم المؤلفين 8: 310. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 23 رقم الترجمة 38. المعسول 11: 276 و 14 : 29. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 200- 213. مجلة المجمع العلمي العربي 12: 384. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، رقم الترجمة 333. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون 1: 317. هدية العارفين للبغدادي 2: 38.

قُـرْبَ السُّهَيْلِيِّ[1] عَنْ يَمِينِ البَابِ فِـي * سَـعَـةٍ بِـخَـارِجِـهَا بِـلَا بُـنْـيَـانِ
مِـنْ بَـعْـدِ مَـا زُرْنَـا المُحِبَّ حَفِيدَهُ[2] * فِـي خَـيْـرِ زَاوِيَـةٍ لَـدَى إِخْـوَانِـي[3]
وَبِـهَا اجْـتَـمَـعْـنَا مَـعْ أَفَـاضِـلَ مِـنْـهُـمُ * لَـمْ يُـثْـنِنِي عَـنْ شُـكْـرِهِمْ مِـنْ ثَـانِ
لَـوْ كَـانَ فِـيهَا حَـاضِـرًا بَـطَـلُ الـجَنُو * بِ لَـكَـانَ فِـيـهَا بِـالمُنَـى وَافَـانِـي
فَـاعْـرِفْ بِـهِ فَـهُوَ الـرِّضَـى البَاشَا التُّهَا * مِـي[4] فَـخْـرُ مَـغْـرِبِنَا مِـنَ الأَعْـيَـانِ
مَـحْـبُوبُ أَهْـلِ الـفَضْلِ مُكْرِمُهُمْ بِـمَا * قَـرَّتْ لِـكُـلٍّ مِـنْـهُـمُ الـعَـيْـنَانِ
مَـا قُـلْـتُ هَـذَا فِـيهِ عَـنْ طَـمَـعٍ وَلَا * فِـي غَـيْـرِهِ وَالـلَّـهُ قَـدْ أَغْـنَـانِـي
لَـكِـنَّـنِـي بِـالـفَـضْـلِ مُـعْـتَـرِفٌ لِأَهْـ * ـلِ الـفَـضْـلِ فِـي سِـرِّي وَفِـي إِعْـلَانِـي
لِـيَـعِشْ ذُوو الـفَـضْـلِ الَّـذِي ذُكِـرُوا بِـهِ * فِـي أَهْـلِـهِ فِـي سَـائِـرِ الأَوْطَـانِ

الـرُّجُـوعُ إِلَـى مَـدِيـنَـةِ سَـطَّـاتِ

وَاسْـتَـوْدَعُـونَـا فَـانْـطَـلَـقْنَا قَـاصِـدِيـ * ـنَ مَـحَـلَّـنَـا بِـسَـلَامَـةٍ وَتَـهَـانِ
وَغَـدَا عَـلَـى سُـوقِ الـخَمِيسِ مُرُورُنَـا * وَبِـهِ اجْـتَـمَـعْـتُ بِـقَـائِـدِ الـشُّـجْـعَانِ
مِـنْ عَـشْـرَةِ الـبَـهْـلُولِ سَـلَّامُ الـرِّضَـى * لَا زَالَ فِـي عِـزٍّ مَـدَا الأَزْمَـانِ

---

[1]- الإمام السهيلي : هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الخثعمي السهيلي ، ولد بحصن سهيل الذي هو قريب من مالقة سنة 508هـ وقد كف بصره وهو في السابعة عشرة من عمره . من مؤلفاته كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . وهو كتاب زاخر بفوائد العلوم من لغة ونحو وأدب وعروض وتاريخ وفقه وحديث وتفسير . وفد الإمام السهيلي على المغرب سنة 579 هـ باستدعاء من الخليفة الموحدي يعقوب المنصور. فاستقر بالعاصمة [مراكش] وبها توفي بعد ثلاث سنوات من مجيئه لها . وكانت وفاته عام 581 هـ . أنظر جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 84 وأنظر تكملة الصلة لابن الابار ص 570 وأنظر المطرب لابن دحية ص 230 .

[2]- إشارة للمقدم المولى يوسف بن العربي بن العلامة المؤرخ سيدي محمد أكنسوس

[3]- إشارة للزاوية التجانية الكبرى بحي المواسين بمدينة مراكش

[4]- التهامي بن محمد المزواري الأكلاوي، باشا مدينة مراكش، توفي في 9 رجب 1375هـ-21 فبراير 1956م. ودفن بضريح الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي بحومة روض العروس بمراكش، كانت تربطه بالمؤلف صداقة مثينة، وقد مدحه بقصائد كثيرة في منتهى الروعة والجمال، أنظر ترجمته في الأعلام، للزر كلي 2: 89. إتحاف المطالع، لابن سودة 2: 552. معلمة المغرب 2: 619-621. موسوعة أعلام المغرب 9: 3309.

وَلَقِيتُ ثَمَّ أَخَاهُ ذَا الوَجْهِ الجَمِـ * ـيلِ عَلِي[1] خَلِيفَتَهُ رَفِيعَ الشَّانِ
وَهُنَاكَ قَدْ صَادَفْتُ بَعْضَ عُدُولِ مَحْـ * ـكَمَتِي وَكُلٌّ بِالهَنَا لاَقَانِي
مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَزُّوزٍ سَمِيُّ الـ * ـنُّورِ[2] مَعْهُ عَمُّهُ الرَّبَّانِي
وَرَفِيقُهُ المَعْطِي المُبَجَّلُ وَابْنُ حَـ * ـبُوبَهْ[3] وَكُلُّهُمُ مَحَلُّ أَمَانِ
فَأَهَمُّ مَا أَبْغِيهِ مِنْهُمْ أَنْ يَكُـ * ـونُوا شَاهِدِينَ شَهَادَةَ الإِيمَانِ
وَالعَدْلُ يَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ غَيْـ * ـرَ شَهَادَةٍ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ
أَمَّا الفُوَيْسِقُ فَهُوَ لَيْسَ بِشَاهِدٍ * عَدْلٍ وَلَوْ يَعْلُو عَلَى كِيوَانِ
وَهُنَالِكَ اسْتَبْشَرْتُ أَنَّ أَحِبَّتِي * وَالأَهْلَ فِي أَمْنٍ وَنَيْلِ أَمَانِي
فِي الحِينِ سِرْنَا فِي كَمَالِ سَلاَمَةٍ * حَتَّى وَصَلْنَاهُمْ بِكُلِّ أَمَانِ
فَحَطَطْتُ عِنْدَهُمْ عَصَا التِّسْيَارِ فِي * عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ مَعَ اطْمِئْنَانِ
ثُمَّ انْثَنَى عَنِّي المُقَدَّمُ وَالَّذِي * مَعَهُ إِلَى البَيْضَاءِ دُونَ تَوَانِ
وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ جَادَ لِي بِإِقَامَةٍ * عِنْدِي وَلَوْ يَوْمًا لَعَظَّمَ شَانِي
وَأَنَا الَّذِي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبِي وَقَدْ * وَدَّعْتُهُ لاَ زَالَ ذَا إِحْسَانِ
وَاللَّهُ يَرْفَعُ قَدْرَهُ وَيَزِيدُهُ * خَيْرًا عَلَى خَيْرٍ مَدَا الأَزْمَانِ
وَقَدِ انْتَهَى مَا رُمْتُهُ مِنْ رِحْلَةٍ * أَمْلَيْتُهَا فِي كَامِلِ[4] الأَوْزَانِ
جَاءَتْ عَلَى نَسَقِ ارْتِجَالٍ فِي انْسِجَا * مٍ تُحْفَةً مِنِّي إِلَى إِخْوَانِي

{الاعْتِذَارُ عَنْ تَرْكِ زِيَارَةِ بَعْضِ الأَحْبَابِ وَالإِخْوَانِ}

وَلَقَدْ تَعَذَّرَ لِي زِيَارَةُ بَعْضِ أَحْـ * ـبَابٍ غَدَوْا فِي هَذِهِ الأَوْطَانِ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ لَهُمْ فِيمَا جَنَيْـ * ـتُ وَإِنْ هُمْ لَمْ يَحْسِبُونِي جَانِي

---

[1]- علي البهلول، فقيه فاضل، خليفة القائد السيد سلام البهلول، توفي في شهر صفر الخير1380هـ ـ غشت 1960م

[2]- محمد بن عزوز، فقيه عدل، توفي بسطات في شهر رجب عام 1387هـ ـ أكتوبر 1967م

[3]- محمد ابن حبوبه، فقيه عدل، توفي بسطات عام1391هـ ـ 1971م

[4]- يعني أنه استعمل هذا النظم في بحر الكامل، وهو أحد بحور الشعر المشهورة

بَــلْ هُــمْ بِـقَـلْـبِـي سَـاكِـنُـونَ وَإِنَّـنِـي * فِــي قَـلْـبِـهِـمْ مِــنْ جُـمْـلَـةِ الـسُّـكَّـانِ
وَأَجَلُّهُمْ عِـنْـدِي الـشَّـرِيفُ الْمُرْتَضَـى الـ * ـعَـلَـوِي سَـمِـيُّ الـعَـارِفِ الـرَّبَّـانِـي
بَـدْرُ الـعُـلَى الـقَاضِي الرِّضَى شَمْسُ الهُدَى * مَــوْلَايَ أَحْـمَـدُ[1] مَـنْـبَـعُ الإِحْـسَـانِ
كَـشَّـافُ مُـعْـضِـلَـةِ الـنَّـوَازِلِ حَـامِـلُ الـ * ـعِـرْفَـانِ صِـهْـرُ جَـلَالَـةِ الـسُّـلْـطَـانِ
إِنِّــي لَأَرْعَــى وُدَّهُ مَــا دُمْــتُ حَـ * ـيًّــا وَهُــوَ فِــي قَـلْـبِـي لَــهُ حُـبَّـانِ
حُــبٌّ يُـقَـابِـلُ حُـبَّـهُ لِــي دَائِــمٌ * وَبِـحُـبِّـهِ الـثَّـانِـي بُـلُـوغُ أَمَـانِـي
أَوَلَـيْـسَ مِــنْ آلِ الـنَّـبِـيِّ وَحُـبُّـهُـمْ * بَـيْـنَ الــوَرَى فَـرْضٌ عَـلَـى الأَعْـيَـانِ
مَــنْ لَـمْ يُـحِـبُّـهُمْ وَلَــوْ بَـلَـغَ الـمُـنَى * طِـبْـقَ الـتَّـمَـنِّـي نَـاقِـصُ الإِيـمَـانِ
مَــنْ مُـبْـلِـغٌ مِـنِّـي لَــهُ حُـسْـنَ اعْـتِـذَا * رِي وَهُــوَ مَـقْـبُـولٌ لَــدَى الـخِـلَّانِ
أَوْ مُـبْـلِـغٌ مِـنِّـي اعْـتِـذَارًا فَـائِـقًـا * لِأَبِــي الـعُـلَا إِدْرِيــسٍ الــوَزَّانِـي
مِــنْ آلِ مَـسْـعُـودٍ بَـنِـي الـفَـضْـلِ الَّـذِي * فَــاقُــوا سِــوَاهُـمْ فِـيـهِ بِـالـرُّجْـحَـانِ
أَوْ مُـبْـلِـغٌ مَـقْـبُـولَ مَـعْـذِرَتِـي إِلَــى الـ * ـقَـاضِـي الـرِّضَـى الـعَـبَّـاسِ ذِي الإِتْـقَـانِ

---

[1]- العلامة القاضي مولاي أحمد بن مسعود العلوي الحسني، صهر السلطان المولى يوسف بن المولى الحسن الأول، قاضي مقصورة المواسين بمراكش، من مواليد عام 1295هـ كانت له بالعلامة سيدي أحمد سكيرج صداقة ومودة مثينة، وقد مدحه بقصيدة همزية قال في طالعتها :

مُــرَّا عـلـى مـراكـش الـحـمـراء * ولـتـقـصدا أعـلـى عـلا الـبطحاء
مـتيممين الـمسجد الأعـلى الذي * قـد شـيد فـيـها فـي بـديع بـناء
قـد شـاده مـحي مآثر مـن مـضى * مـولاي أحـمـد نـخـبـة الـشـرفاء
مـن آل إسـماعيل خير بـني علي * فـخـر الـمـلوك الأوليا الـعـظماء
الـعـالـم الـعلوي الذي يـثني علـيـ * ـه الـعـالـم الـعلـوي بـخير ثـنـاء
بـيـديه مـنشور الـولاية قد غـدا * بـالـنور مـنصورا عـلى الأعـداء
وغـدا مـنارَ هدى لمن طلب الهدى * أنــوارُهُ لــم تُـبْـقِ مــن ظـلـمـاء
وإذا قـضاةُ الـعَدْلِ قد ذُكِرُوا بِمَا * فِـيـهِمْ يُـعَـدُّ أجـلَّ أهـل قـضـاء
فَـضْلٌ وَجُـودٌ فِـي الـوجودِ تـجمعاً * فــي نـفسِهِ فـعلاً عـلى الـعلياءِ
عـلمٌ صـحيحٌ فـيـه مَعْ عـملٍ بـه * فـاق الـسوى فـي الـقادة الـكبراء

إلى آخر القصيدة ....

توفي يوم الجمعة 5 ربيع الأول عام 1365هـ ـ 8 فبراير 1946م.

مِـــنْ آلِ إِبْـرَاهِـيـمَ[1] آلِ الفَـضْـلِ فِـــي * أُولِـــي الـكَـرَامَـةِ مِـــنْ قَـدِيـمِ زَمَـــانِ
أَوْ مُـبْـلِـغٌ لِـسِـوَاهُـمُ مِـنِّـــي اعْـتِـذَا * رًا لاَئِـقًـــا بِـــهِـمُ بِـغَـيْـرِ تَـــوَانِ
أَوْ مُبْلِغٌ مِـنِّـي الـسَّـلاَمَ إِلَـى الـشَّـرِيـ * ـفِ الـصَّـرْصَرِي الـحَسَنِي أَبِـي سُـفْـيَانِ
مِــنْ خَـيْـرِ آلِ أَبِـــي يَـعِـيشِ الـمُـرْتَـضَى * وَلَـدَيْـــهِ مَـــعَ وَلَـدَيْـــهِ كُــــلَّ أَمَـــانِ
فَـبِـحُـبِّـهِمْ أُدْلِـــي لَــهُـمُ لِـقُـبُـولِ مَـــعْـ * ـذِرَتِـــي فَـــإِنِّـي لَـسْـتُ عَـنْـهُـمْ غَـانِـي
وَلَـــقَـدْ تَـمَـنَّـيْتُ الـــوُصُـــولَ إِلَـيْـهِـمُ * وَوِصَـــالُـهُـمْ لَــــوْ كَـــانَ فِـيـهِ أَمَـــانِـي
وَأَنَـــا عَـلَـى عَـهْـدِي الـقَـدِيمِ فَـقُـرْبُـهُمْ * مِــنِّـــي وَبُـــعْـدِي عَـنْـهُـمُ سِـيَّـــانِ
فَـلْـيَـعْـذِرُونِـي أَنَّـــنِـي لَـــهُـــمْ كَـمَـــا * هُـــمْ لِـــي وَلاَ أَنْـسَـى الَّـــذِي يَـنْـسَـانِـي
وَعَــلَـيْـهِـمُ مِـنِّـــي الـسَّـــلاَمُ لِـيَـعْـرِفُـوا * أَنِّـــي عَــلَـى عَـهْـدِي مَـــدَا أَحْـيَـانِـي

{مِـــسْـــكُ الـــخِـــتَـــامِ}

لَـــمَّـا وَصَـــلْـتُ إِلَـــى مَـحَـلِّي سَـالِـمًـا * سَــلَّـمْـتُ أَمْـــرِي فِـــي يَـــدِ الـرَّحْـمَـانِ
وَأَتَـــيْـتُ مَـحْـكَـمَـتِي فَـأَلْـفَـيْـتُ الـعُـدُو * لَ قَـــدِ اعْـتَـنَـوْا بِـمَـكَـانَـتِي وَمَـكَـانِـي

[1]- عباس بن محمد بن ابراهيم السملالي المراكشي، يعرف بيته بمراكش ببيت (ابن ابراهيم) نسبة إلى جد أبيه، وكان مسقط رأسه بمراكش سنة 1294هـ. و بها أخذ العلم عن نخبة من علية فقهاء جامع ابن يوسف، ولدى تخرجه تصدر للتدريس، فزاوله مدة غير قصيرة، ثم اشتغل بعدئذ بخطة القضاء، فكان معروفا فيها بنزاهته وانضباطه. قال صاحب الأعلام : ولما خرج الفرنسيون من المغرب تألفت محكمة خاصة لمحاكمة المتهمين بالخيانة من أعيان البلاد. وكان عباس منهم. إلا أنه ظهرت صحيفته بيضاء. وأعلنت براءته في أغسطس (غشت) 1958 م. إهـ . .

وله مؤلفات كثيرة منها : الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. وإظهار الكمال، في تتميم مناقب سبعة رجال، والأجوبة الفقهية في الأحكام المسجلة، وحاشية على صحيح مسلم، لم تخرج من مسودتها، والإلماس، فيمن اسمه العباس. وتاريخ ثورة الشيخ أحمد الهبة ماء العينين. وديوان شعر.

توفي يوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 هـ - 29 أبريل 1959 م. ودفن بضريح الولي الصالح سيدي محمد بن سليمان الجزولي بمراكش. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب لحجي) 9: 3339 - 3340. الأعلام للزركلي 3: 265- 266. مقدمة كتابه الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور (مطلع الجزء الأول) مجلة دعوة الحق سنة 1959 م عدد 10. معلمة المغرب 1: 84 - 85.

هُـمْ قَـدْ رَعَـوْا فِـي غَـيْـبَـتِـي وَجْـهِـي وَلَـمْ * يَــكُ مِـنْـهُـمُ مَــنْ عِــنْـدَهُ وَجْـهَــانِ
وَأَخُـصُّ مِنْـهُمْ نَـائِـبِي الأَرْضَـى ابْـنَ صَـا * لِـحِ الَّــذِي بِـالـصِّـدْقِ قَـدْ وَالَانِــي
فِــي هِـمَّــةٍ مُـتَـرَفِّـعٌ عَـمَّـا يَـشِـيـ * ـنُ وَمُـرْغِـمٌ بِـالـجِـدِّ أَنْــفَ الـشَّـانِـي
وَأَرَى الـرِّضَـى الـسُّـكُـورِيَّ الـحَـاجَّ الَّـذِي * يُـسْـلِـي الـقُـلُـوبَ بِـلُـطْـفِـهِ أَرْضَـانِـي
يَـقْـضِـي وَيَـمْـضِـي فِـي الأُمُـورِ بِـمَـا يَـرَى * حَـقًّـا وَلَا يَـخْـشَـى سِــوَى الـسُّـلْـطَانَ
وَالـمُـرْتَـضَـى الـعَـزُّوزِيُّ الـعَـرْبِـي[1] الَّـذِي * فِــي شُـغْـلِـهِ لَــمْ يَـتَّـصِـفْ بِـتَـوَانِ
يَـمْـشِـي عَـلَـى حَـذَرٍ وَيَـنْـظُـرُ مِــنْ وَرَا * وَيَــرَى الـخَـيَـالَ كَـأَنَّــهُ جِـسْـمَـانِ
يَـرْعَـى الـضَّـوَابِـطَ طِـبْـقَ مَـا أَرْضَـاهُ مِـنْـ * ـهُ مَــعَ الـتَّـثَـبُّـتِ فِــي طَـرِيـقِ أَمَــانِ
أَمَّــا الـرِّضَـى عَـبْـدُ الـعَـزِيـزِ فَـإِنَّـهُ * لَـيْـسَـتْ لَــهُ ثِـقَـةٌ مِــنَ الإِنْـسَـانِ
تَـاهِـيـكَ بِـابْـنِ عَـلِـي وَمَــا يَـنْـوِيـهِ مِــنْ * خَــيْــرٍ وَيَـفْـعَـلُـهُ بِـالاسْـتِـحْـسَـانِ
أَمَّــا ابْــنُ إِدْرِيــسَ الـفَـرِيـدُ مُـحَـمَّـدٌ * وَلَــوْ أَنَّــهُ مِــنْ قَـبْـلُ قَــدْ نَـاوَانِـي
فَــالآنَ طَـابَـتْ نَـفْـسُـهُ وَأَرَاهُ فِــي * نَــهْــجِ الـصَّـوَابِ مُـبَـرِّزَ الأَقْــرَانِ
وَابْـنُ الـحُـسَـيْنِ مَـعَ الـرِّضَـى عِـيسَـى فَـقَـدْ * سَـلَـكَـا طَـرِيــقَ الـجِـدِّ بِـالإِيـقَـانِ
لَــمْ يَـدْخُـلَا فِــي مَـغْـلَـقٍ إِلَّا وَكَــا * نَ لَـدَيْـهِـمَـا لِـلْـفَـتْـحِ مِـفْـتَـاحَـانِ
مِـفْـتَـاحُ مَـعْـرِفَـةٍ وَمِـفْـتَـاحُ الـذَّكَـا * وَكِـلَاهُـمَـا بِـالـنُّـجْـحِ مَـقْـرُونَـانِ
وَأَرَى الـمُـبَـجَّـلَ قَـاسِـمًـا ذَا قِـسْـمَـةٍ * فِــي الـجِـدِّ وَافِــرَةٍ بِـهَـا أَرْضَـانِـي
لَــكِـنْ يَـزِيـدُ تَـثَـبُّـتًـا فِــي أَمْــرِهِ * وَأَخُــو الـتَّـثَـبُّـتِ مِــنْ نَـجَـاةٍ دَانِـي
أَمَّــا أَبُــو الـدَّرْوِيـشِ فَـهُـوَ كَـمَـا اقْـتَـضَـتْـ * ـهُ كُـنْـيَـةٌ تُـدْنِـيـهِ لِـلـرَّحْـمَـانِ
هُــوَ عَـبْـدُهُ فَــازْدَادَ فِـيـهِ يَـقِـيـنُـهُ * أَكْــرِمْ بِــهِ مِــنْ عَــارِفٍ رَبَّـانِـي

---

[1]- العربي بن المهدي الزرهوني الفاسي العزوزي السباعي، فقيه علامة قاضي، من جلة فقهاء وقته، ازداد بفاس أوائل سنة 1300هـ ـ دجنبر 1882م، له مؤلفات منها كتابه نشر المحاسن والمآثر، لرجال الشاوية المشاهير، والرحلة الحجازية، وحاشية على سنن أبي داود، وهو من أعلام الطريقة التجانية، تلقاها أولا عن المقدم الشهير سيدي الطيب السفياني، وقدمه فيها أيضا، ثم قدمه بعد ذلك أيضا المؤلف العلامة سكيرج، وكتب له التقديم بخط يده

وَالسَّيِّدُ البَجَّاجُ[1] ذُو اللُّطْفِ الَّذِي * مُذْ جَاوَرَ المُخْتَارَ قَدْ صَافَانِي
لِي حُسْنُ ظَنٍّ فِيهِ وَهُوَ مُجَانِبٌ * فِيمَا أَرَى لِلزُّورِ وَالبُهْتَانِ
وَلِشِيبَةِ الحَمْدِ الرِّضَى ابْنُ عَابِدِ الـ * ـرَّحْمَانِ مِقْدَارُ رَفِيعُ الشَّانِ
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مُتَوَاضِعٍ * يَمْشِي الهُوَيْنَا فِي سَبِيلِ أَمَانِ
أَمَّا ابْنُ شَقْرُونَ فَلَيْسَ بِحَاضِرٍ * مَعَهُمْ وَعَنْهُ القَلْبُ لَيْسَ بِهَانِي

---

[1]- محمد بن علي بن محمد المزامزي الشاوي الشهير بالبجاج، أحد خيرة علماء بلاد الشاوية، وهو مفتي مدينة سطات وشيخ جماعة العلماء بها، ينتهي نسبه إلى الولي الصالح سيدي احمد العروصي دفين الصحراء بالساقية الحمراء، قال فيه العلامة القاضي العربي العزوزي في كتابه نشر المحاسن والمآثر، لرجال الشاوية المشاهير : الفقيه النوازلي العالم العلامة المفتي السيد البجاح الشاوي البورزقي العروصي. إهـ ... أي إشارة لفخدة أولاد عروص من قبيلة المزامزة، والمعروف عن هذا السيد أنه تقلد وظائف دينية ومخزنية كثيرة، ولعب دورا طلائعيا في بيعة الشاوية للسلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ.

وكان المؤلف قد نظم قصيدة في التشوق للحضرة المحمدية عليها أفضل الصلاة والتسليم، ووجهها مع صاحب هذه الترجمة العلامة سيدي محمد البجاج، الي كان حينئذ متوجها لأداء مناسك الحج، قال في مطلعها:

قِفْ بُرْهَةً لتَرُدَّ مِنِّيَ الرَّمَقَا * كَيْمَا أَبثَّكَ مَا قلبي به احْتَرَقَا
فقد عَزَمْتَ على الترحَالِ للبَلد الـ * ـأمينِ يا سيِّدِي البجاج مُسْتَبِقَا
ولي اشتياقٌ إلى الأمينِ زادَ به * قلبي على حُرْقَتِي مِنْ بَعْدِهِ حرُقَا
فإن علمتَ الذي بي قد أَضَرَّ فَلاَ * أَشُكُّ أنَّكَ تسعى فِي جميلِ لِقَا
وأَنْ تَمُدَّ يدَ الإسعافِ محتملاً * في وجهِ ضُعْفِي الذي لم يلقه الرفقَا
تأتي المَدِينَةَ للمحبوبِ فِي شغفٍ * منِّي وتبْلِغُهُ السّلامَ متَّسِقَا
تقول يا خَيْرَ من أُمَّتْهُ أُمَّتُهُ * لنيل خيرِ سعادةٍ ودفْعِ شَقَا
سُكَيْرِجُ يا رسولَ الله حمَّلَنِي * أذكى سلامٍ عليك طيبُهُ عبقَا

إلى أن يقول في آخرها :

كن لي شفيعاً ولا تقطَعْ رَجَاءَ سُكَيْـ * ـرجٍ وإن لم يَكُنْ في حَالِهِ صدقَا
يكفي تملُّقُهُ بباب جودك يا * من لا يُخَيِّبُ كُلَّ مَنْ بِهِ علقَا
هذي مُنَاهُ التي قد كَانَ حمَّلَنِي * أَدَّيْتُها وأبا البجَّاجِ بي وثقَا
ماذا أقول له إنْ عُدْتُّ يا أملِي * فإن عهدي بِهِ قد لازَمَ الأرَقَا
إنْ لم يكن يقظةً يراك رُدَّ لَهُ * كراه كَيْمَا يراك تَمْلأُ الأُفُقَا
واللهُ يمنَحُنَا منْكَ الرضا فَبِهِ * لَمْ نَخْشَ كُلَّ رَدَى فِيهِ السوى زَلَقَا

أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج 30 رقم الترجمة 20

إِنِّــي أَسِـيفٌ فِــي أَسًــى مِــنْ أَجْـلِـهِ * عَــافَــاهُ مِــنْــهُ رَبُّــنَــا وَشَـفَـانِـي

وَلَـقَـدْ تَـرَكْـتُ سِـوَاهُـمُ فِـي النَّـظْـمِ عَــنْ * قَــصْــدٍ أَرَاهُ لَــمْ يَــكُــنْ مِــنْ شَـانِـي

بَــلْ ضَـاقَ نَـظْـمِي عَــنْ تَـتَـبُّـعِ فَـضْـلِـهِمْ * حَـقًّـا كَـمَـا قَـدْ كَـلَّ عَـنْـهُ لِـسَـانِـي

وَأَرَى ابْــنَ شَـانِـعَـةٍ شَـنِـيـعًـا أَمْــرُهُ * فِـيـمَـا أَرَى مِــنْــهُ مِــنَ الْـخَـتَـلَانِ

فَـلَـكَـمْ نَـصَـحْـتُ لَــهُ وَلَـيْـسَ بِـقَـابِـلٍ * نُــصْـحِـيَ وَنُـصْـحِـي نَـافِـعُ الإِنْـسَـانِ

وَالــدَّاوُدِي وَالْـمُـرْتَـضَـى الْـمُـعْـطِـي أَخُــو * هُ هُــمَـا مَـعًـا فِــي رِفْـعَـةٍ سَـيَّـانِ

وَالْـحَـاجُّ وَابْــنُ فَـقِـيـهِـهِمْ وَأَبُــو الْـعُـلَا * إِدْرِيــسُ كُـلُّـهُـمُ ذَوُو إِحْـسَــانِ

وَسِــوَاهُــمُ مِــنِّــي الــسَّــلَامُ عَـلَـيْـهِـمُ * كَـابْــنِ السَّـنِـيـنِـي فَـائِـقِ الأَقْـــرَانِ

وَالْـعَـدْلِ حَـمُّـو وَابْــنِ حَـمُّـو وَالْـكَـبِيـ * ـرِ مَــعَ الـرِّضَـى الْـمَـكِـيِّ أَخِــي الْـعِـرْفَـانِ

وَالــسَّــادَةِ الـنُّـسَّـاخُ قَـامُـوا كُـلُّـهُـمْ * بِـجَـمِـيـلِ أَشْـغَـالٍ مَــعَ الأَعْـــوَانِ

فَـرِحُـوا بِـمَـقْـدَمِيَ الَّــذِي فَـرِحَـتْ بِــهِ الْـ * ـوُكَــلَاءُ فِــي سِــرٍّ وَفِــي إِعْـلَانِ

فَـالـلَّـهُ يَـشْـمَـلُ جَـمْـعَـهُـمْ بِــرِدَا الـرِّضَـى * وَيَــحُــوطُ سَـائِـرَهُـمْ بِـسُــورِ أَمَــانِ

ثُــمَّ الــسَّــلَامُ عَـلَـى النَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ * وَعَــلَــى جَـمِـيـعِ الآلِ وَالـصُّـحْـبَـانِ

وَالـتَّـابِـعِـيـنَ لَـهُـمْ بِـإِحْـسَـانٍ عَـلَـى * طُــولِ الــمَـدَى مِــنْ رَبِّـنَـا الـدَّيَّـانِ

وَالْـحَـمْـدُ لِـلَّــهِ الَّــذِي لَــمْ يُـحْـصِ أَنْـ * ـعُـمَـهُ الـثَّـنَـاءُ عَـلَـيْـهِ فِــي الأَكْــوَانِ

وَالْـعَـجْـزُ عَــنْ حَـصْـرِ الـثَّـنَـاءِ عَـلَـيْـهِ فِــي * شُــكْـرِي لَــهُ فِــي ضِـمْـنِـهِ شُـكْـرَانِي

وَالــلَّــهُ يُـكْـرِمُـنَـا بِــخَـيْـرِ كَــرَامَــةٍ * دُنْــيَـا وَأُخْـــرَى فِــي كَـمَـالِ تَـهَـانِـي

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

انْتَهَى.

تقريظ السيد الحاج محمد بن السيد الحاج العياشي سكيرج (حماد)

الحمد لله بعدما رجع الناظم رضي الله عنه من جولانه، ونظم رحلته هذه، قدم لزيارته من ثغر طنجة أخوه من أبيه العلامة العدل الرضى الزكي الخطيب المدرس السيد الحاج محمد بن السيد الحاج العياشي سكيرج، صحبة صهره العدل المبرز المتخرج من كلية القرويين في السنة الماضية أبي العباس السيد أحمد بن بركة السلف في الخلف العدل السيد الحاج أحمد السميحي الطنجي، زادهم الله بسطة في العلم والجسم، وسلامة في الإدراك والفهم، فأطلعها أمنه الله على هذه الرحلة البديعة في صنيعها، المفيدة في موضوعها، فكتب عليها أخوه المذكور هذه السطور ونصها :

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لما اطلعت على ما نظمه الأخ حفظه الله في رحلته السوسية، وألفيته جامعا لما تستعذبه الطباع، وتستحليه الأسماع، قلت :

يا مفرد الإعجاز يا بحراً طما	*	الله خصك بالمواهب بيننا
لا غرو عندي إن أتيت بمغرب	*	عند الإقامة أو بظعن أعلنا
أنت الفرى لا ريب كل الصيد في	*	زخاريمك وافر منك انثنى
في أي وقت شئته طوع لكم	*	أو في مكان رمته قد أمكنا
ولأن رأوا في رحلة جاءت عجا	*	با منكم يا فردنا صدرت لنا
روضا لأسرار بلى بل جنة	*	حور معانيها وقطف قد دنا
لكنني وأنا الخبير بحالكم	*	ممن لدى الإعجاب منكم قد ونى
علمي بحال كمالكم قد مدني	*	ما أهدأ القلب الخبير وأسكنا
لا زلت تقذف در سر جامع	*	كل الفنون وتاج در مقتنى

ابن والدكم محمد سكيرج تيب عليه.

تقريظ السيد أحمد بن الفقيه السميحي الطنجي لطف الله به

الحمد لله مانح الفضل لمن شاء، وشارح صدر أهل الصدق والوفاء بما شاء، والصلاة والسلام على ينبوع الفضائل والمعارف، ويعسوب اللطائف وفواضل العوارف، وعلى آله وأتباعه، ومن شملتهم العناية من أشياعه، فخصوا بخصيصي الإجتباء والاصطفاء. وبعد :

فقد شملتني العناية، والحظوة وكمال الرعاية، إذ أوقفني شيخنا وصهرنا علامة الدهر، وآية الله في السر والجهر، العارف الأسعد، والشيخ الفرد الأوحد، أديب شيوخ العصر، بجميع أدوات الحصر، سيدي الحاج أحمد بن المرحوم بالله سيدي الحاج العياشي الأنصاري سكيرج، أدام الله الإسعاد حليفه في كل ما عليه يعرج، على عدة من تآليفه العديدة، ذات التحقيقات المفيدة،

ومنها رحلته السوسية، ذات المعارف واللطائف الأسوسية، وذلك حين زيارتي له بثانية الجمادين من عامها، على طراوة إبانها، وقرب أيامها، فألفيتها بحرا بالعلوم قد زخر، يقف في لجج معانيها النظر، وينبوا عما شملته من عظيم الفكر، شاهدة لناظمها بفيوض القريحة، وعبقرية سيالة فسيحة، لا زال يقذف الدرر، وبدائع الغرر، فطمحت نفسي للانخراط بسلك من ذكروا بها من أبناء جنسي، وطمعت في الدخول مع من لهم في مخدرات معانيها أصبح وأمسي، فسوعدت على هذه الأمنية، وارتقيت ذروة مجدها العلية، أدامه الله بحرا لاستخراج الدرر، ويم معارف ولطائف الغرر، والحمد لله حمدا يوافي النعم، ويغرق مزيده في بحر الجود والكرم، آمين.

أحمد بن الفقيه السميحي الطنجي لطف الله به

ولقد صدق سيادة هذا المقرظ الفاضل بما أشار له من مساعدته على ما ذكره، فقد قرظ هذه الرحلة جماعة من أدباء العصر، ولم يرق في نظر الناظم رضي الله عنه طبع ما سوى تقريظه وتقرظ أخيه المذكور، وذك دليل على اعتنائه بهما، وقبول ما جادت به قريحتها، فالله يقبل على الجميع بمحض فضله وكرمه آمين.

المملكة المغربية

دار الأمـان للتـوزيـع

4، زنقة المامونية - الرباط

الهاتف : 212537723276+ / 212537263787+

الفاكس : 212537200055+

المحمول : 212661202856+

البريد الإلكتروني : libdarelamane@yahoo.fr



تَاجُ الرُّؤُوسِ بِالتَّفَسُّحِ فِي نَوَاحِي سُوسٍ

للعلامة القاضي سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج رحمه الله رضي عنه

صدر في نفس هذه السلسلة الخاصة بكتب الطريقة التجانية :

1- جواهر المعاني، وبلوغ الأماني، في فيض الشيخ أبي العباس التجاني، للعلامة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة

2- الجامع لدرر العلوم، الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة العارف بالله سيدي محمد بن المشري السباعي الحسني

3- تيجان الغواني، في شرح جواهر المعاني، للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي

4- منية المريد، للعلامة الأديب العارف بالله سيدي أحمد بن بابا العلوي الشنجيطي

5- غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود، للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي

6- الرحلة الزيدانية، للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي

7- تاج الرؤوس، بالتفسح في نواحي سوس، للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي

8- شبه رحلة إلى الجزائر، للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري الخزرجي

9- إتحاف أهل المراتب العرفانية، بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة العارف بالله سيدي محمد بن محمد الحجوجي الحسني

10- رسائل العلامة سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني

11- نساء تجانيات، للعبد المذنب محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني

إمضاء: الأستاذ محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني



www.cheikh-skiredj.com